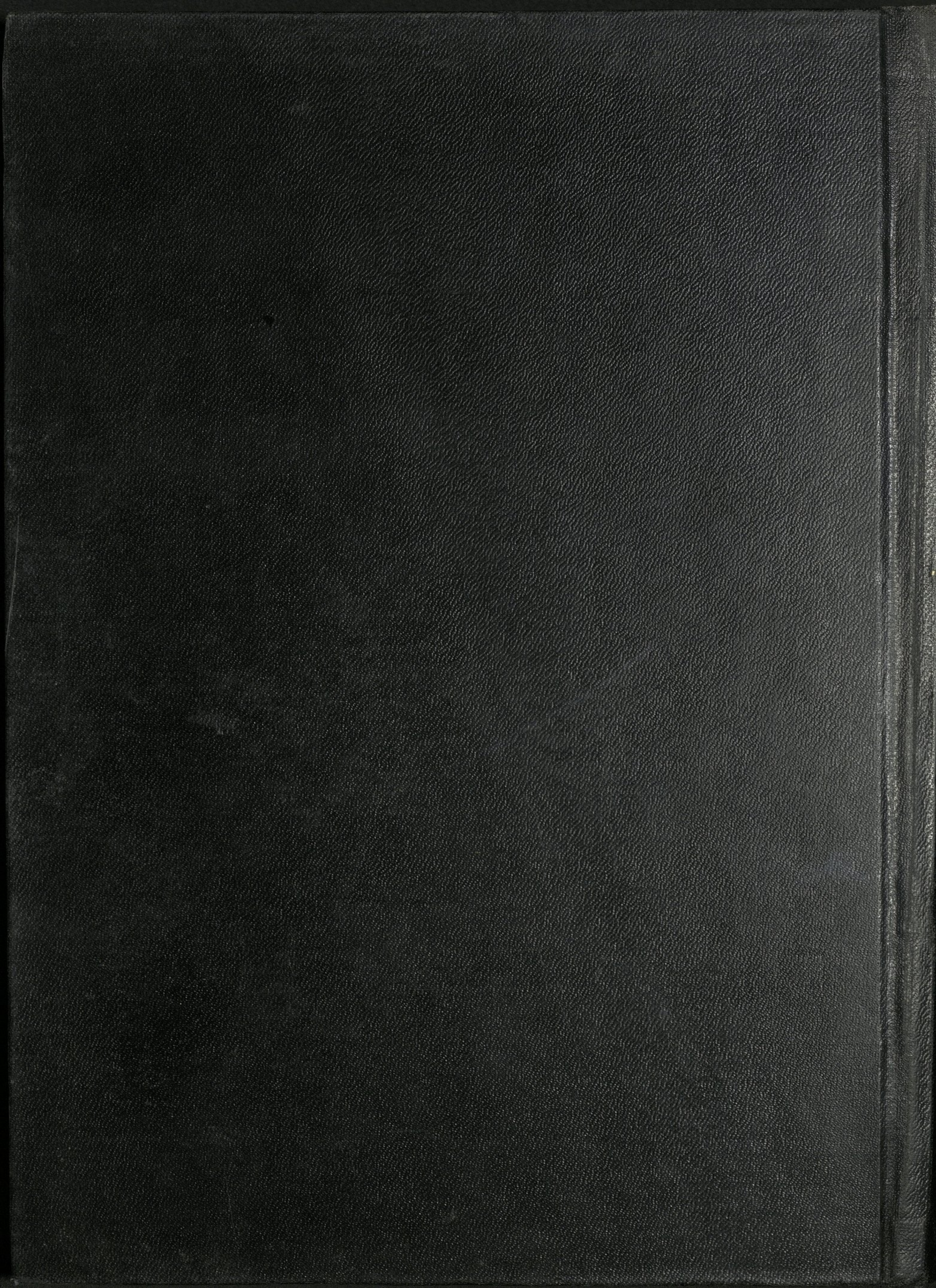


لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب السلوك

لمعرفة دول الملوك

تقي الدين أحمد بن على المقريزى

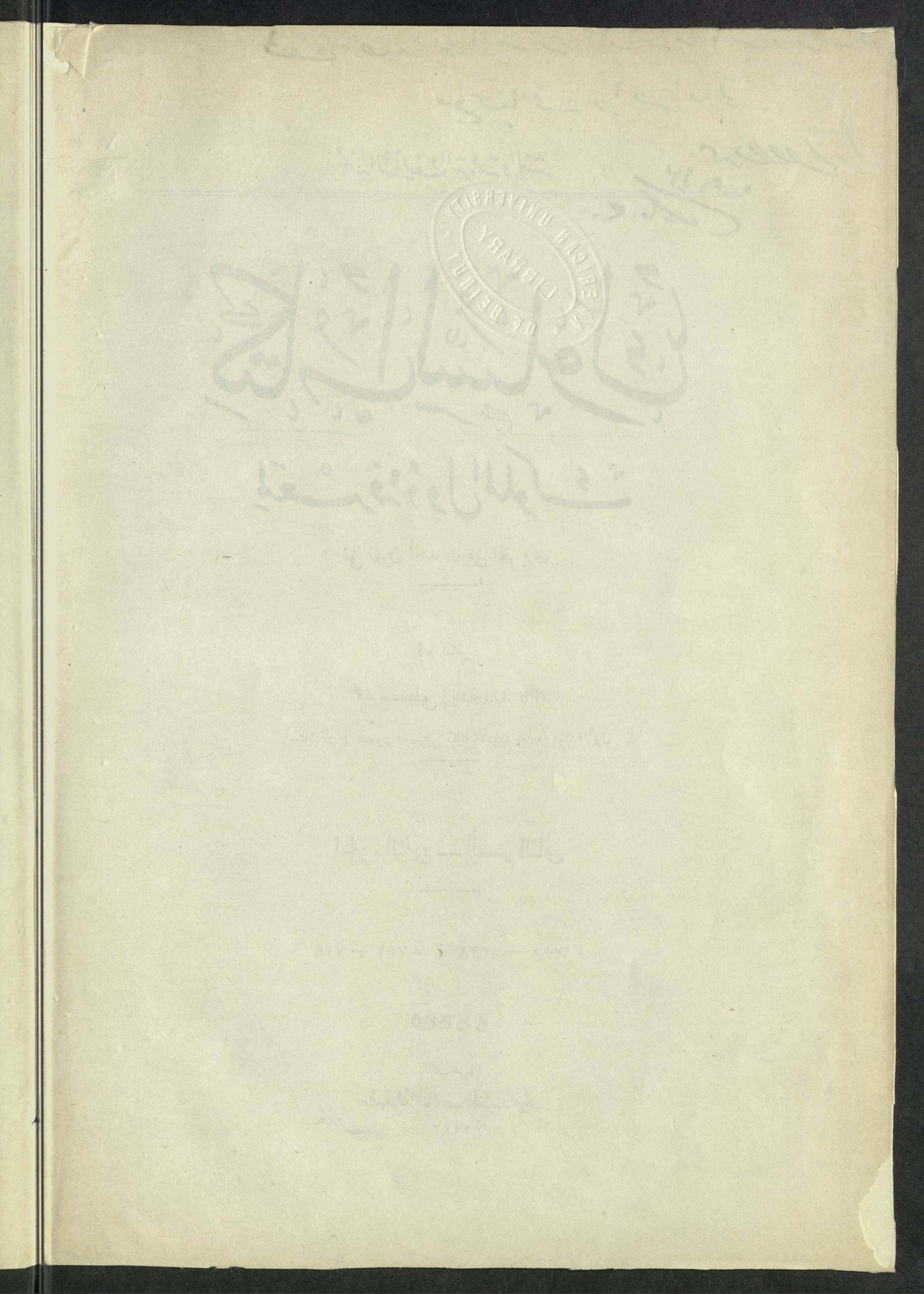
قام بنشره
محمد مصطفى زيادة (Ph. D.)
أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

الجزء الثانى — القسم الثانى

---

٧٢٩ — ٧٤١ هـ ، ١٣٢٨ — ١٣٤٠ م

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٢



تصـــــدير

للقسم الثانى من الجزء الثانى من كتاب السلوك للمقريزى

بهذا القسم الثانى من الجزء الثانى من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ينتهى ما جاء بهذا الكتاب من أخبار عصر السلطان الناصر محمد بن قلاون ، وهو عصر الأوج فى الحكم المملوكى فى مصر فى العصور الوسطى .

ويتخلل صفحات هذا القسم إشارات إلى عدة تغييرات هامة فى أنظمة الحكم والإدارة فى ذلك العصر ، وقد عنيتُ بالتنبيه إليها فى حواشٍ قصيرة لإرشاد المهتمّين بتاريخ الدساتير فى مصر فى مختلف العصور ، كما أنّ بالمتن جملة من ملاحظات عابرة فى أخلاق السلطان الناصر وصفاته وميوله الشخصية ، فضلا عن خلاصة وافية لعهد ذلك السلطان ، كتبها المقريزى فى خمس وعشرين صفحة بآخر هذا القسم ، وأودع فيها كثيراً مما ينفع المشتغلين باستجلاء أركان السياسة الداخلية والخارجية فى ذلك العهد الطويل .

وأجدنى هنا مضطراً إلى الإشارة بهذه السطور القليلة لبيان بعض أهمية هذا القسم الجديد من كتاب السلوك ، لأنّ واجبى — كفرد من أفراد المعنيّين بالتاريخ المصرى — ليس مقتصراً على إنجاز قسم تِلْو قسم من هذا الكتاب ، ثم الإشارة إلى محتوياته فى تصدير قصير ؛ بل إن من واجبى أيضاً — وقد توفّرتُ حتى الآن على هذا النوع من العمل ، وبَلَوْتُ فى أثناء ذلك بعضَ ما فى أمهات التاريخ المصرى من حقائق مجهولة أو خافية — أن أنادى بوجوب توجيه الهمم للكشف عن تلك المنابع التاريخية الكبرى (وكذلك الصغرى منها) ، مع تنسيق المجهود الذى يُبذل فى هذا العمل تنسيقاً يكفل للقائمين عليه مواصلة الإنتاج العلمى الصحيح ، من غير ما حاجة إلى دعاية أو جلبة أو إعلان . وأودّ أن أزيد على هذا النداء أن العمل المبتكر فى ميدان التاريخ فى مصر الناهضة هو العمل على جعل تلك المنابع التاريخية فى متناول الباحث ، فإن ذلك هو السبيل الوحيد إلى التأليف السليم فى المستقبل القريب . وأحسبنى — باختيار تصدير هذا القسم وسيلة لإيصال

هذا النداء إلى أهل النهضة الحديثة فى مصر — قد اختررت وسيلة صالحة مناسبة ، فإن نظرة سريعة فى الصفحات التالية كفيلة بالبرهان على ما فى هذا النداء من إخلاص لوجه التاريخ .

وبعد فإنى أشكر للجنة التأليف والترجمة والنشر اعتزامها المضىّ فى نشر هذا الكتاب ، على الرغم مما تلاقيه دور الطبع من صعوبات متزايدة فى هذى السنين . وإنى أشكر للأستاذ أحمد أمين بك — رئيس اللجنة — مساعدته إياى بما أسداه من ملاحظات أثناء قراءته لصفحات هذا القسم قبل الطبع ، كما فعل بسابق الأقسام التى تمّت . وإنى أشكر أيضاً لأصدقائى وزملائى بمصر ، ولأصدقائى بالشام وفلسطين ولبنان والعراق والهند وإنجلترة والولايات ما شرّفونى به من عبارات التشجيع والتقدير الكريم ، سواء بالكتابة إلىّ ، أو على صفحات المجلات . وكذلك أشكر جمال الدين محرز أفندى ، المعيد بمعهد الآثار الإسلامية بكلية الآداب ، وعباس حلمى إسماعيل أفندى الطالب بمعهد التربية العالى ، لما قدّماه من معاونة أثناء طبع هذا القسم .

مصر الجديدة { ديسمبر سنة ١٩٤٢ م / ذو الحجة سنة ١٣٦١ هـ }　　　　محمد مصطفى زيادة

تصحيحات

صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها
٣٠٩	٢٤	النسخ التى اطلع عليها الناشر
٣١٢	٢٥	(٢) فى ف
٣٢٤	٢٤	من عود طوله
٣٤١	٢١	(Dozy : Supp. Dict. Ar.)
٣٥٢	٢٣	Op. Cit.
٣٦٨	٢٦	(٦) انظر ما سبق ، ص ٣٥٩ .
٣٩٨	١٦	الشيخ حسن الجلائرى
٤٣٩	٢٤	للدلالة على استيفاء المكس ،
٤٩١	١٥	الأمير نُكْبَيْه
٥٠٢	٤	لزوجته التى كانت تحت بكتمر الساقى
٥٣١	٢٣	(Dozy : Supp. Dict. Ar.)

أسماء المراجع المتداولة بحواشى كتاب السلوك للمقريزى

(تحتوى القائمة التالية على أسماء المراجع الإضافية التى استلزمها هذا القسم الثانى من الجزء الثانى ، وهذه بالإضافة إلى ما تقدّمت الإشارة إليـه من المراجع بالقوائم الواردة بالقسم الأول من هذا الجزء) .

مراجع عربية مخطوطة أو مطبوعة

ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن الحاج الفاسى المغربى العبدرى المالـكى) : كتاب المدخل . أربعة أجزاء . (المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩ م) .

ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى) : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية . (نشر محمد عوض إبراهيم بك وعلى الجارم بك ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، ١٩٣٨م) .

ابن مسكويه : تجارب الأمم . (Gibb. Mem. Series, Vol VII, 1913) .

ابن الوردى (عمر بن مظفر بن عمر بن أبى الفوارس الوردى المعرى الشافعى) : تتمة المختصر فى أخبار البشر . جزءان . (جمعية المعارف ، القاهرة ، ١٢٨٥ هـ) .

الجرجانى (على بن محمد) : كتاب التعريفات . (المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ) .

مراجع بلغات أوربية

Artin, (Yacoub): Contribution à l'Etude du Blason en Orient. (Quaritch, London, 1902) .

Lane, (Edward William) : An Account of the Manners And Customs of the Modern Egyptians. (Ward & Lock & Co. London, 1860).

المقـــــريزى

كتاب الســلوك لمعرفة دول الملوك

الجزء الثانى ـــ القسم الثانى

(١ ب) [١]سنة تسع وعشرين وسبعمائة . أهلّت والسلطان بسرياقوس .

[وفى] يوم السبت ثانى المحرم قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز .

و[فيه] قدم [بدر[٢] الدين] بن علاء الدين بن الأثير كاتب السرّ ، وقد اشتدّ بأبيه مرض الفالج وانقطع عن الخدمة ؛ فخُلع عليه وجلس فى رتبة أبيه ، وباشر وفى ظنّه أنه يستقرّ عوضه . فخرج البريد بطلب محيي الدين يحيى بن فضل الله كاتب سرّ دمشق ، فقدم ومعه ولده شهاب الدين أحمد وشرف الدين أبو بكر بن الشهاب محمود ؛ وخُلع على محيي الدين خلعة كتابة السرّ بديار مصر ، عوضاً عن ابن الأثير ، (١٢) وعلى شرف الدين بكتابة السرّ بدمشق ، عوضا عن محيي الدين ، فى يوم الأحد سابع عشره .

وفى ثالث عشره استقرّ بيبرس الجدار فى ولاية اسكندرية[٣] ، عوضاً عن الركن الكركى . وفى يوم الأحد رابع عشريه قدم الأمير أيتمش المحمدى من بلاد العراق ، بجواب القان أبى سعيد .

وفيه أنعم على الأمير علم الدين سنجر الجاولى بإمرة أميرِ علىّ بن قراسنقر المنتقل إلى دمشق ، وكان الجاولى منذ خرج من السجن بطالا .

و[فيه] أنعم على لاجين الخاصكى بإمرة طبلخاناه ، عوضا عن محمد [بيه] [٤]بن جمق بحكم عوده إلى بلاد التتار .

---

(١) هنا تبتدئ مخطوطة فاتح رقم ٤٣٨٤ ، وهى أحد أقسام نسخة ف المتخذة كلها أصلا للنشر من بدء الجزء الثانى . ويوجد بصفحة العنوان من هـذه المخطوطة العبارة الآتية : "تتمة الجزء الرابع من السلوك" ، على أن التقسيم الذى يعتمد عليه الناشر منذ انتهاء الجزء الأول هو تقسيم نسخة باريس (ب) ، حيث يوجد الكتاب فى أربعة أجزاء ، وجميع مخطوطات السلوك المقطوع بوجودها فى مختلف المكتبات والمتاحف يتمشى مع هذا التقسيم الأربعى . هـذا ويوجد فوق هذه السنة التى تبتدئ بها المخطوطة عنوان نصه : "بسم الله الرحمن الرحيم . تتمة الكلام على عود السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون إلى الملك ثالث مرة" ، وقد رؤى حذفه من المتن وإثباته بهذه الحاشية فحسب ، لأن المقريزى لم يجر على طريقة تقسيم العهد الواحد لسلطان من السلاطين إلى أقسام بعناوين مستقلة ، ولأن تلك الافتتاحية لم ترد فى ب أو فى غيرها من النسخ التى اطلع عليها الناشر من مخطوطات كتاب السلوك .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤١٢ ا) .

(٣) فى ف "سكندرية" .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٢٨٣ ، حاشية ٢ .

[وفى] يوم السبت سابع صفر قدمت رسل أبى سعيد ، وجُهِّزوا إلى المنوفية (٢ ب) للقاء السلطان ، فأدّوا رسالتهم وعادوا إلى قلعة الجبل . وفى يوم الأربعاء تاسع عشره قدم السلطان من الصيد سالما .

[وفى] يوم الاثنين أول شهر ربيع الأول أعيد شمس الدين بن قروينة(١) إلى نظر الدواوين على عادته ، وأضيف ما كان بيده من نظر البيوت إلى مجد الدين إبراهيم(٢) بن لفيتة ، مع ما بيده من نظر الدواوين ؛ وخُلع عليهما .

و[فيه] رُسم بخروج على وفرج ولدى قراسنقر ، فسارا إلى دمشق ، وقدما [ها] فى ثالث ربيع الآخر .

وفى خامس ربيع الآخر استقرّ صلاح الدين يوسف بن داود بن قبجق شاد الدواوين ، ثم عُزل فى سادس عشر شعبان ، واستقرّ فى ولاية الجيزة عوضا عن بلبان الحسنى . ونُقل بلبان (١٣) إلى ولاية دمياط ، عوضاً عن الكركى .

وفى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى رُسم بردم الجب الذى بقلعة الجبل ، لما بلغ السلطان أنه شنيع المنظر شديد الظلمة كثير الوطاويط كَرِهُ(٣) الرائحة ، وأنه يمرّ بالمحابيس فيه شدائد عظيمة ؛ فرُدم وعُمر فوقه طباق للمماليك ؛ وكان عَمَل هذا الجب فى سنة إحدى وثمانين وستمائة فى الأيام المنصورية قلاون .

وفيه قدمت رسل الشيخ حسن بن الجلايرى(٤) ، [وكان الشيخ حسن هذا] قد أصبح نائب القان أبى سعيد ، و[هو] ابن عمته وزوج بغداد خاتون بنت جوبان .

---

(١) فى ف "قزوينة" ، وسيدأب الناشر على تصحيح هذا الاسم فيما يلى كالمثبت بالمتن هنا من غير تعليق . انظر ما سبق ، ص ٢٤٨ ، حاشيه ٣ .

(٢) تقدّم هذا الاسم بالمتن أكثر من مرة (انظر ص ٢٥٦ ، حاشية ١ ، مثلا) ، وقد أورده النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٤) وذكر اسم أبيه أيضاً ، ونصه "مجد الدين إبراهيم بن مكين الدين عبد الله بن لفيتة" .

(٣) كذا فى ف ، وهو مرادف للفظ "كريه" . (محيط المحيط) .

(٤) فى ف "الجاى" ، والجلايرى نسبة إلى قبيلة جلاير (Djalāir) بفارس ، وكان الشيخ حسن هذا قد أصبح الشخصية البارزة فى بلاط أبى سعيد بعد مقتل جوبان وأولاده ، وهو الذى أسس الدولة الجلايرية بفارس بعد وفاة أبى سعيد ٧٣٦ هـ ، وله أخبار طوال فيما يلى هنا ، غير أن المراجع المتداولة فى هذه الحواشى لا تشرح سبب قدوم رسله تلك السنة إلى القاهرة . انظر (Browne : Op. Cit. III. pp, 54, 171) ، وكذلك (Ency. Isl. Arts. Djalāir, Hasan Buzrug) .

[وفى] يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة قدم الأمير سيف الدين أرغون نائب حلب باستدعاء ، فخرج الأمير ألماس الحاجب (٣ ب) وتلقّاه من قبة النصر خارج القاهرة ، وصعد به قلعة الجبل ؛ فأكرمه السلطان وعزّاه فى ولده ، وخلع عليه وأنزله فى داره على الكبش . وطَلب [أرغونُ] شرفَ الدين الخطير ناظر ديوانه ، وسأله عن أمواله وغلاله وحواصله ؛ فأسرّ له بأن السلطان لم يُبق له منها إلا القليل ، فسكت . ثم استدعاه [السلطان] يوم الخميس سادس عشريه ، وخلع عليه وأعاده إلى حلب .

[وفى] يوم الأحد تاسع عشريه قدمت رسل أبى سعيد فى طلب المصاهرة[1] ، ومعهم اثنا عشر إكديشا بجلال جوخ ، واثنان عرى .

[و] فى عاشر شهر رجب قدم الأمير سيف الدين طينال الحاجب نائب طرابلس بسؤاله ليحاقِق شُكاته ، ومعه هدية ؛ فوقف وحاققهم ، وساعده الأمراء (٤ ا) إلى أن عاد إلى طرابلس فى خامس عشريه .

[وفى] يوم الأحد حادى عشريه رُسم بعزل المجد بن لفيتة ، فعُزل من نظر الدواوين ونظر الصحبة ونظر البيوت ؛ وعُزل أيضا ابن قروينة من نظر الدواوين . واستقرّ عوضهما فى نظر الدولة علم الدين إبراهيم بن التاج إسحاق ، وتقى الدين عمر بن الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس[2] — وكان يلى صحابة ديوان دمشق ، فأحضر منها فى ثامن عشره — ، وخُلع عليهما . واستقرّ فى نظر خزانة الخاص تاج الدين موسى بن التاج إسحاق ، عوضا عن أخيه علم الدين . فباشر العلَمُ وتقىُّ الدين بن السلعوس[3] النظر مع [الأمير مغلطاى] الجمالى [الوزير][4] — وكان أمرُه فى الوزارة ضعيفاً — إلى يوم الأحد ثانى شوال ؛ [ثم] رُسم بتوفير الوزارة فتوفّرت ، واستمرّ الجمالى (٤ ب) فى الأستادارية على عادته .

---

(١) المقصود بذلك حسبما ورد فى (Zettersteen : Op. Cit. p. 180) أن أبا سعيد أرسل يطلب أن يتزوج من إحدى بنات السلطان الناصر محمد .

(٢و٣) فى ف "السعلوس" ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ١٨٨) ، وسيدأب الناشر على إثبات هذا الاسم كما هنا بالمتن فيما يلى بغير تعليق . انظر أيضاً النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٩٦) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق ، ص ٣٠٣ . انظر أيضاً النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٩٦) .

وسبب ذلك توقف حال الدولة من قلة الواصل ، وكثرة إغراء الفخر ناظر الجيش والتاج إسحاق بن القماط ناظر الخاص السلطانَ بالجمالى لكراهتهما فى المجد بن لفيتة ، فإنه كان قد استولى على الجمالى حين صار أمر الوزارة إليه ، وكُتبت فيه مرافعات أنه أخذ مالاً كثيراً ، وتولى الأمير أيتمش الكشف عليه . فلما ولى العَلَمُ بن التاج النظر ، وباشر موسى الخاص نيابة عن أبيه ، صار العلم يكتب كل يوم [أوراقاً[١] بالجارى] ثم يرفعها للسلطان مما تحصّل وانصرف ، ويدخل بها إليه ومعه ابن السلعوس رفيقه ، وابن هلال الدولة الشاد . فانحصر المباشرون ، ومشت أمور الدولة بمرسوم (١٥) السلطان على ما يقرّره ؛ وحُمل مال الجيزة بكماله إلى خزانة الخاص ، ولم يُصرف منه شىء .

وفى ثانى عشريه تولى قشتمر المحلة .

وفى خامس عشريه أنعم على آقبرس بن علاء الدين طيبرس بإقطاع الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى الحاجب ، بعد موته بدمشق ؛ فتوجّه إليها .

وفى يوم الاثنين ثالث شوال استقرّ علاء الدين أيدمر العلائى — عُرِف بالزرّاق — فى ولاية القاهرة ، عوضاً عن قدادار عند توجهه إلى الحجاز .

وفيه أيضاً استقرّ علاء الدين ابن هلال الدولة شاد الدواوين ، مضافا لشد الخاص .

وفى سادسه عزل صلاح الدين الدوادار عن الجيزة ، واستقرّ من جملة الأمراء . وولى الجيزة (٥ ب) جمال الدين يوسف الجاكى والى الشرقية ؛ واستقرّ فى الشرقية عوضه الحسام طرنطاى القَلَنْجُقى[٢] .

وفى يوم الأحد نصف ذى القعدة جلس السلطان بالميدان تحت القلعة ، وعَرَض الكتّابَ بدواوين الأمراء . وطلب [السلطان] المجدَ بن لفيتة وابن قروينة الناظرَيْن المنفصلين ، والمكين بن قروينة مستوفى الصحبة ، وأمين الدين قرموط مستوفى الخزانة ؛ ورسّم عليهم وسلّمهم إلى الأمير ألدمر أمير جاندار ليخلص منهم ستمائة ألف درهم انساقت باقياً بالجيزة .

(١) موضع ما بين الحاصرتين بياض فى ف ، وعبارة ب (٤١٣ ا) كالآتى : "صار العلم يكتب كل يوم محار" . هذا ويلاحظ أن السلطان الناصر كان قد رسم بأن تعمل له أوراق بالحاصل والمصروف يوماً بيوم . انظر ما سبق هنا ، ص ٢٥٨ ، سطر ٦ .

(٢) ف "القلحوى" . انظر ما سبق هنا ، ص ٦ ، حاشية ٣ .

فحمل [ألدمر] من جهة قشتمر والى الجيزة مبلغ مائتى ألف درهم ، ومن ابن سَقْرُور[١] مستوفى الجيزة زيادة على سبعين ألف درهم . ورسم [السلطان] بقطع أخباز المشدين على الجهات بأسرهم ، (١٦) وقرّر عوضهم . وأحضر السلطان مشايخ الجيزة ، وكتب عليهم سجلات أراضيها بحضوره ؛ ولم يسمع بهذا فيما سلف . ثم أفرج [السلطان] عن الناظرين المنفصلين والمستوفين ، بعدما استخرج منهم بعضَ ما قرّر عليهم .

وفيها رُسم للحاجب أن يتقدم بألا يباع مملوك تركى لكاتب ولا عامى ، ومن وُجد عنده منهم مملوك فليبعه ، ومن عُثر عليه بعد ذلك أن عنده مملوكا طولع به السلطان ؛ فباع الناس مماليكهم ، وأخفوا بعضهم .

وفيها عرض السلطان مماليك الطباق والبرانيين[٢] ، وقطع منهم مائة وخمسين وأخرجهم من يومهم ، ففرّقوا بقلاع الشام .

و[فيها] صُرف شهاب الدين أحمد بن المهمندار عن نقابة الجيش ، (٦ ب) بالأمير عز الدين أيدمر دقماق .

وفيها قتل الأمير تنكز نائب الشام الكلاب بدمشق ، فتجاوز عدد ما قتل[٣] منها خمسة آلاف .

ومات فى هذه[٤] السنة من الأعيان الأمير سعد الدين سعيد بن أمير حسين ، فى ثامن عشر المحرم ، وأُنعم بإمرته على تكلان . [ومات] الأمير غرس الدين خليل بن الإربلى أحد أمراء العشرات ، فى سادس صفر ؛ وأنعم بإمرته على أياجى الساقى . و[مات] الأمير الكبير شرف الدين حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندر[٥] باك الرومى ، فى سادس المحرم ؛ قدم صحبة أبيه إلى مصر فى سنة خمس وسبعين وستمائة فى الأيام الظاهرية بيبرس ، فى جملة من قدم من أهل الروم ، بعد (١٧) ما كان [أبوه] أميرَ جندار متملكِ[٦] الروم ،

(١) كذا بضبطه فى ف .
(٢) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٨٦ ، حاشية ٣) .
(٣) فى ف "فتجاوز عددهم" .
(٤) فى ف "فيها" .
(٥) فى ف "ابن حندر نال" . انظر ما سبق ، ص ٢١٥ ، حاشية ١ .
(٦) المقصود بذلك غياث الدين كيخسرو ملك السلاجقة بآسيا الصغرى (الروم) . انظر ما يلى هنا لمعرفة من قدم من سلاجقة الروم إلى مصر فى ذلك الوقت أيضاً .

فترقى حتى نادم الأفرم نائب دمشق ، فأنعم عليه بإمرة ؛ فلما قدم الناصرُ محمد بن قلاون دمشقَ من الكرك ، وتحرّك لأخذ السلطنة كان [الأمير شرف الدين حسين] ممن سار فى خدمته إلى مصر ، فنوّه به وأعطاه إمرة ، ثم قرّره أمير شكار بعد وفاة كشرى(١) ، وأعجب به ؛ وإليه ينسب جامع أمير حسين وقنطرة أمير حسين على الخليج خارج القاهرة ، قريباً من بستان العدة . و[مات] الأمير علاء الدين على بن الكافرى ، والى قوص ؛ وولى عوضه غرس الدين خليل أخو طقصباى الناصرى . و[مات] سنجر الأيدمرى أحد العشرات ، فى ثالث عشر ربيع الأول ؛ وأنعم بإمرته على ساطلمش الناصرى . (٧ ب) و[مات] الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى — المعروف بالحاجب — ، فى يوم الأربعاء حادى عشرى ربيع الآخر ؛ فأنعم على ولده ناصر الدين محمد(٢) بإمرة عشرة ، وسنّه يومئذ ثلاث عشرة سنة ؛ وفُرّق إقطاعه بين جماعة : فكُمّل منه للأمير طرغاى الجاشنكير تقدمة ألف ، وأنعم [منه] على صلاح الدين يوسف بن الأسعد بناحية جَوْجَر(٣) — واستقرّ شاد الدواوين — ، وأنعم [منه] على الأمير قوصون بمنية زِفْتا(٤) ؛ وكان بكتمر هذا من جملة مماليك الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة المنصورية قلاون ، أخذه فى سنة خمس وسبعين وستمائة فيما أخذ من مماليك السلطان غياث الدين كيخسرو متملك الروم ، عندما دخل الظاهر (١٨) بيبرس إلى مدينة قيصرية الروم واستولى عليها ؛ فصار [بكتمر] إلى طرنطاى — وهو حينئذ مملوك الأمير سيف الدين قلاون — ، فرباه وأعتقه ؛ فلما قتل طرنطاى صار [بكتمر] إلى الأشرف خليل بن قلاون ، فرتّبه فى جملة الأوشاقية بالأصطبل السلطانى ؛ ثم نقله المنصور لاجين وعمله أمير آخور صغيراً ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة بعد وفاة الفاخرى ؛ وما زال [بكتمر] يترقى حتى ولى الوزارة والحجوبية ونيابة

---

(١) كذا فى ف .

(٢) هنا شرح لما كان متبعاً فى العهد المملوكى بصدد أبناء الأمراء المتوفين ، غير أن الإنعام على ناصر الدين محمد هذا بعد وفاة أبيه بإمرة عشرة شاذ فى بابه ، إذ المعروف حسبما ذكر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٥) أن أولاد الأمراء المتوفين كانوا يعطون إمرة خمسة فقط ، وذلك "رعاية لسلفهم" ، وليس بموجب أى حق إقطاعى .

(٣) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٠٣ ، حاشية ١) .

(٤) فى ف "زفتة" ، والرسم المثبت هنا من ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٣٦) ، ويقال لهذه البلدة زفيتة أيضاً ، وهى على الشاطئ الأيسر لفرع دمياط ، بمديرية الغربية الحالية .

غزة ونيابة صفد فى الأيام الناصرية ؛ وإليه تنسب مدرسة الحاجب ، ودار الحاجب ، خارج باب النصر من القاهرة ؛ وكان [بكتمر] من أغنياء الأمراء الكثيرى[١] المال المعروفين بالشح . [و] توفى ضياء الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن (٨ ب) محمد الإسكندرانى المصرى ، فى يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان ؛ ومولده فى نصف ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة ؛ سمع من ابن عبد الدائم والمجد بن عساكر وابن أبى اليسر وجماعة . وتوفى عز الدين أبو يَعلى حمزة بن المؤيد أبى المعالى بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن على بن محمد بن القلانسى ، بدمشق ؛ سمع الحديث وصار رئيس الشام ، وولى وزارة دمشق . وتوفى الأديب سعد الدين سعيد بن منصور بن إبراهيم الحرانى المصرى ، بمصر ؛ وله شعر جيد . وتوفى الشيخ جلال الدين أبو بكر عبد الله بن يوسف بن إسحاق بن يوسف الأنصارى الدلاصى ، إمام الجامع الأزهر ، بالقاهرة (١٩) عن بضع وثمانين سنة ؛ وكان يُعتقد فيه الخير ويُتبرك بدعائه . وتوفى قاضى القضاة بدمشق علاء الدين أبو الحسن على بن إسماعيل بن يوسف القونوى الشافعى ، فى يوم السبت رابع عشر ذى القعدة ، ودُفن بسفح قاسيون ؛ قدم من بلاد الروم إلى دمشق فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، فدرس بها مدة ؛ ثم توجه إلى القاهرة فسكنها ، وولى مشيخة الشيوخ بخانكاه سعيد السعداء ؛ وتصدّى للاشتغال[٢] بالعلم ، وصنّف شرح الحاوى فى الفقه وغيره ؛ ثم [ولى][٣] قضاء دمشق فباشره حتى مات بها ، وولى بعده قضاء دمشق علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأخنائى . وتوفى نجم الدين محمد ابن عقيل بن أبى الحسن بن عقيل البالسى الشافعى ، بمصر ؛ ناب فى القضاء ، ودرّس (٩ ب) وشرح التنبيه فى الفقه ؛ وكان مُعتَقداً فيه الخير . وتوفى جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الواسطى الأشمونى المولد والدار — عُرف بالوجيزى لقراءته كتاب الوجيز فى الفقه — ؛ ولى قضاء الجيزة وقليوب ، ومات فى رجب ، وهو أحد مشايخ الفقهاء الشافعية . وتوفى معين الدين هبة الله بن علم الدين مسعود بن عبد الله بن حشيش صاحب ديوان الجيش ، بمصر يوم الاثنين سادس عشر جمادى الآخرة ؛ كان بارعا فى الفقه والنحو

(١) ف " الكثيرين " .
(٢) فى ف " للاشغال " ، والرسم المثبت هنا من ب (٤١٤ ب) .
(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤١٤ ب) .

واللغة والأدب ، كريماً له شعر جيد ؛ ومولده سنة ست وستين وستمائة . وتوفى الأمير حسام الدين لاجين الصغير، بقلعة البيرة ؛ ولي نيابة غزة ، ثم نيابة البيرة ، وبها مات . وتوفى (١١٠) الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبى المعالى المصرى ، بحماة ؛ تنقل فى عدة ولايات ؛ وكان جواداً كريماً كثير المال ممدوحاً . وتوفى فتح الدين أبو النون يونس بن إبراهيم بن عبد القوى بن قاسم الكنانى العسقلانى — المعروف بالدبوسى — المسند المعمر ، بالقاهرة فى جمادى الأولى ، وقد جاوز التسعين سنة ؛ حدَّث عن جماعة تفرّد بالرواية عنهم . وتوفى الأمير عز الدين أيبك الخطيرى أمير آخور ، فى ثالث عشرى ذى القعدة . و [توفى] الأمير غُرْلوا[1] الركنى ، بقوص فى ثالث ربيع الآخر . و [توفى] الأمير ساطلمش الفاخرى ، فى ثالث ذى الحجة ؛ وأنعم بإمرته على كوجبا الساقى . و [توفى] الأمير لاجين الإبراهيمى أمير جاندار ، فى تاسع عشرى (١٠ ب) ذى الحجة ؛ وأنعم بإمرته على برسبغا . وتوفى ناصر الدين محمد بن حناى ، فى يوم السبت حادى عشر ذى الحجة . وتوفى الطواشى نصر شيخ الخدام بالمدينة النبوية ومقدم المماليك السلطانية ، يوم الخميس عاشر رجب ؛ واستقرّ عوضه فى المشيخة وتقدمة المماليك الطواشى عنبر السحرتى[2] ، وكانت مدة تقدمته تسعة أشهر . ومات عز الدين القيمرى ، فى يوم السبت حادى عشرى ذى القعدة .

***

سنة ثلاثين وسبعمائة . أهلّت بيوم الأربعاء ، والسلطان بناحية سرياقوس ، وكان مسيره إليها فى سابع عشرى ذى الحجة .

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام ، فبالغ السلطان فى إكرامه ورَفْعِ منزلته (١١١) على عادته .

وفى يوم السبت رابعه استقرّ علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدر بن رحمة الأخنائى قاضى الإسكندرية فى قضاء القضاة بدمشق ، عوضاً عن علاء الدين على القونوى ؛

(١) فى ف "عزلوا" .
(٢) فى ف "عنتر السحرى" . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ١٩٩) .

واستقرّ عوضه فى قضاء الإسكندرية علم الدين الإسنوى .

وفى سادسه استقرّ الأمير بكتمر العلائى الأستادار فى نيابة غزة ، وسار إليها ، عوضاً عن عز الدين أيبك الجمالى ؛ ونقل أيبك إلى نيابة قلعة البيرة ، عوضا عن لاجين الحسامى المنصورى بحكم وفاته . وأنعم على بهادر الدمرداشى باقطاع الأمير بكتمر نائب غزة .

وفى رابع عشره توجّه الأمير تنكز إلى دمشق ، بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم (١١ب) ، وكَتَب له على الأعمال الشامية بمائة ألف أخرى .

وفى عشريه قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة ، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى ولده .

وفى تاسع صفر توجه السلطان إلى جهة الصعيد ، وصحبته صاحب حماة ، فخيّم قريبا من الأهرام ، وعاد فى ثالث عشره ، من أجل وعك بدنه ، لظهور دُمَّل فى جسده . وأقام [السلطان] بقلعة الجبل إلى حادى عشريه ، [ثم] سار فمرّ ببلاد الصعيد .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول جمع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك القضاة والفقهاء ، بسبب عمل منبر بالمدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة ، لإقامة الجمعة بها ، فأفتوه بجواز ذلك ؛ فرتّب [آقوش] خطيباً (١٢١) قرّر له فى كل شهر خمسين درهما ، ورتب ستة نَفَر عملهم مؤذنين ، لكل واحد عشرة دراهم فى كل شهر ، ولقارىء يقرأ القرآن الكريم يوم الجمعة فى مصحف أعده له مبلغاً سمّاه ؛ وأقيمت الخطبة بها فى يوم الجمعة حادى عشريه ، فكان يوماً مشهوداً . وجعل [آقوشُ] المعاليم المذكورة من عقارٍ وَقَفَه على ذلك . وفى هذا الشهر تصدّق الأمير المذكور بنحو ثلاثة آلاف أردب من الغلال .

وفى خامس ربيع الآخر عاد السلطان إلى قلعة الجبل ، بعد أن انتهى فى مسيره إلى مدينة هُوْ من الصعيد الأعْلى .

وفى ثامنه سار المؤيد صاحب حماة من ظاهر القاهرة عائداً إلى حماة .

وفى خامس عشريه سار السلطان إلى نواحى قليوب (١٢ ب) يريد الصيد ؛ فبينا هو فى ذلك إذ تقنطر عن فرسه وانكسرت يده ، وغُشى عليه ساعة وهو ملقى على الأرض؛

ثم أفاق وقد نزل إليه الأمير أيدغمش أمير آخور والأمير قمارى أمير شكار وأركباه ؛ فأقبل الأمراء بأجمعهم إلى خدمته . وعاد [السلطان] إلى قلعة الجبل فى عشية الأحد ثامن عشريه ، فجمع الأطباء والمجبرين لمداواته ، فتقدّم رجل من المجبرين يعرف بابن بوستة وقال بجفاء وعامية طباع : " تريد تفيق سريعاً اسمع منى ! " . فقال له السلطان : " قل ما عندك " ، فقال : " لا تخلّ أحداً يداويك غيرى بمفردى ، وإلا فسد حال يدك مثل ماسلَّمتَ رجلك لابن السيسى أفسدها . وأنا ما أخلّى (١٣ ا) شهراً[1] يمضى حتى تركب وتلعب بيدك الأكرة " . فأغضى السلطان عن جوابه[2] ، وسلّم إليه يده ، فتولّى علاجه بمفرده ، فبطلت الخدمة مدة سبعة وثلاثين يوماً .

ثم[3] عوفى [السلطان] ، فزينت القاهرة ومصر فى يوم الأحد رابع جمادى الآخرة ، وتفاخر الناس فى الزينة بحيث لم تعهد زينة مثلها ، وأقامت أسبوعا تفنّن أهل البلدين فيه بأنواع الترف . ونزلت ست حَدَق فى عدة من الخدام والجوارى حتى رأت الزينة ، وقد اجتمع أرباب الملاهى فى عدة أماكن بجميع آلات المغنى . هذا والأفراح بالقلعة وسائر بيوت الأمراء مدة الأسبوع ، ومع هذا فالبشائر من ضرب الكوسات مستمرة ، وكذلك طبلخاناه الأمراء ، فلم يبق أمير إلا وعمل فى بيته (١٣ ب) فرحا . وأنعم [السلطان] وخلع [على كثيرين من أرباب الوظائف[4] من الأمراء والمماليك السلطانية] .

ثم خرج السلطان إلى القصر [الأبلق][5] ، وفرّق مثالات على الأيتام ، وعمل سماطاً جليلا ، وخلع على جميع أرباب الوظائف . وأنعم [السلطان] على المجبر بعشرة آلاف درهم ، ورسم له أن يدور على جميع الأمراء ، فلم يتأخر أحد من الأمراء عن إفاضة الخلع عليه وإعطائه المال ؛ فحصل له ما يجلّ وصفه ، وكانت هذه الأيام مما يندر وقوع مثله .

(١) فى ف " شهر " .
(٢) فى ف " حوابه " ، بغير نقط البتة .
(٣) فى ف " وعوفى " .
(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ١٠٣) حيث توجد أسماء من شملهم السلطان بإنعامه وخلع عليهم من الأمراء .
(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ١٠٣) .

وفى خامس عشره قدمت رسل ريدافرنس[1] فى طلب القدس و بلاد الساحل ، وعدّتهم مائة وعشرون رجلا ، فأنكر [السلطان] عليهم [وعلى مرسلهم وأهانهم[2] ، ثم رسم بعودهم إلى بلادهم] .

وفيه سار الأمير أقبغا عبد الواحد إلى البلاد الشامية يبشر بعافية السلطان ، فدقّت فى جميع ممالك الشام (١١٤) البشائر ، وعملت بها الأفراح . وحصل لأقبغا من سائر أصناف المال ما يجلّ وصفه ، بحيث بلغت قيمته نحو مائة ألف دينار .

وفيه عُزل علم الدين الإسنائى عن قضاء الإسكندرية ، لمضادّته[3] الأمير بيبرس الجدار نائب الثغر .

وفى يوم الاثنين سادس عشريه أُفرج عن الأمير سيف الدين بهادر المعزى ، وأنعم

(١) المقصود بذلك ملك فرنسا (Roi de France) ، كما هو معروف للمشتغلين بمراجع التاريخ المصرى فى العصور الوسطى . وكان ملك فرنسا تلك السنة فيليب السادس (Philip VI, 1328-1350 A. D.) ، وهو أول ملك من بيت فالوا (Valois) على عرش فرنسا ، وقد اشتهر فى عصره بأنه من المتحمسين لفكرة الحروب الصليبية على الطراز القديم ، ومثله فى ذلك مثل كثير من ملوك أوربا وأمرائها فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى . ولقد شرع فيليب السادس يجهز تلك السنة لمشروع حملة صليبية ، وأصدر البابا حنا الثانى والعشرين (John XXII) من أجل ذلك المرسومات البابوية المعتادة ، ويظهر أن فيليب بعث رسله إلى القاهرة تلك السنة ليقدم مطالبه الصليبية إلى السلطان ، أو الحرب . على أن فيليب تلكأ فى مشروعه ، ولم يعلن عزمه النهائى على القيام بحملة صليبية حتى سنة ١٣٣٢ م (٧٣٣ هـ) ، وقدّمت له فى أثناء ذلك تقارير الدعاة من الكتاب المهتمين بفكرة الحروب الصليبية ، ومنها تقرير جاى فيجفانو (Guy de Vegevano) الطبيب الخاص للملكة برجندية (Burgundy) ، وهو تقرير واف بأنواع الأسلحة الواجب استعمالها فى الحملة الصليبية المزمع إنفاذها ، ومنها تقرير الرحالة بوركار (Burcard) ، وهو شرح للطرق الواجب اتباعها لإيصال حملة صليبية إلى الشرق ، وبيان بأهم المشاريع الصليبية . ثم انصرف فيليب عن فكرة القيام بحملة صليبية إلى الدخول مؤقتاً فى حلف ضد الأتراك العثمانيين ، واشتركت جيوشه فى الإغارة على إزمير سنة ١٣٣٤م (٧٣٥ هـ) ، وشجعه نجاح جيوشه فى تلك الحرب ، فعاد إلى مشروع الحملة الصليبية من جديد . ثم انصرف عن ذلك كله نهائياً سنة ١٣٣٥ م (٧٣٦ هـ) ، عندما وصلته أخبار إحدى الإغارات الإنجليزية على فرنسا فى ذلك العهد المعروف بعهد حروب المائة سنة بين إنجلترا وفرنسا (Camb. Med. Hist. VII. pp. 343, 345, 358, 449; Atiya: The Crusade in the Later Middle Ages. pp. 94, et soq) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ١٠٤) حيث وردت هذه الأخبار بتفصيل .

(٣) فى ف "لمصادته" ، وما هنا من ب (٤١٦ ا) . هذا وقد أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ١٠٢) بصدد القاضى الإسنائى أن السلطان لم يعزله للسبب الوارد هنا أو ما يشبهه ، وإنما استحضره من الإسكندرية وفوّض إليه قضاء القضاة بالشام ، بسبب وفاة قاضى القضاة علاء الدين القونوى .

عليه بخيل وثياب ، بعدما أقام فى الاعتقال خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوما . فلما ورد الخبر بوفاة الأمير سيف الدين بهادر آص ، أنعم بتقدمته بدمشق على الأمير علم الدين سنجر الجمقدار ، وأخرج إلى دمشق ، وأنعم على بهادر المعزى بإقطاع سنجر المذكور .

(١٤ ب) وفى هذه المدة وقع بدمشق اضطراب فى عيار الذهب ، فإنه تغيّر ونقص ، وغرم الناس فيه جملة كثيرة . وصادر الأمير تنكز أهل دار الضرب ، وأخذ منهم خمسمائة ألف درهم ، وتقرّر سعر الدينار من تسعة عشر درهما إلى أحد وعشرين درهما ، وأن يكون صرف الدينار الجديد[1] بخمسة وعشرين درهما .

وفى العشرين من شهر رجب قدمت رسل أبى سعيد بن خربندا للهناء بعافية السلطان ، فأكرموا وأعيدوا فى سابع عشريه . وقدمت أيضاً رسل الشيخ حسن [الجلايرى] [2] نائب أبى سعيد بعد رحيل المذكورين ، فأدوا رسالتهم وأعيدوا فى آخره .

وفى هذا الشهر أُحرقت كنيسة الملكية بمصر ، حتى صارت (١٥ ا) عمدها الرخام جيراً ؛ و [كان] بجانبها مسجد لم تصبه النار ؛ فرسم للنصارى بإعادتها ، فأعيدت .

وفيها اشترى الأمير قوصون دار الأمير آقوش الموصلى الحاجب — عُرفت بدار آقوش[3] نميلة ، ثم عرفت بدار الأمير جمال الدين آقوش قتال السبع — من أربابها ؛ واشترى [قوصون] أيضاً ما حولها ، وهدم ذلك وشرع فى بناء جامع . فبعث إليه السلطان بشاد العمائر[4] والأسرى لنقل الحجارة ونحوها ، فتنجّزت عمارته . وجاء [الجامع] من أحسن المبانى ، وهو بحارة المصامدة خارج باب زويلة ، قريباً من بركة الفيل . وولى بناء منارتيه رجل من أهل توريز ، أحضره معه الأمير أيتمش المحمدى ، فعملهما على منوال ما ذنة توريز . ولما (١٥ ب) كمل بناء الجامع أقيمت الجمعة به فى يوم الجمعة حادى عشر

(١) كذا فى ف ، ويلاحظ أن هذا اللفظ وارد فى ب (٤١٦ ا) برسم "الجيد" .

(٢) انظر ما سبق ، ص ...

(٣) فى ف "اقوش الموصلى الحاجب المعروف باقوش نميلة" ، وقد عدلت إلى الصيغة المثبتة هنا لتنسجم مع بقية العبارة . انظر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢، ص٣٠٧) ، حيث توجد ترجمة طويلة لهذا الأمير ، وفيها أنه كان فى الأصل بائعاً يبيع العصى ، فرآه السلطان يعرض تجارته بالإصطبل السلطانى ، فأعجبه وابتاع منه نفسه ، وصار بذلك من جملة المماليك السلطانية .

(٤) فى ف "العمارة" ، والرسم المثبت هنا من ب (٤١٦ ا) .

شهر رمضان ، وخطب به يومئذ قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى ، وخلع عليه الأمير قوصون بعد فراغه وأركبه بغلة ؛ ثم استقرّ فى خطابته فخر الدين محمد بن شكر .

و[فيها] قصد الأمير قوصون أن يتملك حمام قتال السبع — وهى الحمام المجاورة فى وقتنا هذا [لباب] (١) الجامع الذى يدخل إليه من الشارع — ، وكانت من وقف قتال السبع ؛ فاحتالوا لحلّ وقفها بأن هدموا جانباً منها ، وأحضروا شهوداً قد بيّتوا معهم ذلك ليكتبوا محضراً بأن الحمام خراب لا ينتفع به ، وهو يضرّ بالجار والمار و [الخط (٢)] ، والمصلحة فى بيع أنقاضه ، ليؤدوا هذه الشهادة عند قاضى (١١٦ ا) القضاة تقى الدين أحمد ابن عمر الحنبلى حتى يحكم ببيعه على مقتضى مذهبه . فعند ما شرع الشهود فى كتابة المحضر المذكور امتنع أحدهم من وضع خطه فيه ، وقال : "والله ما يسعنى من الله أن أدخل باكر النهار فى هذا الحمام وأتطهر فيه وأخرج وهو عامر ، ثم أشهدُ بعد ضحوة نهار أنه خراب" ، وانصرف ؛ فاستُدعى غيره ، فكتب وأثبت المحضر على الحنبلى . فابتاع الأمير قوصون الحمام المذكور من ولد قتال السبع ، وجدّد عمارته .

وفى ذى الحجة استقرّ الأمير بدر الدين بيلبك المحسنى فى ولاية القاهرة ، عوضاً عن أيدمر الزرّاق .

وفى يوم الخميس سابع عشر رمضان (١٦ ب) قدم يوسف الكيمياوى (٣) إلى مصر . وكان من خبر هذا الرجل أنه كان نصرانياً من أهل الكرك فأسلم ، ومضى إلى دمشق بعد ما خدع بمدينة صفد الأمير بهادر التقوى حتى انخدع له وأتلف عليه مالا جزيلا ؛ فلما ظهر له أمره سجنه مدة ، ثم أفرج عنه . فاتصل [يوسف] بالأمير تنكز نائب الشام ، وقصد خديعته فلم ينخدع له ، وأمر [والى دمشق] بشنقه ، فصاح وقال : "أنا جيت للسلطان حتى أملأ خزانته ذهباً وفضة" . فلم يجد [تنكز] بداً من إرساله إلى السلطان ، فقيّده وأركبه البريد مع بعض ثقاته ، وكتب بخبره وحذّر منه . فلما اجتمع [يوسف] بالسلطان مال إلى قوله ، وفكّ قيده ، وأنزله عند الأمير بكتمر الساقى ؛ (١١٧) وأجرى عليه الرواتب

(١ ، ٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤١٦ ب) .
(٣) فى ف "السكياوى" .

السنية ، وأقام له عدة من الخدم يتولون أمره ، وخلع عليه ؛ وأحضر له ما طلب من الحوائج لتدبير الصنعة ، حتى تمّ ما أراده . فحضر [يوسف] بين يدى السلطان ، وقد حضر الفخر ناظر الجيش والتاج إسحاق وابن هلال الدولة والأمير بكتمر الساقى فى عدة من الأمراء ، والشيخ إبراهيم الصائغ وعدّة من الصُّوّاغ ؛ فأوقدوا النار على بوطقة قد ملئت بالنحاس والقصدير والفضة حتى ذاب الجميع ، فألقى عليه يوسف شيئاً من صنعته ؛ وساقوا بالنار عليها ساعة ، ثم أفرغوا ما فيها فإذا سبيكة ذهب كأجود ما يكون ، زنتها ألف مثقال . فأعجب السلطان ذلك إعجاباً كثيراً ، وسُرّ سروراً زائداً ، وأنعم (١٧ ب) على يوسف بهذه الألف مثقال ، وخلع عليه خلعة ثانية ، وأركبه فرساً مسرجاً ملجماً بكنبوش حرير ، وبالغ فى إكرامه ، ومكّنه من جميع أغراضه . فاتصل به خدّام السلطان ، وقدّموا له أشياء كثيرة مستحسنة ، فاستخفّ عقولهم حتى ملكها بكثرة خدعه ، فبذلوا له مالا جزيلا . ثم سَبَك [يوسف] للسلطان سبيكة ثانية من ذهب ، فكاد يطير به فرحاً ، وصار يستحضره بالليل ويحادثه ، فيزيده طمعاً ورغبة فيه ؛ فأذن له أن يركب من الخيول السلطانية ويمضى حيث شاء من القاهرة ومصر ، فركب وأقبل على اللهو ؛ وأتاه عدة من الناس يسألونه فى أخذ أموالهم ، طمعاً فى أن يفيدهم الصنعة أو يغنيهم منها ، (١١٨) فمرّت له أوقات لا يتهيأ لكل أحد مثلها من طيبتها . ثم إنه سأل أن يتوجه إلى الكرك ، لإحضار نبات هناك ؛ فأركبه السلطان البريد ، وبعث معه الأمير طقطاى مقدم البريدية ، بعدما كتب إلى نائب غزة ونائب الكرك بخدمته وقضاء مايرسم به والقيام بجميع مايحتاج إليه من ديوان الخاص ؛ فمضى [يوسف] إلى الكرك وأبطأ خبره ، ثم قدم وقد ظهر كذبه للسلطان ، فضيّق عليه .

وفى تاسع عشر شوال قدمت رسل الملك المجاهد على من اليمن بهدية ، وفيها فيلان ؛ فأنكر [السلطان] عليهم من أجل أن المجاهد قبض على رسول ملك الهند[1] وأخذ هدية السلطان ثم قتله ، وأمر بهم فسجنوا .

وفى ليلة السبت (١٨ ب) سادس عشر ذى القعدة أخرج السلطان مَنْ فى القاهرة ومصر

(١) المقصود بالهند هنا البلاد الإسلامية من الهند ، وكان يطلق على ملكها اسم ملك "دلهى" ، وهو فى تلك السنة غياث الدين أولوغ خان محمد جنا بن طغلق (٧٢٥ — ٧٥٢ ﻫ) . انظر (Zambaur : Op. Cit. p. 285) ، وكذلك النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ١٠٥) .

من الجذمى[١] والبرصان[٢]، وأمرهم بسكنى الفيوم .

وفيه أخرب الأمير تنكز نائب الشام الحوانيت المجاورة لباب النصر خارج دمشق من ضيق الطريق، حتى وصل الهدم إلى الجسر تجاه البحر، وحفر حتى أخرج الأساسات، فصار فضاء .

وفيه جدّد الأمير قوصون خطبته بالجامع بخط المصلّى .

وفيه ابتدأ الأمير ألماس الحاجب بعمارته الجامع [الذى عرف[٣] باسمه]، بخط حوض ابن هنس خارج باب زويلة من القاهرة .

و[فيه] ابتدأ الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى فى عمارة مدرسة بجوار داره، قريباً من درب ملوخيّا بالقاهرة ؛ ووقف عليها أوقافا جليلة .

و[فيه] ابتدأ علاء الدين طقطاى أحد مماليك السلطان فى عمارة جامع بين السورين (١١٩ ا) من القاهرة، وسماه جامع التوبة[٤]، لكثرة ما كان هناك من الفساد ؛ وأقام به خطبة للجمعة .

وفى يوم الأربعاء خامس ذى الحجة استقرّ ناصر الدين ابن المحسنى فى ولاية القاهرة ؛ [وقد] نقل إليها من ولاية المنوفية، عوضاً عن عز الدين الزرّاق .

وفى يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة قُتل الأمير إلدمر أمير جندار بمكة . وكان من خبر ذلك أن أمير الركب العراقى فى هذه السنة كان من أهل توريز يعرف بمحمد الحجيج، [وكان] يتقرّب[٥] من أولاد جوبان، فترقّى بهم إلى معرفة السلطان بوسعيد، فعظم أمره

(١) الجذمى جمع أجذم، وهو المصاب بعلة الجذام (leprosy) ؛ والجذام مرض ينتشر فى البدن كله، فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها، ويحدث بحراً فى الوجه غالباً، ويتمرط شعر الأجفان، وينتهى إلى تآكل الأعضاء وسقوطها من شدة التقرح . ويقال لهذا المرض داء الأسد، لهجومه على المصاب به كما يهجم الأسد على الفريسة . (محيط المحيط) .

(٢) البرصان جمع أبرص، وهو المريض بداء البرص ؛ والبرص بياض يظهر فى ظاهر البدن لفساد المزاج، ويعرف الأسود منه بالقوباء، وهو من مقدمات الجذام . (محيط المحيط) .

(٣) أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣٠٧، وما بعدها)، حيث توجد ترجمة وافية لهذا الأمير وغيره من الأمراء الذين عنوا ببناء الجوامع والمساجد فى هذا العصر تشبّهاً بالسلطان .

(٤) هنا إشارة واضحة لأصل تسمية هذا الجامع بذلك الاسم .

(٥) فى ف "يقرب" .

وجعله من ندمائه ، و بعثه رسولا إلى مصر غير مرة . فأعجب به السلطان [الناصر] ولاق بخاطره إلى أن بلغه عنه أنه تعرّض فى مجلس أبى سعيد لشىء ذكره مما يكرهه السلطان ، فتنكّر له وأسرّ ذلك فى نفسه ؛ فلما بلغه أنه سار أمير الركب (١٩ ب) العراقى كتب إلى الشريف عطيفة بن أبى نمى سرًّا أن يتحيّل فى قتله ، فلم يجد [عطيفة] بدأ من امتثال ما أمر به ، وأطلع ولده مبارك بن عطيفة ومن يثق به على ذلك ، وتقدّم إليهم بإعمال الحيلة فيه .

فلما قضى الحاج النسك عاد منهم الأمير علم الدين سنجر الجاولى إلى مصر ، ومعه جماعة ، فى يوم الأربعاء ثانى عشر ذى الحجة . وتأخر الأمير سيف الدين خاص ترك أمير الحاج ، والأمير إلدمر أمير جاندار ، والأمير أحمد بن خالة السلطان ، ليصلوا بمكة صلاة الجمعة ، ومعهم بقية حجاج مصر . فلما حضروا للجمعة وصعد الخطيب المنبر ، أراد الشريف عمل ما رُسم له به ، وأخذ العبيد فى إثارة الفتنة بين الناس ليحصل الغرض بذلك . وأول ما بدأوا به أن عبثوا ببعض حاج العراق ، وخطفوا شيئاً من أموالهم (١٢٠) . وكان الشريف عطيفة جالساً إلى جانب الأمير خاص ترك أمير الركب ، فصرخ الناس بالأمير إلدمر — وليس عنده علم بما كتب به السلطان إلى الشريف عطيفة ، وكان مع ذلك شجاعا حاد المزاج قوى النفس — ، فنهض ومعه جماعة من المماليك ، وقد تزايد صراخ الناس ، وأتى الشريف وسبّه ، وقبض بعض قواده [و] أخرق به ، فلاطفه الشريف فلم يلن .

واشتدّ صياح الناس ، فركب الشريف مبارك بن عطيفة فى قواد مكة بآلة الحرب ، وركب جند مصر . فبادر خليل ولد الأمير إلدمُر وضرب أحد العبيد ، فرماه العبد بحربة قتله ؛ فاشتدّ حنق أبيه وحمل بنفسه لأخذ ثأر ولده فقُتل . ويقال بل صدف الشريف مبارك بن عطيفة ، وقد قصد ركب العراق وعليه آلة حربه ، فقال له : "ويلك ! تريد أن تثير فتنة ؟" ، وهمّ أن يضربه بالدبوس[1] (٢٠ ب) ، فضربه مبارك بحربة كانت فى يده أنفذها من صدره فخرّ صريعاً ؛ وقتل معه رجلان من جماعته . فركب أمير الركب عند ذلك ونجا بنفسه ، ورُمى مبارك بن عطيفة بسهم فى يده فشُلّت . واختبط الناس بأسرهم ،

(١) الدبوس — وجمعه دبابيس — آلة من آلات الحرب فى العصور الوسطى ، وكانت تصنع حسبما ذكر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) من عود طول نحو قدمين من الخشب الغليظ ، فى أحد طرفيه رأس من حديد قطرها ثلاث بوصات تقريبا . (massue casse- tête, longue d'environ deux pieds et terminée par une tête revêtue de fer, qui a environ trois pouces de diamétre) .

وركب أهل مكة سطح الحرم ، ورموا أمير أحمد [ابن خالة السلطان] ومن معه بالحجارة ، وقد أفرغ نشابه بين يديه هو ومن معه ، ورمى بها حتى خلص أيضاً ؛ وفرّ أمير ركب العراق . وتحيّر الشريف عطيفة فى أمره ، وما زال يدارى الأمر حتى خرج الحاج بأجمعهم من مكة ، وتوجهوا إلى بلادهم .

وكان من غريب الاتفاق أن فى يوم الجمعة الذى قتل فيه إلدمر كأنما نودى فى القاهرة ومصر وقلعة الجبل بقتل إلدمر فى فتنة كانت بمكة فى هـذا اليوم ، وتحدّث الناس بذلك (١٢١) حديثاً فاشياً إلى أن بلغ السلطان وأمراء الدولة . فلم يعبأوا به ، وجعلوه من ترهات العامة .

وأغرب من ذلك أن الأمير علم الدين سنجر الخازن كان كاشفاً بالغربية[١] من نواحى القاهرة ، فلما عاد إلى منزله بعد صلاة عيد الأضحى[٢] وافاه أحد غلمانه وقد حضر إليه من القاهرة ، فأخبره أنه أشيع بالقاهرة أن فتنة كانت بمكة قُتل فيها الأمير إلدمر أمير جندار ، فسخر من قوله وقال : "هذا كلامٌ لا يقبله عاقل" ؛ وأخذ الخبر ينتشر حتى تحدّث به كل أحد .

واتفق فى هذه السنة أنه وصل [صحبة[٣]] حاج العراق فيل من جهة الملك أبى سعيد يحمل محملهم ، فتشاءم الناس به وقالوا : "هذا عام الفيل" ؛ فـكان من الفتنةِ بمكة وقتلِ إلدمر ما كان . فلما قارب حاج العراق ذا الحليفة من المدينة النبوية وقف الفيل وتقهقر ، فضربوه ليسير ، فصار كلما أكره على أن يتقدم (٢١ ب) إلى جهة المدينة تأخّر إلى ورائه . هـذا وهم يضربونه وهو يتأخر إلى أن سقط ميتاً ، وذلك فى ثالث عشرى ذى الحجة . ويقال إنه بلغت النفقة على[٤] [هذا الفيل] منذ خرج من العراق إلى أن هلك زيادة على ثلاثين ألف درهم ، ولم يُعرف مقصد أبى سعيد فى بعثه الفيل إلى مكة .

وفيها نُقل شمس الدين محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجد بن حمدان — الشهير بابن النقيب — الشافعى ، من قضاء طرابلس إلى قضاء القضاة بحلب ، عوضاً عن فخر الدين عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم المعروف بابن البارزى

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤١٨ ا) .

(٢) فى ف "عيد الفطر" ، والمثبت هنا أصح . انظر ما يلى .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤١٨ ب) .

(٤) فى ف "عليه" ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

بعد وفاته ؛ واستقرّ فى قضاء طرابلس شمس الدين محمد بن الجد .

وفيها بلغت زيادة ماء النيل عشرة أصابع من ثمانية عشر ذراعا . وكان (١٢٢) وفاؤه يوم الأحد خامس عشرى شوال ، وهو تاسع عشر مسرى .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر أحمد بن أبى طالب بن أبى النعم بن نعمة بن الحسن بن على — المعروف بابن الشحنة — الحجّار[١] الصالحى الدمشقى ، فى خامس عشرى صفر ؛ ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة ؛ وقد صار مسند الدنيا ، وتفرّد بالرواية عن ابن الزبيدى وابن الليثى مدة سنين لا يشاركه فيها أحد ، وسمع الناس عليه صحيح البخارى أكثر من سبعين مرة ، وقدم القاهرة مرتين وحدّث بها . وتوفى الأمير سيف الدين بهادر آص أحد أمراء الألوف ، بدمشق فى تاسع عشر صفر ؛ وأنعم بإقطاعه على الأمير سنجر الجمقدار ؛ وكان شجاعا مقداما فى الحرب ، ولى نيابة صفد ؛ وكان له أربعة أولاد ، منهم اثنان أمراء[٢] ، فكان يُضرب على بابه ثلاث (٢٢ ب) طبلخاناه . و[توفى] الأمير سيف الدين بلبان الكوندى المهمندار الدوادارى ، بدمشق فى نصف جمادى الأولى ؛ وكان أحد الأمراء العشراوات . و[توفى] الأمير سيف الدين بلبان الصرخدى الظاهرى ، أحد أمراء الطبلخاناه ، بالقاهرة فى العشرين من جمادى الآخرة ؛ وقد تجاوز الثمانين ، وكان خيّراً . و[توفى] الأمير قلبرص[٣] بن الحاج طيبرس الوزيرى ، بدمشق ليلة الجمعة ثامن ذى القعدة . و[توفى] الأمير سيف الدين بلبان الجمقدار المعروف بالكركند ، فى سابع ربيع الآخر ؛ كان من كبار الأمراء . و[توفى] الأمير سيف الدين بلبان الكوندكى[٤] أحد أمراء دمشق ، فى سابع عشرى شعبان ؛ وخرج طيبغا حاجى على إقطاعه ؛ وكان جواداً . و[توفى] الأمير سيف الدين إلدمر أمير جندار مقتولا ، بمكة فى يوم (١٢٣) الجمعة رابع عشر ذى الحجة ؛ وله

---

(١) كذا فى ف بغير نقط ، انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ١٤٢ — ١٤٣) ، حيث ورد فى ترجمة هذا الشيخ أنه كان فى الأصل حجّاراً بالقلعة .

(٢) هنا إشارة إلى ما كان فى نظام الدولة المملوكية من إمكان تأمير أولاد الأمراء فى حياة آبائهم .

(٣) فى ف "قلبرص" ، والرسم المثبت هنا من ب (١٤١٨ ا) . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٥٥) ، حيث ورد هذا الاسم برسم "قلبوس" .

(٤) ذكر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ص ٤٩٤) أن هذه التسمية نسبة إلى الأمير كوندك ، أحد أمراء السلطان الملك السعيد بركه خان بن الظاهر بيبرس .

خارج باب زويلة من القاهرة حمامات؛ وكانت أمواله جزيلة. و[توفى] القاضى علاء الدين على ابن القاضى تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير كاتب السر، فى يوم الأربعاء خامس عشر المحرم، بعد ما أصابه مرض الفالج مدة سنة كاملة، وهو ملازم بيته؛ وكان ذا سعادة جليلة وحرمة وافرة وجاه عريض، [و] يُضرب به المثل فى الحشمة. و[توفى] الوزير شمس الدين أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن أحمد بن سهل الأسدى الغرناطى الأندلسى، بالقاهرة قافلا من الحج؛ وكان صاحب فنون من قراآت وفقه ونحو وأدب وتاريخ. و[توفى] ناصر الدين شافع[1] بن محمد بن على بن عباس بن إسماعيل الكنانى العسقلانى، سبط ابن عبد الظاهر، فى سابع عشرى شعبان بعد ما عمى؛ وكان أديباً مشاركا فى (٢٣ ب) عدة علوم، وله عدّة مصنّفات ونظم جيد ونثر مليح، وهو أحد كتاب الإنشاء. و[توفى] سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا، فى يوم السبت سابع عشرى رمضان؛ ولى نظر البيوت ونظر الرواتب، ثم ولى الوزارة فى أيام بيبرس وسلار، ثم صرفه الملك الناصر لما قدم من الكرك وصادره، فلزم بيته حتى مات. و[توفى] الأمير سيف الدين قدادار والى القاهرة، فى سادس عشر صفر؛ وأنعم بإمرته على الأمير طاجار[2] القبجاقى؛ [و] أصله من مماليك الأمير برلغى، وترقّى إلى أن ولى ولاية الغربية وولاية البحيرة وولاية القاهرة، وتمكن فيها تمكنا زائداً، وكان جريئاً على الدماء؛ ثم صُرف عن ولاية القاهرة بناصر الدين محمد بن المحسنى، وأقام فى داره إلى أن خرج إلى الحج وهو ضعيف، (٢٤ ا) ثم قدم فلزم الفراش حتى مات. و[توفى] الأمير بلبان الديسنى[3]، فى خامس عشر ربيع الأول؛ وأنعم بإمرته على برلغى. و[توفى] الأمير كجكن[4] الساقى فى سادس صفر، وأنعم بإقطاعه على سنقر الخازن. و[توفى] الأمير ناصر الدين محمد بن ملكشاه فى ثانى عشر صفر، وأنعم بإقطاعه على بكمان[5]. و[توفى] الشيخ شمس الدين محمد بن الرومى، شيخ خانكاه بكتمر الساقى، فى يوم الأحد

(١) فى ف "مشافع"، والرسم المثبت هنا من ب (٤١٩ ا). انظر أيضا ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٨٤).

(٢) فى ف "ماجار". انظر ما سبق، ص ٢٦٤، حاشية ٥.

(٣) بغير نقط فى ف، والرسم المثبت هنا من ب (٤١٩ ب).

(٤) فى ف "كجكنا". انظر ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٦٥).

(٥) كذا فى ف، وكذلك فى ب (٤١٩ ب) أيضا.

ثالث عشرى ذى الحجة ؛ وولى عوضه الشيخ زاده الدّوقانى[١] . و[توفى] الشيخ زين الدين أيوب بن نعمة الكحال[٢] البالسى ، فى ذى الحجة ، وقد أناف على التسعين ؛ حدّث بمصر ودمشق عن المرسى والرشيد العراقى فى آخرين ، وانفرد بالرواية[٣] . و[توفى] ركن الدين عبد السلام بن قطب (٢٤ ب) الدين عبد القادر بن محمد بن أبى صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلانى ، فى آخر جمادى الآخرة بدمشق ؛ قدم القاهرة مراراً ، وخالط الأمراء ؛ وكانت له مكارم . و[توفى] فخر الدين أبو عمرو عثمان بن الجمال أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهرى ، فى رجب ؛ [ودفن[٤]] بزاوية أبيه خارج باب البحر من القاهرة ؛ ومولده سنة سبعين وستمائة ؛ سمع الحديث من جماعة كثيرة وحدّث[٥] .

***

سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة . أهلت بيوم الاثنين . وفى ثالث المحرم قدم مبشرو الحاج ، وأخبروا بما وقع بمكة من الفتنة وقتل الأمير إلدمر [أمير جندار] وولده ؛ فتعجب الناس من صحة ما أُشيع [بالقاهرة] من قتل[٦] إلدمر فى يوم قتله . فشقّ على السلطان ذلك ، وكتب بإحضار الشريف عطيفة (١٢٥) أمير مكة وولده وقواده .

وفى ثانى عشره خُلع على الأمير عز الدين أيدمر العلائى الجقدار المعروف بالزرّاق ، المستقرّ فى ولاية القاهرة ؛ ورسم له أن يكون أمير جندار . ثم خُلع على الأمير سيف الدين

(١) كذا بضبطه فى ف .

(٢) فى ف " الفحال " ، والرسم المثبت هنا من ب (٤١٩ ب) . انظر أيضا ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٣٤ — ٤٣٥) ، حيث ورد فى ترجمة هذا الشيخ أنه تكسب بصناعة الكحالة سبعين سنة .

(٣) يلى هذا فى ف ، وفى ب (٤١٩ ب) أيضا ، وفاة لم تحدث تلك السنة ، ونصها : " و [توفى] الامير حسام الدين طلطاى الجوبانى كاشف الوجه القبلى " ، إذ ورد فيما يلى (ص ٣٣٥ ، سطر ٨) أن هذا الأمير كان لا يزال على قيد الحياة ، وقد ذكر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٠٩) أنه توفى سنة ٧٣١ هـ ؛ ولذا تعين حذف هذه الوفاة من هنا ، وهى واردة فى وفيات السنة المشار إليها فيما يلى . (انظر ص ٣٣٩) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤١٩ ب) .

(٥) هنا ينتهى الجزء الحادى والثلاثون من كتاب نهاية الأرب للنويرى ، وهو آخر الموجود من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة .

(٦) انظر ما سبق ، ص ٣٢٣ .

أرنبغا السلحدار ، واستقرّ أمير جندار عوضاً عن إلدمر .

وفى تاسع عشريه استقر فخر الدين محمد بن تاج الدين محمد بن مؤتمن الدين الحارث ابن مسكين الشافعى فى قضاء الإسكندرية ، وتوجه إليها فى عاشر ربيع الأول .

وفى المحرم هذا قدم الحاج ، وأخبروا بكثرةِ الفتن بمكة بين الشريفين عطيفة ورميثة وقوةِ رميثة على عطيفة ونهبِه مكة وخروجِه عن الطاعة ، وأنه لم يلق ركب الحجاج ؛ فكُتب بحضوره . فلما ورد المرسوم بطلب (٢٥ ب) الشريفين إلى مصر اتفقا وخرجا عن الطاعة ، فشقّ ذلك على السلطان ، وعزم على إخراج بنى حسن من مكة . وتقدم [السلطان] إلى الأمير سيف الدين أيتمش أن يخرج بعسكر إلى مكة ، وعيّن معه من الأمراء الأمير طيدمر الساقى ، و [الأمير] أقبغا آص ، و [الأمير] آقسنقر ، و [الأمير] طرقش ، و [الأمير] طقتمر الأحمدى ، و [الأمير] طقتمر الصّلاحى ، وأربعة عشر من مقدمى الحلقة ، وعدة من أعيان أجناد الحلقة . ثم استدعى [السلطان] الأمير أيتمش بدار العدل ، وقال له بحضرة القضاة : "لا تدع فى مكة أحداً من الأشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم ؛ وَنَادِ بها من أقام منهم حلّ دمه . ثم أحرقْ جميع وادى نخلة ، وألق فى نخلها النار حتى لا تدع شجرة مثمرة ولا دمنة عامرة ، وخرّبْ ما حول مكة من المساكن ، وأخرجْ حرم الأشراف منها ، وأقمْ (٢٦ ا) بها بمن معك حتى يأتيك عسكر آخر" . فقام فى ذلك قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى ، ووعظ السلطان وذكّره بوجوب تعظيم الحرم ، إلى أن استقرّ الأمر على أن كُتب لرميثة أمان وتقليد بإمرة مكة . وسار العسكر من ظاهر القاهرة فى نصف صفر (١) ، وعدتهم سبعمائة فارس .

وفى سابع ربيع الأول توجه السلطان إلى سرياقوس ، فأقام بها أياماً ؛ ثم سار إلى البحيرة والمنوفية ، ومضى على الجيزة إلى البهنساوية ؛ وعاد إلى قلعة الجبل فى حادى عشر ربيع الآخر .

وفى يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الأول استقرّ شرف الدين أبو محمد عبد الله بن

---

(١) فى ف "رجب" ، والمثبت بالمتن من ب (١٤٢٠) . انظر أيضا (Zetterstéen : Op. Cit. P. 182) .

الحسن بن عبد الله بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على المقدسى الحنبلى فى قضاء (٢٦ ب) الحنابلة بدمشق ، عوضاً عن عز الدين محمد بن سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبى عمر بعد وفاته .

وفى مستهل ربيع الآخر تولى علاء الدين الطويل المنوفية ، ثم بطل ذلك ؛ وتولى فخر الدين أياس الدوادارى المنوفية فى اليوم المذكور .

وفى حادى عشريه خُلع على ركن الدين الكركرى ، واستقرّ فى ولاية قوص عوضاً عن غرس الدين خليل أخى طقصبا .

وفى ثالث عشريه سار السلطان إلى ناحية طَنَان[١] ، وأقام هناك أياماً ؛ ثم عاد إلى الجيزة ، فأقام بها عدة أيام . ثم توجه [السلطان] إلى الحمامات[٢] ، ثم رجع فدخل قلعة الجبل فى رابع جمادى الأولى . وقدم عليه فى سفره هذا رسل الملك أبى سعيد بن خر بندا .

وفى (١٢٧) حادى عشريه [أيضا] استقرّ الأمير عز الدين أيدمر العلائى — المعروف بأستادار ألطنبغا الحاجب — فى ولاية الوجه البحرى ، وكان والى أسيوط ومنفلوط .

وفى يوم الاثنين سابع عشريه مات الأمير أرغون الدوادارا نائب حلب ؛ فخُلع على الأمير علاء الدين ألطنبغا الصالحى بنيابة حلب فى يوم الخميس آخره ، وتوجه اليها .

وفى جمادى الأولى مرض القاضى تاج الدين إسحاق ناظر الخاص ، وتوفى يوم الاثنين أول جمادى الآخرة . وترك [القاضى تاج الدين] من الأولاد علم الدين إبراهيم ناظر الدولة ، وشمس الدين موسى ، وسعد الدين ماجد ، بعدما وصّى بهم الفخر ناظر الجيش ؛ فتوسّط [الفخر] لهم مع السلطان إلى أن استدعى من الغد شمس الدين موسى وخلع عليه وقرّره فى (٢٧ب) نظر الخاص ووكالة السلطان عوضا عن أبيه ، وقد كان ينوب عنه فى حياته ؛

(١) طنان بلدة تابعة لمركز قليوب بمديرية القليوبية الحالية . انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٠٢ ، حاشية ٤) .

(٢) الحمامات — وتعرف الآن باسم كوم الحمام — بلدة على مسافة أربعة كيلومترات غربى كوم تروجة ، وهى من أراضى ناحية زاوية صقر ، بمركز أبى المطامير بمديرية البحيرة ؛ وكانت الحمامات هذه من متنزهات السلاطين . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة — طبعة القاهرة — ج ٨ ، ص ١٧ ، حاشية ١) ، وكذلك ابن إياس (بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٢٦) .

وأقرّ [السلطان] أخاه علم الدين إبراهيم فى نظر الدولة ، وأقرّ علاء الدين بن هلال الدولة فى شدّ الدواوين وشدّ الخاص ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه .

و [فيه] استقرّ علاء الدين محمد بن نصر الله الجَوْجَرِى شاهد الخزانة فيما كان بيد شمس الدين موسى قبل ولايته نظر الخاص .

و [فيه] استقرّ جمال الدين يوسف أخو قنغلى فى ولاية الشرقية ، بسفارة الأمير بكتمر الساقى ؛ واستقرّ أخوه شجاع الدين قنغلى فى ولاية البهنساوية .

وفى يوم السبت سادسه خُلع على عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة ، واستقرّ فى وكالة السلطان عوضا عن التاج إسحاق ناظر (١٢٨) الخاص بعد وفاته .

وفى سابع جمادى الآخرة قدم الأمير أيتمش بالعسكر المجرد إلى مكة ، فكانت مدة غيبتهم أربعة أشهر تنقص ثمانية أيام . وكان من خبرهم أنهم لما قدموا مكة كان الشريف رميثة قد جمع عربا كثيرة يريد محاربتهم ، فكتب إليه الأمير أيتمش يعرّفه بأمانِ السلطان له وتقليدِه إمرة مكة ، ويحثه على الحضور إليه ويرغّبه فى الطاعة ، ويحذّره عاقبة الخلاف ويهدّده على ذلك ، ويعرّفه بما أمر به السلطان من إجلاء بنى حسن وأتباعهم عن مكة . فلما وقف [رميثة] على ذلك اطمأنّ إلى الأمير أيتمش ، وأجابه بما كان قد عزم عليه من الحرب لو أنّ غيره قام مقامه ، وطلب منه أن يحلف هو ومن معه ألا يغدره ، وأن يقرضه مبلغ (٢٨ ب) خمسين ألف درهم يتعوّضها من إقطاعه . فتقرّر الحال على[1] أن بعث إليه الأمير أيتمش عشرة أحمال من الدقيق والشعير والبقسماط وغيره ، ومبلغ خمسة آلاف درهم ؛ فقدم حينئذ .

فلما قارب [رميثة] مكة ركب الأمير أيتمش بمن معه إلى لقائه ، فإذا عدة من قواده مع وزيره قد تقدموه ليحلّفوا له العسكر ، فعادوا [بهم] إلى الحرم وحلفوا له أيمانا مؤكدة ، ثم ركبوا إلى لقائه وقابلوه بما يليق به من الإكرام . فلبس [رميثة] تشريف السلطان ، وتقلّد إمارة مكة ؛ وعزم على تقدمة شىء للأمراء ، فامتنعوا أن يقبلوا منه

(١) فى ف "الى" ، وما هنا من ب (١٤٢١) .

هدية ، وكتبوا إلى السلطان بعود الشريف إلى الطاعة ، وخرجوا من مكة يريدون القاهرة . فلما وصلوا دخل الأمير أيتمش على السلطان ، فشكره على ما كان منه . وكان قاضى القضاة جلال الدين القزوينى (١٢٩ ا) حاضراً ، فأكثر من الثناء على أيتمش ، وقال : " هذا الذى فعله هو الإسلام " .

وفيه قدم الأمير [تنكز] (١) نائب الشام فى يوم الاثنين سادسه ، ومعه الأمير سيف الدين أرقطاى نائب صفد . فأكرم السلطان الأمير أرقطاى وقرّبه ، وتقدّم إلى جميع الأمراء أن يقدموا له التقادم ، فقدّم له كل أحد على قدر همته ؛ وأنعم السلطان على أحد ولديه بإمرة طبلخاناه ، وعلى الآخر بإمرة عشرة . وكان سبب قدومه من صفد أن الأمير تنكز لما توجه فى السنة الخالية من دمشق يريد القدوم على السلطان على عادته ، ركب الأمير أرقطاى من صفد ليلقاه من رأس اللجون ، ومدّ له سماطا جليلا ، وركب إلى لقائه ؛ فلم ينصفه الأمير تنكز فى السلام عليه ، وسار حتى قرب من السماط فلم يلتفت إليه ولا نزل له(٢) ، ومرّ من غير (٢٩ ب) أن يأكل منه . فشقّ ذلك على أرقطاى ، وقيل لتنكز إنه قد انكسر خاطره من الأمير ، فقال : " ومن قال له يعمل هذا ؟ " . فبلغ ذلك السلطان ، فعتبه عند حضوره على ما كان منه لأرقطاى ، وقال له : " وماذا كان يصيبك لو أكلتَ طعامه ؟ " ، وأمره أن يحضره صحبته إذا قدم فى السنة الآتية ؛ وكُتب لأرقطاى أن يحضر مع الأمير تنكز . فلما خرج الأمير تنكز من دمشق فى هذه السنة ، وتلقّاه أرقطاى ، أكرمه [تنكز] ومضى به معه إلى مصر ، ثم سافرا إلى محل كفالتهما فى يوم الثلاثاء سادس عشره .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رجب توجه الأمير سيف الدين طَرْغاى(٣) الجاشنكير ، والأمير بَيْغَرا ، والأمير مَلِكْتَمُر السَّرْجُوانى — وقد استقرّ فى نيابة الكرك — ، بإبراهيم ولد السلطان إلى [مدينة] الكرك ليقرّوه بها (١٣٠ ا) ، فوصلوا به إليها ؛ وعادوا منها ومعهم أحمد ابن السلطان ، وكان قد توجه قبل ذلك إلى الكرك ؛ فقدموا به قلعة

---

(١) موضع ما بين الحاصرتين آثار كتابة ممحوة محوا تاما فى ف ، وما هنا من ب (١٤٢١) .
(٢) فى ف "معه" ، وما هنا من ب (١٤٢١) .
(٣) فى ف "الامير سيف الدين طرغاى الجاشنكير والامير بتغرا والامير ملكتمر السرجولى" ، وقد أصلحت الأسماء وضبطت من (Z rstéen : Op. Cit. P. 183) .

الجبل فى يوم السبت سادس عشر شعبان، ومعه الأمير بهادر البدرى نائب الكرك. فختن [الأمير] أحمد ابن السلطان يوم الاثنين ثامن عشره، بعد وصوله بيومين.

وفيه قدمت رسل ملك الهند(١)، وكان مجيؤهم من جهة بغداد، فأكرموا وخلع عليهم، وساروا فى آخره.

وفى يوم الأربعاء خامس رمضان أفرج عن الشريف وَدِيّ أمير المدينة النبوية(٢)، وعن خرص ابن أخيه—وكانا قد اعتقلا بقلعة الجبل فى أول شوال سنة تسع وعشرين—؛ فرُتِّب لهما راتب حسن مدة، ثم أنعم عليهما بإقطاع فى الشام، وسارا إليها؛ فمات خرص، ثم ولى ودى إمرة المدينة.

وفى هذا الشهر فرّ يوسف الكيمياوى (٣٠ ب) من سجنه، فنودى عليه بالقاهرة ومصر، وسرحت البطائق على أجنحة الحمام لولاة الأعمال بتحصيله.

وفى عاشره خُلع على الأمير ملكتمر السرجوانى(٣)، واستقرّ فى نيابة الكرك، عوضاً عن بهادر البدرى، وسافر من يومه.

وفى يوم السبت خامس عشره حُمل من خزانة الخاص بالقلعة مهر آنوك ولد السلطان إلى بنت الأمير بكتمر الساقى: وهو عشرة آلاف دينار، ومائتان وخمسون تفصيلة حرير مثمنة، ومائة نافجة(٤) مسك، وألف مثقال عنبر خام، ومائة شمعة موكبية، وثلاثة أرؤس من الخيل مسرجة ملجمة، وخمسة مماليك على يد كل مملوك بقجة. وسُلّم ذلك إلى الأمير أيدغمش أمير آخور، والأمير طقتمر الخازن دوادار القاضى شمس الدين (١٣١) موسى ناظر الخاص؛ وألبس الثلاثة تشاريف جليلة، وتوجهوا بذلك إلى بيت الأمير بكتمر الساقى، فكان يوماً مشهوداً. وعُقد العقد، وعُملت المهمات والأفراح الملوكية.

وفى يوم الاثنين نصف شوال رسم بعزل نواب قضاة القضاة الأربعة(٥) بالقاهرة ومصر، وكانت عدتهم قد بلغت نحو الخمسين نائباً، فعزلوا بأجمعهم(٦).

(١) انظر ما سبق، ص ٣٣٢، حاشية ١.
(٢) فى ف "الشريفه".
(٣) فى ف "السرحولتى". انظر الصفحة السابقة، سطر ١٩.
(٤) النافجة — والجمع نوافج — وعاء لحفظ المسك خاصة. (قاموس المحيط).
(٥) فى ف "الاربع".
(٦) هنا إشارة توجب الالتفات لعدد نواب الحكم (القضاة)، بمصر والقاهرة فقط، فى هذا العهد.

وفى أول ذى القعدة سار الأمير صلاح الدين يوسف دوادار قبجق ، رسولا إلى أبى سعيد ملك العراق .

وفى يوم الأحد ثالث عشره كُتب كتاب الأمير ملجك[1] ابن أخت الأمير قوصون على بنت الأمير تنكز نائب الشام . وحُملت إليه من دمشق ، وصحبتها أموال جزيلة وتحف جليلة ؛ فعملت أفراح سنية مدة أيام .

وفيه أيضاً كان (٣١ ب) وفاء النيل وهو خامس عشرى مسرى .

وفى سابع عشره استقرّ شهاب الدين الإقفهسى فى نظر الدولة ، عوضا عن تقى الدين عمر بن محمد بن السلعوس[2] .

وفى يوم الاثنين خامس ذى الحجة أسلم من الكتاب النصارى المهذبُ كاتب الأمير بكتمر الساقى ، والنشو مستوفى الدولة ، والعلم بن فخر الدولة مستوفى الدولة أيضاً .

وفى يوم السبت سابع عشره ركب السلطان إلى الميدان الذى استجدّه ، وقد كملت عمارته . وكان قد رَسم فى أول هذه السنة بهدم مناظر الميدان الظاهرى وتجديد عمارته ، وفوّض ذلك إلى الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى ، فهدمها وباع أخشابها بمائة ألف درهم وألفى درهم ، واهتمّ فى عمارةٍ جديدةٍ ؛ فكمل [البناء] فى مدة شهرين ، وجاء (١٣٢) كأحسن شئ يكون . فخلع عليه السلطان ، وفرّق على الأمراء الخيول المسرجة الملجمة .

وفى هذا الشهر قُبض على يوسف الكيمياوى بمدينة أخميم ، وحمل مقيّداً ، فوصل إلى قلعة الجبل فى رابع عشريه . ومثل [يوسف] بين يدى السلطان ، فسأله عن المال ، فقال : "عدم منى" . فسأله [السلطان] عن صناعته فقال : "كل ما كنت أفعله إنما هو خفة يد" ، فعوقب عقوبة شديدة بالضرب ، ثم حمل إلى خزانة شمائل سجنِ أرباب الجرائم بجوار باب زويلة من القاهرة ، فمات ليلة الأحد خامس عشريه ، فسمّر وهو ميت وطيف به القاهرة [على جمل][3] فى يوم الأحد .

وكان قد عزم السلطان على أن يؤمّر ولده أحمد المحضَر من الكرك ؛ فركب الأمير

(١) كذا فى ف ، وهو فى ب (١٤٢٢) برسم "ملجك" .
(٢) فى ف "السعلوس" .
(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٢٢ ب) .

بكتمر الساقى وسائر الأمراء وجميع الخاصكية إلى القبة المنصورية بين القصرين فى خدمة الأمير أحمد (٣٢ ب) وهو بشربوش وعلى رأسه سنجق ؛ وأُمّر معه أيضاً ثلاثة أمراء عشراوات فى يوم الاثنين سادس عشريه . وألزم الأمير ناصر الدين بن المحسنى والى القاهرة جميع أرباب الحوانيت بالقاهرة أن يوقدوا الشموع والقناديل ويزيّنوا القاهرة ، فزينّوا الأسواق وأشعلوا الشموع والقناديل ؛ وجاس أرباب الملهى فى عدة أماكن يضربون بآلاتهم فرحاً بتأمير أحمد ابن السلطان[١].

واتفق فى هذه السنة توالى الأفراح ، لأجل عافية السلطان ، وتزويج ولده آنوك ، وتزويج ملجك[٢] بن أخت قوصون ، وتأمير[٣] أحمد ابن السلطان .

وفيه ورد الخبر بإفساد العرب ببلاد الصعيد وقطعِهم الطريق ؛ فاستُدْعى طُلُظَيْه[٤] متولى الشرقية ، وخُلع عليه ، واستقرّ فى كشف (١٣٣) الوجه القبلى ؛ فسار فى تجمل كبير ، وأوقع بأهل الصعيد ، وقتل كثيراً من العربان ، ولم يراع أحداً من الأمراء فى بلاده ؛ فعظمت مهابته ، وخاف كل أحد بادرته .

وفى سابع عشره نزل السلطان إلى الميدان تحت القلعة ، وعيّن الأمير أرنبغا[٥] أمير جندار ، للسفر مع الأمير أحمد ابن السلطان . وخرج طُلب الأمير أحمد ومعه الأمراء والحجاب ، فسار إلى الكرك ، وتسلّمه الأمير ملكتمر السرجوانى[٦] نائبها ، وأُمر بتربيته وتأديبه .

وفيه قدمت رسل ملك[٧] البلغار بكتابه يترامى على مراحم السلطان ، ويسأل أن

(١) هنا وصف لحفلة تأمير ، مما يلقى ضوءا على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصور الوسطى .

(٢) كذا فى ف ، وهو فى ب (٤٢٢ ب) برسم "بلجك". انظر الصفحة السابقة ، سطر ٣ .

(٣) فى ف "تامر".

(٤) فى ف "صلديه" ، انظر ما سبق ، ص ٣٠١ ، حاشية ٦ .

(٥) فى ف "اروم بغا" . انظر ما سبق ، ص ٣٢٩ ، سطر ١ .

(٦) فى ف "السرحولى". انظر ص ٣٣٢ ، سطر ١٩ .

(٧) كان ملك البلغار تلك السنة حنا إسكندر (John Alexander) ؛ وقد تولى إسكندر هذا عرش البلغار حديثا ، واتخذ لنفسه اقب آسن (Asen) تيمنا بذكرى أحد أبطال التاريخ البلغارى فى العصور الوسطى ، وذلك بعد أن طرد سلفه الملك حنا استيفن (John Stephen) وأمه السربية =

يَبعث إليه سيفا وسنجقا ليقهر به أعداءه . فأُكْرِمت رسله ؛ وجهزت[(١)] له خلعة طرد وحش مقصب بفرو سنجاب ، مقنـدس[(٢)] على مفرّج[(٣)] سكندرى ، وكلفتاه زركش ، وشاش بطرفين رَقْم[(٤)] ، (٣٣ب) وحياصة ذهب ، وكَـلالِيْب[(٥)] ذهب ، وسيف محلّى ، وسنجق سلطانى أصفر مذهب[(٦)] .

وفيها كثرت الشكاية من جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة جلال الدين القزوينى بكثرة لعبه ، ورُفعت فيه عدة قصص للسلطان . فبعث السلطان إلى أبيه على لسان الفخر

= عن البلاد. وعلى هذا فالمحتمل أن رسل البلغار المذكورين هنا إما أنهم كانوا من عند حنا استيفن الذى أخذ يستنجد بإمبراطور الدولة البيزنطية وغيره من الملوك لإعادته إلى عرش البلغار ، وإما أنهم كانوا من عند إسكندر الذى خشى من تدخل السلطان الناصر لدى القسطنطينية لإرجاع حنا إلى عرشه ، وإما أنهم جاءوا إلى القاهرة من عند إسكندر يرجون من السلطان وساطته لدى السلطان العثمانى أرخان ليقف إغاراته على شواطىء البلغار . راجع (Camb. Med. Hist. IV. PP. 538-539, 544, 590, 661) ، وكذلك القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤١٨) حيث ورد أن الرسل المذكورين هنا قد جاءوا من عند صاحب "السرب والبلغار" .

(١) فى ف "جهز" .

(٢) فى ف "بقندس" ، وما هنا من ب (٤٢٢ ب) ، وهو الصحيح ، فالمقندس — ويقال المقندز أيضا — حسبما شرح (Dozy : Supp. Dict. Art.) القماش المنسوج من فراء القنـدس وغيره من الفراء (composé de fourrure de castor, ou mêlé de castor) . أما القندس فهو السمّـور ، واسمه فى الإنجليزية (castor) ، ويعرف أيضا باسم حيوان الـكستور ، وهو فى محيط المحيط كلب الماء . انظر أيضا القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤١٩) .

(٣) فى ف "مفرح" . انظر ما سبق ، ص ١٦٤ ، حاشية ٧ . انظر أيضا : (Quatremère : Op. Cit. II 2. p. 78) .

(٤) الشاش ما يلفّ حول غطاء الرأس من قماش ، وقد وصف (Dozy : Vêtements) الشاش الرقم بلفظ (rayé) أى المخطّـط أو المسطّـر ، على أنه يفهم من القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٢) أن المراد بالشاش الرقم ما كان موصولا به طرفان من حرير أبيض ، مرقومان بألقاب السلطان ، مع نقوش باهرة من الحرير الملوّن .

(٥) الـكلاليب جمع كلاّب ، وهو ما يعـبّر عنه بلفظ مشبك (agrafe) وأكثر ما يكون استعماله فى تحلية الـكلوتة . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، و (Quatremére : Op. Cit. II. 2. P. 78) ، وكذلك القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٢) .

(٦) ذكر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٢ — ٥٤) أنواع الخلع والتشاريف التى كان السلطان يخلعها على أمرائه حسب مراتبهم ، ومنه يستفاد أن الخلعة الواردة أوصافها وأجزاؤها هنـا كانت تخلع فى العادة "لأصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم" ، ومعنى ذلك أن ملك البلغار المذكور هنا كان فى تلك المرتبة فى مصطلح السلطنة المملوكية ، ولعلّ ذلك راجع إلى أنه كان يدين لدولة المغول ببلاد القبجاق بشىء من التبعية و"الانقياد والطاعة" ، وذلك على حدّ قول القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤١٩) .

ناظر الجيش يأمره بكفه عن ذلك ، فلم ينته عن لعبه ؛ فرُسم بسفره من القاهرة إلى الشام ، فسار على خيل البريد .

وفيها ولى عز الدين [بن عبد العزيز[1] بن قاضى القضاة بدر الدين محمد] بن جماعة وكالةَ بيت المال ونظرَ جامع أحمد بن طولون ونظرَ المدرسة الناصرية .

وفيها وصل إلى حلب نهرُ الساجور[2] ، بعد ما أُنفق عليه مال كبير ؛ فسرّ به أهل حلب سروراً زائداً .

وفيها ملك أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان (١٣٤) بن يعقوب بن عبد الحق المرينى مدينة فاس من بلاد المغرب ، بعد موت أبيه .

ومات فيها من الأعيان الأمير شهاب الدين صمغار بن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، فى ثالث عشر المحرم ؛ فأنعم بإمرته وهى طبلخاناه على بهادر بن قرمان . وفى يوم السبت ثامن عشره توفى الشيخ صبيح التكرورى بدمشق ؛ وقد حدّث بالقاهرة ودمشق مراراً عن النجيب الحرّانى وغيره . و [توفى] الشيخ عفيف الدين عبد الله بن محيى الدين عبد الله بن الصاحب صفى الدين إبراهيم بن هبة الله العسقلانى ، بطريق مكة يوم الخميس ثانى عشره ؛ ومولده بمصر ؛ وكان يشهد بدمشق على الحكام وفى قِيَم الأملاك بغير أجرة ، ولا يقبل هدية لأحد . و [توفى] أمير على أخو قطلوبك أحد أمراء (٣٤ ب) العشراوات ، فى سابع عشريه ؛ فأنعم بإمرته على أمير حاج بن طقز دمر . و [توفى] الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن العماد محمد بن التاج أبى الحسن على بن أحمد بن على القسطلانى ، بالقاهرة فى يوم الجمعة تاسع عشريه . و [توفى] شمس الدين عبد اللطيف بن خليفة العجمى — أخو الوزير نجيب الدولة وزير قازان — ، غريقا ببركة الفيل خارج القاهرة ، فى سلخه ؛ وكان يعرف العلوم العقلية . و [مات] محيى الدين محمد بن عبد العزيز بن على بن محمد الحرّانى الحنبلى — ابن أخى قاضى القضاة شرف الدين الحرّانى — ، بالقاهرة فى حادى عشره . و [توفى] الأمير بكتمر بن كراى ، فى خامس صفر . و [توفى] الأمير سيف الدين منكلى

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٢٢ ب) .

(٢) عبارة ابن الوردى (ذيل المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٩٤) أكثر وضوحا مما هنا بصدد هذا الحادث ، ونصها : "وفيها فى صفر أيضا وصل نهر الساجور إلى نهر قويق ، وانصبّا فى حلب ، بعد غرامة أموال عظيمة ..." .

بغا السلاح دار ، فى يوم الأحد سادسه[١] ؛ ودفن خارج باب النصر من القاهرة ؛ وكان أحد أمراء الألوف ، وتزوج خوند دُ كُنْبِيَة[٢] بنت(١٣٥) طاجى مُطَلَّقة[٣] السلطان ؛ وأنعم بإمرته على تمر بغا السعدى ، وكان كثير الأكل كثير النكاح . و [توفى] زين الدين محمد بن محمد بن أبى بكر محمد بن على القسطلانى ، فى سابعه . و [توفى] قاضى القضاة عز الدين أبو عبد الله محمد بن تقى الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلى ، بدمشق فى يوم الأربعاء تاسعه ؛ وولى قضاء الحنابلة بدمشق بعد [ه] شرف الدين أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن عبد الغنى المقدسى . و [توفى] الأمير سيف الدين تجليس أمير سلاح ، فى يوم الثلاثاء خامس عشر صفر ؛ وأنعم على ساطلمش الجلالى بإقطاعه . و [توفى] الأمير سيف الدين طرجى الساقى أمير مجلس ، فى يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر ؛ وأنعم بطبلخاناته على أولاجا ؛ واستقر الأمير طقزدمر عوضه (٣٥ ب) أمير مجلس ، فى سادس عشر ربيع الآخر . و [توفى] المسند بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن عمر بن حسان بن أبى بكر بن على الحنفى ، فى يوم الثلاثاء خامس عشر صفر بالقاهرة ؛ وهو آخر من حدّث عن سبط ابن السلفى . و [توفى] الأمير حسام الدين لاجين زرباج الجاشنكير ، فى يوم الاثنين رابع عشر صفر . و [توفى] الأمير بغجار الساقى ، فى رابع ربيع الأول ؛ وأنعم بطبلخاناته على أمير عمر بن أرغون النائب . و [توفى] سنجر البروانى أحد أمراء الطبلخاناه ، فى الحمام فجأة يوم السبت ثامن ربيع الآخر ؛ فأنعم بإمرته على أيدمر العلائى . و [توفى] ضياء الدين أبو الحسن على بن سليمان ابن ربيعة الأذرعى الشافعى ، بالرملة فى ثالث عشريه ؛ ومولده بنابلس فى سنة ست وأربعين وستمائة ؛ وكان قاضياً ستين سنة ، (١٣٦) ونظم كتاب التنبيه فى الفقه ، فبلغ ستة عشر ألف بيت ؛ وله أزجال وموشحات . و [مات] الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى ، يوم الأربعاء ثامن رجب ؛ وهو أحد مقدمى الألوف . و [توفى] الأمير نور الدين محمود بن هلال الدولة الريدانى[٤] أحد أمراء

(١) الضمير عائد على شهر صفر الوارد فى الوفاة السابقة .

(٢) بغير نقط أو ضبط فى ف . انظر ما سبق ، ص ٢٠٣ ، سطر ١٧ .

(٣) فى ف "زوجة" . (٤) كذا فى ف ، وهو فى ب (٤٢٣ ب) برسم "الزبدانى" .

العشرات ، بدمشق . و [توفى] الأمير أرغون[1] الدوادار نائب حلب ، بها فى ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر ؛ و [مات] ابنه ناصر الدين محمد[2] قبله ؛ وقدم إلى القاهرة أربعة من أولاده . و [توفى] جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد ابن الخضر المعروف بابن السابق الحلبى ، فى ليلة الأحد رابع عشريه فجأة بحلب ؛ ومولده بالإسكندرية سنة خمس وستين وستمائة ؛ ولى نظر بعلبك ونظر بيت المال بدمشق . و [توفى] الشيخ (٣٦ ب) المسند شرف الدين أبو العباس أحمد بن فخر الدين عبد المحسن ابن الرفعة بن أبى المجد العدوى ، فى ليلة الأربعاء ثامن عشريه ، ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة ؛ وأبوه عبد المحسن يُنسب إليه جامع ابن الرفعة بين القاهرة ومصر . و [توفى] القاضى عز الدين الخضر بن عيسى بن عمر بن الخضر الهكارى ، بالأشمونين فى عاشره ، بعد عزله عن قضائها ؛ وقد نيّف على التسعين . و [توفى] القاضى تاج الدين على بن نظام الدين يوسف بن القاضى[3] الموفق فخر الدين على بن القاضى الأمين نجم الدين مفضل بن مقدام ابن محمود بن يعقوب اللخمى ، فى تاسع عشريه ، بعد ما كفّ بصره ؛ ولى نظر الخزانة الكبرى ، ودرّس بمدرسة الصاحب صفى الدين بن شكر[4] بالقاهرة والمدرسة (١٣٧) الصلاحية ، وكان مقدام قاضى دمياط وناظرها أيام خلفاء[5] القاهرة ، وهو أخو شكر . و [توفى] الأمير علاء الدين على بن آل ملك المجاهد إسحاق ابن السلطان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، فى ثامنه خارج مدينة مصر ، ومولده يوم الجمعة ثامن عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة . و [توفى] الأمير ظُلُظَيه[6] ، والى الولاة بالوجه القبلى ، فى يوم الخميس

---

(١) أورد ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٥١ — ٣٥٢) لهذا الأمير ترجمة وافية ، جاء فيها أنه كان مدة توليته نيابة السلطنة بمصر (سنة ٧١٢ هـ) يخلّص الناس من شدائد يريد السلطان الناصر أن ينزلها بهم .

(٢) فى ف " ناصر الدين محمد بن منله ". انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٣٧٩) .

(٣) فى ف " بن القاضى بن الموفق " ، وما هنا من ب (٤٢٤ ا) .

(٤) فى ف " سكر " ، وما هنا من ب (٤٢٤ ا) ، وكانت هذه المدرسة تعرف باسم المدرسة الصاحبية . انظر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧١) .

(٥) فى ف " احلفا " ، وعلى الحاء حرف ظاء ، وما هنا من ب (٤٢٤ ا) . والمقصود بذلك الخلفاء الفاطميون ، وقد كان القاضى مقدام بن شكر من رجالهم ، ويظهر أنه كان من المعمرين ، إذ توفى سنة ٦٢١ هـ ، أى فى عهد السلطان الملك الكامل الأيوبى . انظر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧١) . والمقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ٢١٥) .

(٦) فى ف " صلديه " . انظر ما سبق ، ص ٣٣٥ .

ثانى عشر جمادى الآخرة ؛ واستقر عوضه الأمير غرس الدين خليل أخوطقصبا الناصرى . و[توفى] مجد الدين إبراهيم بن لفيتة ناظر الدولة ، بعد عزله فى ثامن عشره[١] ، فجأة بعد ما خرج من الحمام ولبس ثيابه وشرب قدح شراب . و[توفى] المقرئ نور الدين أبو الحسن على بن المقرئ شرف الدين محمد بن مجاهد المعروف بابن (٣٧ ب) الوارب أمام الجامع الحاكمى ، فى سادسه ، وهو أحد مشايخ القراآت السبع . و[توفى] الشيخ الزاهد موفق الدين أبو الفتح عيسى بن عبد الرحيم بن جعفر بن محمد بن إبراهيم بن ثعلب الجعفرى المالكى ، بمصر ليلة الأحد ثانيه ، ودفن بالقرافة ؛ وكان لا يتناول نصيبه من ديوان الأشراف . و[توفى] تاج الدين إسحاق — ويدعى عبد الوهاب — ناظر الخاص ، فى يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة ؛ وولى نظر الخاص بعد القاضى كريم الدين الكبير ، وباشر بسكون زائد وانجماع وسياسة ، وقام بمهمات عظيمة ؛ وولى [بعده] وكالة بيت المال عز الدين عبد العزيز بن جماعة ، وولى نظر خزانة الخاص علاء الدين محمد بن نصر الله ابن محمد بن عبد الوهاب الجوجرى ، وولى المكين بن قروينة استيفاء الصحبة والخاص . (١٣٨) وتوفى الأمير سيف الدين أبو بكر بن المهرانى ، فى سادسه . وتوفى ضياء الدين أحمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطى الشافعى ، فى ليلة الثلاثاء تاسعه ، و بيده تدريس الزاوية الخشابية بجامع مصر . وتوفى تاج الدين أبو بكر ابن معين الدين محمد بن الدمامينى ، رئيس التجار[٢] الكارمية ، فى ثالث عشرى جمادى الآخرة ؛ وقد قارب ثمانين سنة ، وترك مائة ألف دينار عينا . و[توفى] الأمير حسام الدين طرنطاى دوادار كتبغا ، ليلة الأحد ثامن عشريه فجأة ؛ وكان له ثراء واسع جدا . و[توفى] نور الدين على بن محمد بن عبد الواحد الحنفى أمين الحكم ، بالحسينية ظاهر القرافة فى سلخه[٣] . و[توفى] فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى التركمانى

---

(١) الضمير عائد — فيما يظهر — على شهر جمادى الآخرة المذكور بالوفاة السابقة . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٥٣) ، حيث ورد أن ابن لفيتة هذا مات فى شهر جمادى الأولى .

(٢) تقدمت الإشارة إلى "التجار الكارمية" فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٩٩ ، حاشية ٢) ، ويفهم مما هنا أنه كانت لنقابتهم التجارية المعروفة رآسة معترف بها ، وأن ثروة الواحد من أولئك التجار كانت تبلغ أحيانا مبلغا ضخما كالوارد بالمتن . انظر (Heyd : Op. Cit. II. p. 56) .

(٣) الضمير عائد — فيما يظهر — على شهر جمادى الآخرة الوارد فى الوفاة السابقة للسابقة .

(٣٨ ب) الحنفى ، فى حادى عشر شهر رجب ، وهو يلى نيابة النظر بالمارستان المنصورى . و[توفى] القاضى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن عبد الرزاق المالكى ، أحد نواب القضاة المالكية ، فى ثامن عشريه . و[توفى] تقى الدين عمر بن السلعوس[١] ناظر الدولة ، بعد عزله فى سادس عشرى ذى القعدة . و[توفى] الأمير ركن الدين عمر بن الأمير سيف الدين بهادر آص المنصورى ، فى تاسع عشر ذى الحجة بدمشق . و[توفى] زين الدين عمر بن نجم الدين البالسى الشافعى ، مدرس المدرسة الطيبرسية ، فى سلخه ؛ فولى عوضه أخوه نور الدين على . و[مات] بلبان [المهمندار عتيق] الدوادار [ى[٢]] ، فى يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر . و[مات] ملك المغرب صاحب فاس أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة ، فى ذى الحجة ؛ وقام من بعده ابنه السلطان (١٣٩) أبو الحسن على ، فكانت مدته إحدى وعشرين سنة .

***

سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة . المحرم أوله يوم الجمعة . فيه قدم مبشرو الحاج ، وأخبروا برخاء الأسعار وسلامة الحجاج ، وأن الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى على خطة[٣] .

وفى سابع عشره توفى مغلطاى المذكور ، عند نزوله بسطح عقبة أيلة ؛ فصُبّر وحُمل إلى القاهرة ، فوصلها ليلة الخميس حادى عشريه ؛ ودفن من غده بمدرسته قريباً من درب ملوخيا . واستقرّ عوضه فى الأستادارية الأمير علاء الدين آقْبغا عبد الواحد ، وخُلع عليه يوم الثلاثاء سادس عشريه ؛ وأُقِرّ[٤] أُلْطُنْقُش مملوك الأفرم على نيابة الأستادارية . ثم بعد أيام[٥] أضيف إلى الأمير آقبغا تقدمة المماليك السلطانية مع الأستادارية ، من (٣٩ ب)

(١) فى ف "السعلوس" .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الوفاة من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٩٥) .

(٣) المقصود بذلك أن الأمير مغلطاى كان قد أشفى على الموت ، ففى (Dozy : Su) العبارة الآتية : "أمك على خطة" ، وهى مترجمة إلى (ta mére est dangereusement malade) .

(٤) فى ف "فاقر" .

(٥) يظهر أن المقريزى قد استعمل لفظ "أيام" هنا تجوّزا . انظر الصفحة التالية ، سطر ٢٣ .

أجل أنه وُجد بعض المماليك وقد نزل من القلعة إلى القاهرة، إذ تنكّر(١) [السلطان لما حدث من نزول بعض المماليك من القلعة إلى القاهرة]، وضرب كثيراً من طواشية الطباق، وطرد جماعة منهم، وأنكر على المقدم الكبير — [وهو يومئذ الطواشى شجاع الدين عَنْبَر السحرتى — تهاونه حتى وقع ما وقع، وصرفه بالأمير آقبغا]. فضبط [آقبغا] طباق المماليك بالقلعة، وضرب عدة منهم ضربا مبرحا، وبالغ فى أهنة الخدام أيضاً، فلم يجسر أحد من المماليك أن يتجاوز طبقته.

و[فيها] استقرّ الأمير سيف الدين بهادر الدمرداشى رأس نوبة الجمدارية، عوضاً عن الأمير آقبغا [عبد الواحد(٢)، بحكم انتقاله إلى الأستدارية]؛ وكان [الأمير بهادر] قد حظى عند السلطان حظوة مكينة.

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه دار نقيب الجيش والحاجب بجامع القلعة على الأمراء وهم ينتظرون الصلاة، وقبضوا على من معهم من مماليك دمرداش بن جوبان وسجنوهم. وذلك أن الأمير طرغاى الجاشنكير كان عنده منهم جماعة، فبلغه (١٤٠) من بعض مماليكه أنه سمع أحد(٣) مماليك دمرداش يقول لآخر: "قد دُرْنا على الصبيان الجميع، واتفقنا على كلمة واحدة، فقم والبس قماشك، فميعادنا باب القلة عند خروجهم من الجامع". فنقل ذلك لمخدومه الأمير طرغاى، فبادر وقبض على من عنده من مماليك دمرداش، ونهض إلى السلطان وأعلمه بالخبر، فسرّ بذلك. واستدعى [السلطان] نقيب الجيش والحاجب، وأسرّ إليهما أن يقبضا على من حضر من مماليك دمرداش بالجامع، ويتتبعا من غاب منهم، فقبض على الجميع قبل إقامة الصلاة. ثم جُمع الأمراء بعد الصلاة عند السلطان، وعرفهم [السلطان] ما نقله الأمير طرغاى؛ وأمر [السلطان] أميرَ جندار بعقوبة من قُبض عليه فعوقبوا،

(١) عبارة ف هنا كالآتى: "وتنكر فضرب كبير (كذا) من طواشية الطباق وطرد جماعة منهم وانكر على المقدم الكبير فضبط طباق المماليك بالقلعة ..."، وقد عدّلت وأضيف إليها مابين الحاصرتين بعد مراجعة ب (٤٢٥ ا)، وكذلك (Zetterstéen : Op. Cit. pp. 189, 224)، حيث وردت أخبار عزل الأمير عنبر السحرتى عن وظيفة مقدم المماليك سنة ٧٣٥ هـ، وسيلاحظ القارئ فيما يلى هنا أيضا (ص ٣٤٥، سطر ٧) أن الأمير عنبرا كان لا يزال متوليا وظيفته فى شهر ربيع الآخر سنة ٧٣٣ هـ.

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة بعد مراجعة (Zetterstéen : Op. Cit. p. 184).

(٣) فى ف "احد من مماليك".

ثم قتل بعضهم وسجن باقيهم ، فإنهم اعترفوا وهم (٤٠ ب) فى العقوبة بأنهم أرادوا أخذ ثأرِ أستاذهم دمرداش وقتلِ الأمراء ، لتطير لهم بذلك سمعة فى بلاد المشرق . فخاف على نفسه الأمير بهادر الدمرداشى ، وتحرّز من السلطان .

شهر صفر[1] أوله يوم الأحد . وفى يوم الاثنين ، ثالث عشريه استدعى السلطان الأمراء وأعلمهم أنه يريد أن يعهد إلى ولده الأمير ناصر الدين آنُوك ، فأذعنوا لذلك كلهم ؛ فرُسم بركوبه بشعار السلطنة ، وأحضرت الخلع لأرباب الوظائف . ثم انثنى عزم السلطان عن ذلك ، وأبطل الجميع ، ورسم أن يلبس آنُوك شعار الأمراء ، ولا يطلق عليه اسم السلطنة ؛ فركب [آنُوك] وعليه خلعة أطلس أحمر بطرز ذهب وشربوش مكلّل مزركش[2] . وخرج [آنُوك] من باب (١٤١) القرافة والأمراء فى خدمته حتى مرّ بسوق الخيل تحت القلعة ، فباس الأرض ، وطلع من باب الإسطبل إلى باب السرّ فطلع منه ؛ ونُثرت عليه الدنانير والدراهم . وخُلع على الأمير أُلماس الحاجب ، والأمير بيبرس الأحمدى ، والأمير أيدغمش أمير آخور خلع أطلس ، وخُلع أيضاً على بقية أرباب الوظائف ، ومُدَّ لهم سماط عظيم ؛ وعُملت الأفراح الجليلة مدة أيام .

وكان قد رُسم بعمل المهم لعقد الأمير آنُوك على زوجته بنت بكتمر الساقى ؛ فعُقد العقد بالقصر على صداق مبلغه من الذهب اثناعشر ألف دينار ، المقبوض منه عشرة آلاف دينار .

و[فيه] تقدّم [السلطان] إلى الأمير علاء الدين بن هلال الدولة بجمع الدواوين ليختار منهم من يستخدمه لآنُوك ، فإنه أنعم عليه بإقطاع الأمير (٤١ ب) مغلطاى الجمالى ؛ فحضر من الغد عدة من الدواوين ، فأخذ السلطان يسأل كلا منهم ويتعرّف خبره إلى أن وقع اختياره على [شرف الدين[3]] النشو — فإنه كان [قد] وقف بين يديه غير مرة فى محاققة وهو فى خدمة الأمراء ، فأعجبه كلامه ومحاققته ، ورسم أن يكون من جملة المستوفين . فلما حضر [النشو] فى هذا اليوم أشار [السلطان] لابن هلال الدولة أن يستخدمه بديوان

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤٢٥ ب) ، وهو على غير وتيرة المقريزى فى الكتابة ، وربما كان سببه أنه نقل ما هنا من مرجع مخالف لما اعتمد عليه سابقا من مراجع .

(٢) هنا إشارة واضحة لأوصاف خلع الأمراء فى هذا العصر .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى ، ص ٣٤٨ ، سطر ٤ — ٧ .

الأمير آنوك ، ويكون الأمير سيف الدين ألطنقش أستاداراً له ، وخلع عليهما ونزلا .

شهر ربيع[1] الأول . أوله يوم الاثنين . فى سادسه قدم الحاج أحمد بن سنقر رسولا من الملك أبى سعيد ، وعلى يده كتاب بسبب الخطبة والمصاهرة . فأجيب بأن ذلك يحتاج إلى مهلة ، وأُخذ ما معه من الهدية : وهى جمال بخاتى ثلاثة (١٤٢) قطر ، وعشرة أرؤس من الخيل ، وعشرة ممـاليك ، وعشر جوار جنكيات ، وعشرة دبابيس ؛ وأعيـد فى ثانى عشريه .

و[فيه] كُتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يحضر ومعه نائب حماة ، لحضور مُهِمّ الأمير آنوك على بنت الأمير بكتمر الساقى ؛ فشرع الأمراء فى الاحتفال للمهم ، و بعثوا إلى دمشق لعمل التحف .

شهر ربيع[2] الآخر . أوله يوم الاثنين ، فى عاشره قدم الملك الأفضل ناصر الدين محمد ابن الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة بعد وفاة أبيه بها ، وله من العمر نحو العشرين عاما ، فأكرمه السلطان وأقبل عليه . وكان والده لما توفى بحماة أخفى أهله موته ، وسارت أم الأفضل إلى دمشق وترامت على (٤٢ ب) الأمير تنكز نائب الشام ، وقدّمت له جوهراً رائعاً ، وسألته فى إقامة ولدها الأفضل مكان أبيه ؛ فقبل [تنكز] هديتها ، وكتب فى الحال إلى السلطان بوفاة المؤيد ، وتضرّع إليه فى إقامة ابنه مكانه . فلما قدم البريد بذلك تأسّف السلطان على المؤيد ، وكتب إلى الأمير تنكز بإجابةِ سؤاله وتجهيزِ ابن المؤيد إلى مصر ، فجهزه [تنكز] إلى السلطان ، فقابله من الإنعام و إدرار الأرزاق بنظير ما كان لأبيه .

وفى يوم الخميس خامس عشريه ركب الأفضل من المدرسة المنصورية بين القصرين ، وهو بشعار السلطنة وبين يديه الغاشية[3] ؛ وقد نشرت على رأسـه الأعلام[4] الثلاثة ،

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤٢٦ ا) . انظر ما سبق ص ٣٤٣ حاشية ١ .

(٢) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤٢٦ ا) . انظر الحاشية السابقة .

(٣) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢١٤ ، حاشية ٥) .

(٤) فى ف "وقد نشرت على راسه العصايب الثلاثة منها واحدة خليفتى اسود ..." ، وقد عدّلت بعد مراجعة القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٨) ، حيث وردت العبارة الآتية فى باب رسوم الملك فى عهد الأيوبيين والمماليك فى مصر ، ونصها : "الأعلام ، وهى عدة رايات ، منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه وتسمى العصابة ، وراية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش ، ورايات صفر صغار تسمى السناجق" .

منها واحد خليفتى أسود ، واثنان (١٤٣) سلطانيان أصفران ، وعليه خلعة أطلس بطرز ذهب ، وعلى رأسه شربوش ، وفى وسطه حياصة ذهب بثلاثة بيكاريات[١] . وسار [الأفضل] فى موكب جليل بالقاهرة إلى باب زويلة ، وصعد [إلى] قلعة الجبل ، وقبّل الأرض بين يدى السلطان بالقصر . ثم جلس [الأفضل] نخلع على الأمراء الذين مشوا فى خدمته : وهم الأمير ألماس الحاجب ، و[الأمير] بيبرس الأحمدى ، و[الأمير] علاء الدين أيدغمش أمير آخور ، و[الأمير] طغجى أمير سلاح ، و[الأمير] تمر رأس نوبة ؛ [وقد لبس كل منهم أطلسين . وخلع [الأفضل ؟] على الأمير شجاع الدين عنبر[٢] مقدم المماليك طرد وحش ، وخلع على جميع أرباب الوظائف أيضاً ، وكان يوماً مشهوداً . ولقبه السلطان يومئذ بالملك الأفضل ، وجهزه إلى بلاده .

وفى يوم السبت (٤٣ ب) سابع عشر جمادى الأولى خرجت التجريدة لكبس الإطفيحيّة ، وفيها نحو خمسة عشر أميراً .

وفى أول شعبان قدم الأمير تنكز نائب الشام ، لحضور عرس الأمير آنوك ابن السلطان .

و[فيه] رُسم[٣] بإحضار جميع من بالقاهرة ومصر من أرباب الملهى إلى الدور السلطانية . ووقع الشروع فى عمل الإخْوَان[٤] ، فأقام المهم سبعة أيام بلياليها . واستدعى [السلطان] حريم جميع الأمراء إليه ، فكان أمراً عظيما .

فلما كانت ليلة السابع منه جلس السلطان على باب القصر ، وتقدّم[٥] الأمراء على قدر مراتبهم واحداً بعد واحد ، ومعهم الشموع ، فإذا قدّم الواحد ما أحضره من الشمع قبّل الأرض وتأخّر . [وما زال السلطان بمجلسه] حتى انقضت تقادمهم ، فكانت عدتها

(١) البيكاريات — والبواكر أيضاً — جمع بيكارية ، وهى حلية من المعدن (Plaque) ، والغالب أنها سميت بذلك الاسم لأنه كان ينقش عليها دائرة فى وسطها بيكار . (Dozy : Supp Dict. Ar.). انظر أيضاً القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٢) ، حيث يوجد وصف دقيق لأنواع البيكاريات .

(٢) فى ف "غير" ، وما هنا من ب (٤٢٦ ا) .

(٣) فى ف "فرسم" .

(٤) الإخوان لغة فى لفظ الخوان ، وهو فارسى معرّب ، ومعناه ما يوضع عليه الطعام ليؤكل ، وجمعه أخونة وخون (محيط المحيط) ، غير أنه يفهم من سياق العبارة أن المقريزى قد استعمل لفظ "إخوان" هنا للدلالة على الجمع .

(٥) فى ف "مقدم" ، وما هنا من ب (٤٢٦ ب).

ثلاثة آلاف (١٤٤) وثلاثين شمعة، زنتها ثلاثة آلاف وستون قنطاراً، فيها ما عُنى به ونُقش نقشاً بديعا تنوُّع[١] فى تحسينه؛ فكان أبهجها وأحسنها شمع الأمير علم الدين سنجر الجاولى، فإنه اعتنى بأمرها و بعث إلى عملها بدمشق[٢]، فجاءت من أبدع شىء.

ثم جلس السلطان فى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان — وهى ليلة العرس — على باب القصر، وأُشعلت تلك الشموع بأسرها. وجلس ابنه [الأمير] آنوك تجاهه، وأقبل الأمراء جميعاً وكل أمير يحمل بنفسه شمعة وخلفه مماليكه تحمل الشمع، فتقدموا على قدر رتبهم، وقبَّلوا الارض واحداً بعد واحد طول ليلهم، حتى [إذا] كان آخر الليل نهض السلطان وعَبر إلى حيث مجتمع النساء؛ فقامت نساء الأمراء بأسرهن، وقبَّلن الأرض واحدة بعد أخرى، وهى تقدّم (٤٤ ب) ما أحضرت من التحف الفاخرة والنقوط حتى انقضت تقادمهن جميعا. ورسم [السلطان] برقصهن عن آخرهن، فرقصن أيضا واحدة بعد واحدة، والمغانى تضربن بدفوفهن، وأنواع المال من الذهب والفضة وشقق الحرير يلقى على المغنيات، فحصل لهن ما يجل وصفه؛ ثم زُفَّت العروس[٣].

وجلس السلطان من بكرة الغد، وخلع على جميع الأمراء [و] أرباب الوظائف وأكابر الأمراء، ورسم لامرأة كل أمير من الأمراء بتعبية قماش على قدر منزلة زوجها، وخلع على الأمير تنكز نائب الشام، وجهز صحبته الخلع لأمراء الشام. فكان هذا العرس من الأعراس المذكورة، ذُبح فيه من الغنم والبقر والخيل[٤] والأوز والدجاج ما يزيد على عشرين ألفاً، (١٤٥) وعُمل فيه من السكر برسم الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار، و بلغت قيمة ما حمله الأمير بكتمر الساقى مع ابنته من الشورة ألف ألف دينار مصرية.

---

(١) فى ف "منوع"، وما هنا من ب (٤٢٦ ب).

(٢) فى ف "فانه اعتنى بامره وبعث الى عملها بدمشق فجات من ابدع شى"، وقد عدّلت لتستقيم مع بقية العبارة.

(٣) هنا إشارات واضحة لبعض أخلاق السلطان الملك الناصر محمد، وإلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصر المملوكى.

(٤) العبارة هنا واضحة فى تقرير أن الخيل كانت تذبح للأكل فى عصر المماليك بمصر. انظر ما سبق، ص ٢٨٨، حاشية ٥.

وفى يوم الأربعاء رابع رجب استقرّ الأمير صلاح الدين يوسف دوادار قبجق مهمنداراً، عوضا عن شهاب الدين أحمد ابن آقوش العزيزى بعد وفاته.

وفى يوم الاثنين سابع عشره[1] استقرّ شرف الدين موسى بن التاج إسحاق فى نظر الجيش، بعد وفاة الفخر محمد بن فضل الله. واستقرّ شرف الدين عبد الوهاب النشو فى نظر الخاص، عوضاً عن شرف الدين موسى المذكور، فى يوم الخميس تاسع عشره.

وكان الفخر لما اشتدّ به المرض بلغه عن موسى بن التاج إسحاق أنه (٤٥ ب) سعى فى نظر الجيش، فشقّ عليه ذلك، وركب وقد انتهك من شدة المرض، ودخل على السلطان وقال له: "ما أزعجتُ نفسى إلا لنصحك، ولأوصيك بعائلتى وأولادى، وعندى ذخيرة[2] للسلطان؛ فأما نصيحتى فهى أن أولاد التاج إسحاق تواصَوا على أكل مال الخاص والدولة، والعملِ على السلطان". وبالغ [الفخر] فى الوقيعة فيهم، وعرّف السلطان أنه ادّخر عشرة آلاف دينار وشيئاً من الجواهر، [و] جميع ذلك للسلطان؛ فشكره السلطان، وأثّر فيه كلامه فى أولاد التاج إسحاق.

ثم قام الفخر وعاد إلى داره، ثم طَلب بعد ثلاثة أيام الأميرَ علاء الدين بن هلال الدولة، ودفع إليه ورقة مختومة وأوصاه أن يدفعها إلى السلطان [بعد[3] موته]؛ فأوقف ابنُ هلال الدولة السلطانَ عليها وتركها عنده. (١٤٦) فمات الفخر من الغد، فنزل ابن هلال الدولة وأولاد التاج إسحاق وعدة من الأمراء إلى بيت الفخر وأحاطوا به، فوجدوا فيه عشرة آلاف دينار، [وهى] التى عيّن [الفخر] موضعها للسلطان؛ ووجدوا معها جواهر. فعادوا بذلك إلى السلطان، ومعهم لؤلؤ مملوك الفخر؛ فأمر السلطان أن يعرّفه بما لأستاذه من الأموال، وهدّده تهديداً كبيراً، فالتزم أنه لا يخفى شيئاً. ونزل [لؤلؤ] فكتب عدة أوراق اشتملت على أصناف من البضائع للتجارة، وعلى عدة بساتين ودواليب ومعاصر بأرض مصر وضياع بالشام — كدمشق وحماة وحلب وغزة والقدس وغيرها —، منها ما وقفه

(١) الضمير عائد على شهر رجب الوارد بالفقرة السابقة.

(٢) فى ف "دخيرة"، والصحيح ما هنا. وهى مشتقة من فعل "ذخر"، ومعناه اتخاذ الشىء وحفظه لوقت الحاجة، أما فعل "دخر" فمعناه صَغُر وذل. (المحيط).

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٢٧ ا).

ومنها ما هو غير وقف . فأوقع السلطان الحوطة على جميع موجوده بديار مصر ، وكتب إلى نواب (٤٦ ب) الشام بمثل ذلك ؛ ورَسم ببيع الأصناف ، فبلغت قيمة ما وُجد له ألف ألف درهم سوى ما تركه السلطان لأولاده .

وكان النشو فى ابتداء أمره يتخدّم لابن هلال الدولة شاد الدواوين ، ويتردّد إليه كثيراً ويبالغ فى خدمته ؛ فاستخدمه [ابن هلال الدولة] فى الأشغال ، وقدّمه إلى السلطان ، وشكر من كتابته ، إلى أن استخدمه [السلطان] مستوفياً ؛ فصار [النشو] يُعَدّ من إنشاء ابن هلال الدولة . ثم إنه لما أسلم تسمى بعبد الوهاب ، وتلقب بشرف الدين ؛ فعندما استقرّ عند الأمير آنوك(١) ابن السلطان صار يخلو بالسلطان ويحادثه فى أمر الدولة ، ويكثر من الوقيعة فى الدواوين ، حتى أثّر كلامه فى نفس السلطان ، وتصوّر فى ذهنه منه أنه يحصّل له مالاً كثيراً . فما هو إلا أن استقرّ فى نظر (١٤٧) الخاص [حتى] أخذ يغرى السلطان بأولاد التاج إسحاق حتى غيّره عليهم ، فعزل [السلطان] شرفَ الدين موسى من نظر الجيش فى نصف شعبان ، بعد عشرين يوماً [من توليته] ، ووَلّى مكين الدين إبراهيم بن قروينة عوضه ، وأمَرَ بالقبض على [شرف الدين موسى وعلم الدين إبراهيم] ولدى التاج ومصادرتهما(٢) ، فقُبض عليهما فى يوم الخميس سابع عشر شعبان .

و [ذلك أنه] اتفق أن السلطان استدعى ابن هلال الدولة ، وأسرّ إليه أن الأمراء إذا دخلوا إلى الخدمة وخرجوا يمضى ومعه الشهود وناظر بيت المال ، ويحتاط على بيوت أولاد التاج [إسحاق] . فلما جلس القضاة ، ووقف الأمراء وأرباب الدولة بالخدمة — وشرف الدين موسى ابن التاج إسحاق فيهم — ، التفت السلطان إلى القضاة وأخذ فى الثناء على شرف الدين ، وقال فى آخر كلامه : "أنا ربيت هذا وعملته كاتبى" . (٤٧ب) فانفض أهل الخدمة وهم يستعظمون هذا من السلطان فى حقّ ناظر الجيش ، وجلّ [موسى]

(١) انظر ما سبق ، ص ٣٤٣ .

(٢) فى ف "وامر بالقبض على اولاد التاج ومصادرتهم" ، وقد عدلت العبارة وأضيف ما بين الحاصرتين مما يلى بالفقرة التالية . هذا ولقد كان للتاج إسحاق فى الواقع ثلاثة أولاد ، وهم موسى وإبراهيم وماجد (ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٥٧) ، غير أن المراجع المتداولة فى هذه الحواشى لا تنبئ بشىء هنا عن ثالثهم ماجد .

فى أعينهم . فما هو إلا أن جلس [موسى] بديوان الجيش من القلعة [حتى] بلغه أن الحوطة [قد وقعت] على بيته ، وأن رسل الديوان على باب ديوان الجيش ؛ و بلغ الخبرُ أيضاً إلى أخيه علم الدين إبراهيم وهو جالس والدواوين بين يديه ، فنظر فإذا جماعة من الرسل قد وقفوا مرسّمين عليه ؛ فأغلق كل منهما دواته ، وجلس ينتظر الموت إلى العصر . [ثم] صعد ابن هلال الدولة بأوراق الحوطة ، وهى تشتمل على شىء كثير جداً ، منها لزوجة علم الدين إبراهيم أر بعمائة سروال[١] . فَسُلِّمَ شرف الدين موسى وعلم الدين إبراهيم لابن هلال الدولة ، وأحضرت المعاصير ؛ وسئل موسى عن صندوق ذُكر أنه أخذه من تركة أبيه ، فيه من (١٤٨) الجواهر والذهب مايبلغ مائة ألف دينار صار [ت] إلى أبيه من جهة المسكين الترجمان بعد موته ؛ فأنكر [موسى] ذلك وحلف عليه . فرقّ له ابن هلال الدولة ولم ينله بمكروه ، فأنكر عليه [شرف الدين] النشو [عبد الوهاب] ترك عقوبته ، فما زال [ابن هلال الدولة] يدافعه عنه وهو يحمل المال من قبله ومن قبل أخيه شيئا بعد شىء .

وفى ثانى عشر شعبان خَلع [السلطان] على شرف الدين أبى بكر ابن شمس الدين [محمد[٢]] ابن الشهاب محمود ، كاتب سرّ دمشق ؛ واستقرّ فى كتابة السرّ بديار مصر ، عوضاً عن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل الله . واستقرّ [ابن الشهاب محمود] محيى الدين فى كتابة السرّ بدمشق ، وخُلع عليه بذلك [بعد] ما طيّب السلطان خاطره وأثنى عليه وشكره . وكان ابن الشهاب محمود قد قدم مع الأمير تنكز ، ومثل بين يدى (٤٨ ب) السلطان ، فأعجب بشكله ؛ وأخذ تنكز يثنى عليه بأنه أمين مأمون الغائلة . وكان محيى الدين بن فضل الله قد ثقل سمعه ، فوقع اختيار السلطان أن ينقله إلى دمشق ، ويولّى بين يديه عوضه ابن الشهاب محمود ؛ فحدّث [السلطانُ] الأميرَ تنكز فى ذلك ، فما وسعه إلا موافقة غرض السلطان فيما أحبّ .

وفيه رسم للأمير تنكز بالعود إلى دمشق ، فتوجه [من القاهرة] يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان .

(١) فى ف "سراويل" .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٢٨ ا) .

وفى [يوم] الأحد عشريه خلع [السلطان] على القاضى مكين الدين ابن قروينة واستقرّ فى نظر الجيش ، عوضاً عن شرف الدين موسى بن التاج ناظر الخاص ؛ [وقد] نقل ابن [قزوينة] إليها من استيفاء الخاص ونظر ديوان ابن السلطان ونظر ديوان الأمير بشتاك.

و [فيه] أُمِرَ(١) النشو ناظر الخاص وابن هلال الدولة شاد الدواوين بتجهيز السلطان (١٤٩ ا) إلى سفر الحجاز ، فشرعا فى طلب العربان و إعداد الإقامات من البقسماط والدقيق والشعير وغير ذلك .

[وفيه] رسم للملك الأفضل صاحب حماة بالتوجه [إلى بلده] ، صحبة الأمير تنكز .

وفى يوم الأربعاء ثانى شعبان استدعى [السلطان] الأمير صلاح الدين يوسف المهمندار وخلع عليه ، واستقرّ دواداراً عوضاً عن الأمير سيف الدين أُلْجاى بعد موته ؛ واستقرّ عوضه فى المهمندارية الأمير سيف الدين جاريك(٢) [مملوك] قفجق الجوكندار .

و [فيه] وقع الجدّ فى أمر السفر إلى الحجاز ، وكُتِبت أوراق بأسماء الخواتين و بعض السرارى و بعض الأمراء ليكونوا صحبة السلطان فى سفره . وكُتِب إلى نواب الشام باستدعاء ما يحتاج إليه ، فشرعوا فى عمل ذلك وحملوه : وهو عدة أصناف ، وكثير(٤٩ب) من الهِجن بسلاسل الذهب والفضة، وعدة من الخيول ؛ وقدّم أيضاً عامة أمراء مصر والشام تقادم جليلة على قدر مراتبهم . وقَدِمت تقادم أمراء العربان من آل فضل وآل مهنا وآل عيسى ، وتنافسوا بأجمعهم فى تقادمهم ، وقصد كل أحد أن يمتاز(٣) على الآخر . واستدعى [السلطان] الأمير موسى بن مهنا ليسافر فى الصحبة ، وحُشِر جميع الصناع من القاهرة ومصر للعمل فى هذا المهم .

و [فيه] نُقِل موسى بن التاج إسحاق وأخوه إبراهيم من عند ابن هلال الدولة إلى الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى والى القاهرة ، ورُسِم له بعقوبة موسى حتى يحضر الصندوق . فأمره(٤) النشو أن يَبسط عليهما أنواع العذاب ، ويَضرب موسى بالمقارع ، فاستأذن

(١) فى ف "امير" .
(٢) فى ف "خايربك" ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٥٣٣) . انظر أيضا (Zettestéen : Op. Cit p. 147, etc) .
(٣) فى ف "يتميز" .
(٤) فى ف "فامر" .

(١٥٠) السلطان على ذلك ، وعرّفه ما أمره به النشو ؛ فمنعه [السلطان] من ضربه بالمقارع ، لكنه يهدّده ويضربه تحت رجليه نحو خمس[١] عشرة ضربة . فبعث النشو[٢] عند ما نزل من القلعة مَنْ يحضر ضَرْبَ موسى بالمقارع ؛ [غيرأن ابن المحسنى عمل بما أشار به السلطان] ، فأحضر [موسى] وهدّده ، وأمَرَ به فبُطح وضُرب بالعصى نحو عشرين ضربة ؛ فتنكّر عليه النشو واشتدّ حنقه عليه .

وفى سادس رمضان أفرج عن الأمير مغلطاى المسعودى ، بعد ما سُجن عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام .

وفى شوال خرج محمل الحاج إلى البركة على العادة ، مع الأمير عز الدين أيْدَمُر الخطيرى أمير الركب ، ورحل فى عشريه . وكان السلطان قد ركب فى ثامن عشره ، ونزل بسرياقوس ؛ ثم استقلّ[٣] بالمسير إلى الحجاز فى يوم الاثنين خامس عشريه ، بعد ما (٥٠ ب) قدّم حرمه صحبة الأمير طَقْتَمُر فى عدة من الأمراء . واستناب [السلطان] على ديار مصر الأمير سيف الدين أُلْماس الحاجب ، [ورسم له أن يقيم[٤] فى داره] ؛ وجعل الأمير آقبغا عبد الواحد داخل باب القلة ، برسم حفظ الدور ؛ وجعل الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بالقلعة ، وأمره ألا ينزل منها حتى يحضر ؛ وأخرج كل أمير من الأمراء المقيمين إلى إقطاعه ، وتقدّم إليهم ألا يعودوا منها حتى يرجع من الحجاز .

وتوجه مع السلطان إلى الحجاز الملك الأفضل صاحب حماة ، — وكان قد قدم يوم الأحد سادس عشرى شعبان — ، ومن الأمراء جَنْكَلِي[٥] بن البابا ، والحاج آل مَلَك ، وبَيْبَرْس الأحمدى ، وبهادُر المعزى ، وأيْدُغْمُش أمير آخور ، وبَكْتَمُر الساقى ، وطُقُزْدَمُر ،

(١) فى ف "خمسة".

(٢) عبارة ف هنا كالآتى : "فبعث اليه النشو عند ما نزل من القلعة من يحضر ضربه بالمقارع فاحضره وهدده ..." ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) فى ف "واستقل".

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٢٨ ا) .

(٥) جميع الأسماء التالية مضبوط فى ف ، وقد توخى الناشر تحقيق هذا الضبط وتوكيده ما أمكن قبل إثباته هنا ، وذلك بمقابلته على الوارد منه فى (Zetterstéen : Op. Cit.) ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٠٢ — ١٠٤) .

وسَنْجَر الجاولى، وقَوْصُون، (١٥١) وطَايَرْبُغا، وطُغَاى تَمُر، و بَشْتَاك ، وأُرُنْبُغا ، وطُغْجِى ، وأحمد بن بَكْتَمُر الساقى ، [وصُوصُون](١) ، و بهادُر الناصرى ، وجَرْكَتَمُر (٢) بن بهادُر ، وطَيْدَمر الساقى ، وآقبُغا آص الجاشنكير ، وطَقتَمُر الخازن ، وطُوغان الساقى ، وسُوسن السلحدار، [وبُلاك(٣)] ، و بَيْبُغا الشمسى ، و بَيْغَرا(٤) ، وقُمَارى ، وتمُر المُوسَوِىّ ، وأَيْدَمُر أميرجاندار، و بَيْدَمُر البَدْرِى ، وطَقبُغا الناصرىّ ، وأَيْتَمُش الساقى ، وأياز الساقى ، وألْطُنقش ، وأَنَس ، وأَيْدَمُر دُقْماق ، وطَيْبُغا المحمدى ، وجاريك(٥) ، وقُطز أمير آخور ، و بَيْدَمُر ، وأَيْنَبَك(٦) ، وأَيْدَمُر العُمَرِى ، ويحيى بن طَايَرْبُغا ، ومسعود الحاجب ، ونُورُوز ، وكُجْلِى ، و بُرُلْغِى ، وبُكْجا ، و يوسف الدَّوادار ، وقُطْلُقْتَمُر السلحدار ، ونانُق ، وساطُلْمُش ، و بغاتَمُر ، ومحمد بن جَنْكَلى ، وعلى بن أَيْدُغْمُش ، وأُلْجاى(٧) ، [و] آقسُنْقر (٥١ ب) الناصرى ، [وقَرَا(٨)] ، وعلاء الدين علىّ بن هلال الدولة ، وتمُربُغا العقيلى ، وقُمارى الحسَنى ، وعلىّ ابن أَيْدَمُر الخطيرىّ ، وطَقتَمُر اليوسفى ، [وكل(٩) هؤلاء مقدّمون وطبلخاناه] ؛ ومن أمراء العشرات على بن السعيدى ، وصارُوجا النقيب ، وآقسنقر الرومى ، وأياجى الساقى ، وسُنْقر الخازن ، وأحمد بن كُجْكُن ، وأَرْغون العلائى ، وأَرْغُون الإسماعيلى ، وبُغا ، ومحمد بن الخَطيرىّ ، وأحمد بن أَيْدُغْمُش ، وطَشْبُغا ، و قَلِيْجى .

وحجّ مع(١٠) [السلطان(١١)] أيضاً قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى ، وحج أيضاً

(١) أضيف مابين الحاصرتين من ب (٤٢٨ ا) ، وصوصون هذا أخو الأمير قوصون : (Zetterstéen : Op. Cit. p. 188, etc.) .

(٢) فى ف "جوكتمر" .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٢٩ ا) ، وهو وارد هناك برسم "تلك" . وكان هذا الأمير من جمدارية السلطان الناصر ، وهو الذى قدم القاهرة مبشراً سلامة السلطان ، كما يلى . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. p. 189) .

(٤) فى ب "بيبغا" ، وما هنا من (٤٢٩ ا) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. p.186) .

(٥) فى ف "داربك" ، وما هنا من ب (٤٢٩ ا) مصححاً من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 147) .

(٦) كذا فى ف "ايذبك" .

(٧) فى ف "والاجا" ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٥) .

(٨) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٠٣) .

(٩) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٢٩ ا) .

(١٠) فى ف "معه" .

(١١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٢٩ ب) .

عز الدين [عبد العزيز] بن جماعة ، وموفق الدين الحنبلى ، وعز الدين بن الفرات الحنفى ، ونخر الدين النويرى المالكى ؛ وكانوا أربعتهم ينزلون فى خيمة واحدة ، فإذا قدمت إليهم فتوى كتبوا عليها ، وهذا من غريب الاتفاق . (١٥٢) وقدّم السلطان الأمير أيتمش إلى عقبة أيلة ، ومعه [مائة[1]] رجل من الحجّارين حتى وسّعها وأزال وعرها ، ومن [يومئذ[2]] سهل صعودها .

وفيها بلغ ماء النيل عشر أصابع من تسعة عشر ذراعا .

وفيها طُلب الشيخ شمس الدين الأصفهانى من دمشق على البريد [إلى القاهرة] .

وفيها كملت عمارة جامع الأمير سيف الدين الحاج آل ملك ، بالحسينية خارج القاهرة .

وفيها استقرّ علاء الدين على بن منجا فى قضاء الحنابلة بدمشق .

وفيها قبض على الصاحب شمس الدين غبريال ، وأحيط بأمواله [وأسبابه[3]] .

وكان وفاء النيل ستة عشر ذراعا ، و [ذلك] فى يوم الأربعاء حادى عشر ذى القعدة — وهو ثانى عشر مسرى . وبلغ ثمانية عشر ذراعا وإحدى عشرة إصبعاً .

ومات فيها من الأعيان (٥٢ ب) الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى — ويلقب[4] خَرَز — الوزير ، عند نزوله من سطح العقبة ، فى يوم الأحد سابع عشر المحرم ؛ وحمل إلى القاهرة ، فدفن بخانكاته ، فى يوم الخميس حادى عشريه ؛ وهو من المماليك الناصرية ، نقله السلطان وهو شاب من الخاصكية إلى إمرة بهادر الإبراهيمى — المعروف بِبَرْبَابة — نقيب المماليك ، وبعثه فى مهماته . ثم ولّاهُ أستاداراً ووزيراً ، وحكّمه فى جميع المملكة ؛ وكان جواداً عارفا يميل إلى الخير حشما ؛ [و] انتفع به جماعة كثيرة فى ولايته ، لأنه كان يأخذ على ولاية المباشرات[5] المالَ ، فقصده الناس لذلك ، وكان إذا ولَّى أحداً وجاء من

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٢٩ ب) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٠٤) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٢٩ ب) . وقد تقدم شرح لفظ "أسباب" هنا فى ص ٩٩ ، حاشية ١ .

(٤) ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٩٢) أن لفظ خرز تركى ومعناه الديك فى اللغة العربية ، وأن الوزير مغلطاى كان أمياً لا يعرف كتابة اسمه .

(٥) فى ف "يأخذ على ولاية المباشرات المال على ايديهم فقصدهم الناس لذلك" ، وقد عدّلت العبارة =

يزيد عليه عَزَله وولَّى الذى زاد بعدما يعلم أنه قد استوفى (١٥٣) ما قام [له] به [من المال] ، ومَنْ[1] لم يستوف ذلك لا يعزله ؛ ولم يصادر أحداً فى مدة ولايته ، ولا عرف أنه ظلم أحداً ، بل كانت أيامه مشكورة ؛ و [كان] المستولى عليه مجدالدين إبراهيم بن لفيتة ؛ وترك عدة أولاد من ابنة الأمير أسندمر كرجى نائب طرابلس ؛ وإليه تنسب المدرسة الجمالية بالقرب من درب ملوخيا بالقاهرة . و [توفى] الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل على بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى صاحب حماة ، فى سابع عشرى المحرم ، عن نحو ستين سنة ؛ كان أولاً بدمشق من جملة أمرائها ، ثم أعطاه السلطان مملكة حماة ولقبه بالملك الصالح ، ثم لقبه (٥٣ ب) بالملك المؤيّد ، وأركبه فى القاهرة بشعار السلطنة والأمراء مشاة فى خدمته — حتى الأمير أرغون النائب — ، وقام له بجميع ما يحتاج إليه ، وأمر نواب الشام أن يكاتبوه بتقبيل الأرض ، وكتب هو إليه : " أخوه محمد بن قلاوون " ؛ وكان كريماً فاضلا فى الفقه والطب وغير ذلك ، وله عدة مصنفات ، منها تاريخ جيد ، وله شعر بديع . و [توفى] برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الربعى الجعبرى شيخ القرا آت ، فى شهر رمضان . و [توفى] صدر الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدندرى[2] الشافعى ، فى ليلة الجمعة ثامن جمادى الآخرة . وكان من شيوخ القرا آت وفضلاء الفقهاء [بقوص] . و [توفى] الأمير سيف الدين أُلْجاى الدوادار ، يوم الاثنين مستهل (٥٤ ا) شعبان . و [مات الديستى والسكنجاوى ، فى يوم الأحد[3] خامس شهر ربيع الأول] . و [توفى] القاضى فخر الدين محمد

= كلها، وأضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ — ٣٩٣)، حيث توجد ترجمة وافية لهذا الأمير ، وقد جاء فيها شرح لما سبقت الإشارة إليه من إشراف السلطان على الوارد والمنصرف يوما بيوم من أموال الدولة (انظر ص ٢٥٨) ، وذلك أنه لما ثبت أن الموظفين والدواوين يأكلون أموال الدولة ويحيلون على الوزير الأمى وهو لا يدرى أمر السلطان "بكتابة أوراق فى كل يوم تشتمل على أصل الحاصل ، وما حمل فى ذلك اليوم من البلاد والجهات ، وما صُرف ، وأنه لا يصرف لأحد شىء ألبتة إلا بأمر السلطان وعلمه" .

(١) فى ف "ما" . انظر الحاشية السابقة .

(٢) فى ف "الديدرى" ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٢٧٦)، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٣٠ ا) .

ابن فضل الله ناظر الجيش، يوم الأحد سادس عشر رجب . و [توفى] سُونَتَاى[(١)] نوين حاكم ديار بكر ، عن نحو المائة سنة ؛ وحكم بعده على بادِشاه[(٢)] خال بو سعيد . و [توفى] ياقوت بن عبد الله الحسنى الشاذلى ، تلميذ أبى العباس المُرسى[(٣)] ، ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة ؛ وكان شيخاً صالحاً مباركا ذا هيئة ووقار ، لم يخلف فى الإسكندرية مثله . و [توفى] الشيخ عبد العال خليفة أحمد البدوى ، بطنتنا فى ذى الحجة ؛ وله شهرة بالصلاح ، [و] يقصد للزيارة والتبرك به[(٤)] . و [مات] الأمير علاء الدين مغلطاى المسعودى ، يوم السبت سابع ذى القعدة ، (٥٤ ب) بعد خروجه من السجن بقليل .

***

سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة : فى ثامن المحرم قدم الأمير بُلك[(٥)] الجمدار المظفرى مبشراً بسلامة السلطان ؛ فدقّت البشائر ، وخُلِعَت عليه خلع كثيرة ، واطمأنّ الناس بعد ما كانت بينهم أراجيف ؛ وعُيّنت الإقامات للسلطان والأمراء .

وكان السلطان لما قرب فى مسيره من عقبة أيلة بلغه اتفاق الأمير بكتمر الساقى على الفتك به مع عدة من المماليك ، فتمارض وعزم على الرجوع إلى مصر ؛ فوافقه الأمراء على ذلك إلا بكتمر الساقى فإنه أشار بإتمام السفر ، وشنّع عوده[(٦)] قبل الحج . فسير [السلطان] ابنه آنوك وأمه إلى الكرك ، صحبة الأمير ملكتمر السرجوانى نائب الكرك (١٥٥) — وكان قدم إلى العقبة ، ومعه ابنا السلطان أبو بكر وأحمد — . ثم مضى [السلطان] فى سفره وهو محترز غاية التحرّز ، بحيث أنه ينتقل فى الليل عدة مرات من مكان إلى آخر ،

(١) فى ف " سوبان البوين " ، وما هنا من (Howorth : Op. Cit. III. p. 637) حيث ورد أن الأمير سونتاى كان حاكما على دياربكر منذ قيام أبى سعيد على عرش إيلخانات فارس ، وأن ابنه حاجى طوغان هو الذى تولى حكم دياربكر من بعده ، وليس على بادشاه كما هنا .

(٢) فى ف "على باشا" ، وما هنا من (Howorth : Op. Cit. III. p. 618) ، حيث ورد هذا الاسم برسم (Ali Padishah) .

(٣) فى ف " المرينى " وما هنا من ابن العماد ، (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٠٣) ، حيث ورد هذا الشيخ باسم ياقوت الحبشى الشاذلى ، وأنه كان يقول : " أنا أعلم الخلق بلا إله إلا الله " .

(٤) يلى هذا ذكر وفاة الأمير الجاى الدوادار ، وقد تقدمت بالصفحة السابقة فتعين حذفها هنا .

(٥) فى ف " ملك " ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 186) .

(٦) الضمير عائد على السلطان .

ويخفى موضع مبيته من غير أن يظهر أحداً على ما فى نفسه مما بلغه ، إلى أن وصل إلى ينبع . فتلقّاه الأشراف من أهل المدينة بحريمهم ، وقدم عليه الشريف أسد الدين رميثة من مكة ومعه قواده وحريمه ؛ فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم ، وساروا معه إلى أن نزل خُلَيْص فى ثلاثين مملوكا إلى جهة العراق.

فلما قدم [السلطان] مكة أكثر بها من الإنعام على الأمراء ، وأنفق فى جميع من معه من الأجناد والمماليك ذهباً كثيراً ، وعمّ بصدقاته أهل الحرم . فلما قضى النسك عاد يريد مصر ، فلما وصل (٥٥ ب) إلى المدينة النبوية هبّت بها فى الليل ريح شديدة جداً ألقت الخيم كلها ؛ وتزايد اضطراب الناس ، [وفرّ منهم [1] عدة من المماليك] ؛ واشتدّت ظلمة الجوّ ، فكان أمراً مهولا . فلما كان النهار سكن الريح ، فظفر أمير المدينة بمن فرّ من المماليك ؛ فخلع [السلطان] عليه ، وأنعم عليه بجميع ما كان مع المماليك من مال وغيره . وبعث [السلطان] بالمماليك إلى الكرك ، وكان آخر العهد بهم .

وقدم [السلطان [2] إلى القاهرة] فى يوم السبت ثامن عشر المحرم ، بعد ما ورد الخبر بموت بكتمر الساقى وولده وكثرت الإشاعات . وقد خرج معظم الناس إلى لقائه ، بحيث غلقت أسواق القاهرة ومصر ؛ وخرج شرف الدين النشو ، فبسط الشقاق الحرير والزَّرْبَفْت [3] — التى جباها من الأمراء المقيمين وأرباب الدولة — من بين العروستين إلى باب (١٥٦) الإصطبل . فلما توسّط السلطان بين الجبلين [4] صاحت العامة : "هو اياه ؟ ما هو اياه ؟ بالله اكشف لثامك وأرنا وجهك ! !". وكان [السلطان] قد تلثم ، فحسر اللثام عن وجهه ، فصاحوا بأجمعهم : " الحمد لله على السلامة "، وبالغوا فى إظهار الفرح به والدعاء له ، فسرّه

(١) أضيف ما بين الحاصرتين لتنسجم العبارة مع ما يلى من سائر الفقرة .

(٢) فى ف "فقدمها" ، وقد عدّلت وأضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) ف "الزربت" ، وما هنا من ب (٤٣٠ ب) . والزربفت القماش المنسوج معظمه أو بعضه من خيوط الذهب ، وهو لفظ فارسى جرى فى مصطلح الملابس فى الدولة المملوكية ، ويقابله فى العربية الديباج والسندس أيضا . انظر (Steingass : Pers. — Eng. Dict.) .

(٤) الواضح من المتن أن المقصود بالجبلين هنا "الجبل" الذى بنيت عليه القلعة و "الجبل" الذى توجد بسفحه دار المحفوظات الحالية ، وكلاهما تل مرتفع لا يبلغ مبلغ الجبل بحسب المصطلح الجغرافى . وكان موقع العروستين (انظر ص ٧٣ ، حاشية ١) فى الطريق الواقع بين هذين الجبلين ، وهذا الطريق — نقلا عن محمد رمزى بك — هو الطريق المعروف الآن بسكة المحجر ، بين باب العزب ودار المحفوظات .

ذلك منهم . وصعد [السلطان] القلعة ، فدقّت البشائر ، وعملت الأفراح ثلاثة أيام .

وكانت حجة السلطان[١] هذه يُضرب بها الأمثال : أبيع بمكة فيها الأردب [من] الشعير من عشرة دراهم إلى عشرين درهما ؛ وأبيع البقسماط بالعِدل[٢] ، فكان يقف كل رطل منه بفلس واحد ؛ وأبيع السكر كل رطل بدرهمين ، والعلبة الحلوى بثلاثة دراهم . وقدِمَت إقامة تنكز نائب الشام إلى خُلَيْص ، فعمّت الناس . (٥٦ ب) وأنعم السلطان على جميع أهل مكة ، [و] كان إنعامه على الشريف رميثة بخمسة آلاف دينار ، وعلى زوجته بخمسمائة دينار ، [وذلك] سوى [ما أنعم به على] البنات وغيرها . فقدّم له رميثة مائة فرس ، وألف رأس من الغنم ؛ فردّ الجميع وأخذ منها فرسين لا غير[٣] .

[وفى] يوم الاثنين عشريه جلس السلطان بدار العدل ، وخلع على جميع الأمراء والمقدمين ، وأنعم عليهم إنعامات[٤] كثيرة .

و [فيه] منع [السلطان] النشو من التعرّض لمباشرى بكتمر الساقى وسائر ألزامه ، وطلب (٥٧ ا) المهذّبَ كاتب بكتمر ، وألزمه بكتابة ما خلّفه ؛ فوُجد له ستة وثلاثون ألف أردب غلة ، ومن السلاح والجوهر وغيره ما زادت قيمته على مائة ألف دينار ؛ واتهم موسى الصيرفى أنه خصّه مما سرقه مباشروه خمسة وعشرون ألف دينار . ثم عرض السلطان مماليك بكتمر ، وأخذ منهم جماعة ؛ وأنعم على الأمير بَشْتاك بإقطاع [بكتمر] وجميع حواصله ومَغَلّه ، ثم زوّجه بزوجته بعد وفاء عدّتها .

وفى ثالث عشريه سافر [الأفضل] صاحب حماة .

و [فيه] قدم البريد من [تَنْكِز] نائب الشام بتهنئة السلطان بقدومه سالمًا ، و [طابَ] الإذن له فى القدوم [إلى القاهرة] ؛ وشكا [تنكز] من الأمير طَينال نائب طرابلس ، لترَفُّعه عليه و [خرقِ[٥]] حرمته ، وإعراضه عما يكاتبه فيـه . فأجيب (٥٧ ب)

(١) فى ف " فكانت حجة الاسلام " ، وما هنا من ب (٤٣٠ ب) .

(٢) العدل — والجمع أعدال وعدول — نصف الحمل . (المحيط) .

(٣) يلى هذا فقرة أوردها ناسخ ف ، وكذلك ناسخ ب (٤٣١ ا) فى غير موضعها وترتيبها الزمنى ، ونصها : "وفى يوم الثلاثا رابع ربيع الاول توجه الامير سيف الدين بيغرا لتقليد الامير شهاب الدين قرطاى نيابة طرابلس عوضاً عن طينال نقل اليها من امرة بدمشق واستقر طينال فى نيابة غزة" ، وقد أثبتت فى موضعها المناسب فيما يلى ، ص ٣٥٧ ، سطر ١٨ .

(٤) فى ف "انعاما" .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٣١ ا) .

بالشكر والإذن له بالحضور ، وعَزْل طَيْنال واستقرار الأمير قَرَطاى عوضه ؛ ونُقل طينال إلى نيابة غزة أهنة له . وركب الأمير بيغرا البريد لتقليد المذكورين ، و [قد أوصاه السلطان] إن رأى من طينال كراهة لنيابة غزة يقبضه ويحضر به مقيداً .

و[فيه] كُتب بإضافة غزة إلى نيابة الشام ، وأن [نائبها] يكاتب نائب الشام فيما يعنّ له من الأمور ، ولا يكاتب[1] السلطان .

وفى يوم الاثنين خامس صفر قدم الصاحب أمين الدين [عبد الله] بن الغنام[2] باستدعاء ، وخلع عليه ؛ واستقرّ فى نظر الشام ونظر الخاص بها ونظر الأوقاف ، عوضاً عن الشمس غبريال ؛ وكُتِب توقيعه من إنشاء الصلاح خليل بن أيبك الصفدى ، وسافر فى حادى[3] عشره .

وفيه أُنعم على الأمير ناصر الدين محمد (١٥٨) بن الأمير جنكلى بن البابا بإمرة طبلخاناه ، وأُنعم بعشرة على أخيه .

وفى هذا الشهر كثرت مصادرات النشو للناس : فأقام من شهد على التاج إسحاق أنه تسلّم من المكين الترجمان صندوقا فيه ذهب وزمرّد وجوهر مثمن ، فرُسم لابن المحسنى بعقوبة موسى بن التاج إسحاق حتى يحضر الصندوق . وطلب النشو ولاة الأعمال وألزمهم بحمل المال ، وبعث أخاه لكشف الدواليب بالصعيد وتتبّع حواشى ابن التاج [إسحاق] ؛ فقدم قنغلى والى البهنسا ، وقشتمر والى الغربية ، وفخر الدين إياس متولى المنوفية ، وعدة من المباشرين ؛ فتسلمهم ابن هلال الدولة ليستخلص منهم الأموال .

وفى[4] يوم الثلاثاء رابع ربيع الأول توجه الأمير سيف الدين بَيْغَرا لتقليد الأمير شهاب الدين قَرَطاى نيابة طرابلس ، عوضاً عن طَيْنال ، و[قد] نقل [قرطاى] إليها من إمرة بدمشق ؛ واستقر طينال فى نيابة غزة .

(١) هنا تعديل فى أصل من أصول الإدارة فى عهد المماليك ، إذ كانت غزة نيابة قائمة بذاتها حتى ذلك العهد ، وكان النائب بها برتبة مقدم ألف دائماً ، ويطلق عليه أحيانا اسم مقدم العسكر لأهمية غزة من الناحية الحربية . انظر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

(٢) فى ف "ابن غنام" ، انظر ما سبق ص ١٠٦ ، سطر ١٠ .

(٣) فى ف "فى خامس صفر" ، وهو خطأ واضح ، وماهنا من ب (٤٣١ ب) . انظر أيضا (Zetterstéen : Op. Cit. p. 186) .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٣٥٧ ، حاشية ٣ .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرى جمادى [الأولى[١]] قدم الأمير تَنْكِز نائب الشام ، فأكرمه السلطان (٥٨ ب) إكراما زائداً على عادته .

وفيه تفاوض شرف الدين أبو بكر محمد بن الشهاب محمود كاتب السرّ والأمير صلاح الدين يوسف الدوادار ، حتى توحّش ما بينهما ، وارتفعا إلى السلطان . فسأل كاتبُ السرّ أن يعود إلى الشام ، فأجيب إلى ذلك ؛ وكُتِب بطلب محيى الدين يحيى بن فضل الله كاتب السرّ بدمشق ، ليستقرّ فى كتابة السرّ .

و[فيه] قدم البريد بموت قطب الدين موسى بن شيخ السلامية ناظر الجيش بدمشق ، فتروّى السلطان أياما فيمن يولى عوضه ، إلى أن تعيّن فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله ابن أحمد بن على بن الحلى ؛ فخلع عليه فى أول صفر ، وسافر إليها فى تاسع عشر صفر .

وفى تاسع جمادى الآخرة[٢] خلع على الأمير تَنْكِز خلعة السفر ؛ (١٥٩) وتوجه إلى دمشق ، وصحبته ابن الحلى ناظر الجيش ، وشرف الدين بن الشهاب محمود كاتب السرّ .

وفى سلخ جمادى الآخرة قدم محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى من دمشق بأولاده ، فخلع عليه ؛ واستقرّ فى كتابة السرّ عوضاً عن ابن الشهاب محمود ؛ وخلع على أولاده .

وفيه قدم ناظر حلب وعامة مباشريها ، فتسلّمهم ابن هلال الدولة لعمل الحساب . وسبب ذلك أنه [لما] مات فَنَدَش[٤] ضامن دار الطعم وعدّاد الأغنام بحلب ، قام بعده مَنْ ضمن الجهتين ؛ فسعى [بدر[٥] الدين] لؤلؤ [الحلبى] مملوك فندش[٦] فى الضمان ، فلم يجَب إليه لسوء سيرته ، فكَتَب إلى السلطان بأنه يعيِّن فى جهة مباشرى حلب أموالا عظيمة أهملوها

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٣١ ب) .

(٢) فى ف "جمادى الاولى" ، وهو خطأ واضح من تاريخ قدوم الأمير إلى القاهرة ، وما هنا من ب (٤٣١ ب) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. p. 186) .

(٣) فى ف "ربيع الاخر" ، وربما كان الصحيح ما هنا .

(٤) فى ف "قيدس" ، وما هنا مما يلى ، ص ٣٦٩ ، سطر ١ .

(٥) لهذا الرجل أخبار كثيرة فيما يلى ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ س ٢٧٢) ، حيث ورد أن لؤلؤاً هذا كان فى أول أمره جزاراً بحلب ، يدور بأسقاط الغنم على رأسه ، ثم توصل إلى أن خدم عند فندش الوارد هنا ، وتولى وظائفه من بعده كما بالمتن . انظر أيضاً ابن الوردى (ذيل المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢) .

(٦) فى ف "قيدش" . انظر حاشية ٤ .

وصالحوا عليها ؛ فطلبوا لذلك . [وكان [١] لؤلؤ قد حضر إلى القاهرة ، فعيّنه السلطان شاد الدواوين بحلب ، فسافر إليها صحبة الأمير سيف الدين جركتمر الناصرى ، وأخذ فى كشف أحوال المباشرين ومحاققتهم بناء عن أمر السلطان] .

و [فيه] قدم (٥٩ ب) المخلص أخو النشو من كشف الدواليب والزراعات بالوجه القبلى ، فأغرى النشوُ السلطانَ بمباشرى الوجه القبلى ، وأنهم فرّطوا فى مباشراتهم ، وأتلفوا عدة أموالٍ للسلطان . فكُتب بالحوطة على جميع مباشرى الوجه القبلى من شادّيه وعماله وشهوده والمتحدّثين [٢] ، وحَمْلِهم وحملِ [الأمير] أحمر عينه وإيقاع الحوطة على موجوده كله — وكان قديم المباشرة فى الدواليب ، وله سعادة جليلة — ، وحملِ عزالدين أيبك شاد الدواليب — وكان أيضا صاحب أموال جزيلة — ؛ فأوقعت الحوطة على أموال الجميع ، وحُملوا إلى القاهرة .

و [فيه] طلب النشوُ تجارَ القاهرة ومصر ، وطرح عليهم عدة أصناف من الخشب والجوخ والقماش بثلاثة أمثال قيمته ، وركب إلى دار (١٦٠) القند ، واعتبر أوزان القنود الواصلة إلى الأمراء من معاصرهم وغيرها ، وكانت شيئاً كثيراً . [وكان السلطان] قد رسم [٣] للأمراء بمسامحتهم بما عليها للديوان ، فألزم [٤] [النشو] مباشريهم بما عليهم للديوان عنها ، ولم يمتثل مافى المراسيم السلطانية من مسامحتهم . ثم ركب [النشو] إلى السلطان ، وعرّفه بأن الذى للديوان على القنود التى اعتبرها فى يومه مبلغ ستة آلاف دينار ، وأنه كلّ قليل يرد للأمراء [من القنود [٥]] مثل ذلك وأكثر منه ، وأنّ مال السلطان يذهب فى هذا وأمثاله ، فإن الدواوين تسرق بحجة مسامحة الأمراء شيئاً كثيراً . فأثّر ذلك فى نفس السلطان ، ومكّن [٦] [النشو] من عمل ما يختاره ، وألا يسامح أحداً بشىء مما عليه للديوان . فشقّ ذلك على الأمير قَوْصُون ، وحدّث (٦٠ ب) السلطان فى إمضاء مارُسِم [له] به من المسموح عن القند ؛ فلم يجبه [السلطان] إلى ذلك ، ووعده أنه يعوّضه

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حبيب (درة الأسلاك ، ج ٢ ، ص ٢٨٠) .
(٢) هنا إشارة لمجموعة موظفى الدولة الإداريين فى الأقاليم زمن المماليك بمصر .
(٣) فى ف "قد رسم السلطان للامرا" ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح .
(٤) فى ف "والزم مباشريهم" ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح .
(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٣٢ ا) .
(٦) فى ف "مكنه" ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

عليه بأكثر منه . فانكفّت الأمراء عن السؤال ، وعظم النشو بهذا فى أعين الناس . واستدعى [النشوُ ؟] الشمسَ بن الأزرق ناظر الجهات — وكان ظلوما غشوما — ، فكَتب له [أسماء] أربابِ الأموال من التجار ، وطرح عليهم قماشا — استدعى به من الإسكندرية — بثلاثة أمثال قيمته ، وأخرق بمن عارضه منهم ؛ وحمل [النشوُ] للسلطان من هذا(١) وشبهه أموالا عظيمة .

و[فيه] قدم الصاحب شمس الدين عبد الله غبريال بن أبى سعيد بن أبى السرور من دمشق ، فألزِم بحملِ أربعين ألف دينار وضعها كريم الدين عنده ليتّجر(٢) له بها ، وحملِ ما أخذه فى مباشرته من مال (١٦١) السلطان ؛ و[كان] ذلك بإغراء النشو . فقام فى أمره الأمير بَشْتاك والأمير قَوْصُون حتى يقرّر عليه مايحمله من غير أهنة ، فحمل ألف ألف درهم .

وعمّت مضرة النشو الناس جميعاً ، وانتمى إليه عدة من الأشرار ، ونمّوا على الكافة من أهل الوجه القبلى والوجه البحرى ، ودلّوه على مَنْ عنده شىء من الجوارى المولّدات لشغف(٣) السلطان بهن ، فحملت إليه عدة منهن بطلبهن من أربابهن ؛ وسعوا عنده بأرباب الأموال أيضاً ، فدهى الناس منه بلاء عظيم .

[وفى سلخ(٤) شوال] أخرج صلاح الدين الدوادار على البريد منفياً إلى صفد ، وخُلِع على سيف الدين بُغَا الدوادار الصغير عوضه . وسبب ذلك أنه كان مترفّعاً ، يعامل رفقاءه بشمم وتكبّر . وكان شهاب الدين أحمد بن محيي الدين (٦١ ب) يحيى بن فضل الله كاتب السرّ يباشر عن أبيه وعن جدّه فى مِزاحةٍ وقوّة نفس ، فسلك صلاح الدين معه مسلكه مع ابن الشهاب محمود ؛ فلم يحتمل [شهاب الدين] ذلك منه ، وصار بينهما شنآن ، إلى أن اتفق فى بعض الأيام ذِكْرُ السلطانِ الفخرَ ناظر الجيش ، فترحّم عليه ، فقال صلاح الدين : "يا خوند ! لا تترحّم على ذاك ، فإنه ما كان مسلما" . فغضب السلطان من معارضته له ، وقال : "والله يا صلاح الدين هو أيضاً كان يقول عنك أنك لست بمسلم" ؛

(١) فى ف "هنا" ، وما هنا من ب (٤٣٢ ا) .

(٢) فى ف "ليتجهز" ، وما هنا من ب (٤٣٢ ا) .

(٣) هنا إشارة لشىء من أخلاق السلطان الناصر .

(٤) أضيف مابين الحاصرتين مما يلى بالصفحة التالية ، سطر ٥ ، حيث ورد أيضاً أن هذا الأمير قد عزل عن الدوادارية فى يوم الأربعاء حادى عشر رمضان .

وتبيّن فى وجه السلطان الغضب ، وانفضّ المجلس . فذُكِر بعد ذلك صلاحُ الدين عند السلطان فقال عنه : "ذاك ما يتحدث عن أحد بخير" ؛ فانتهز ابن فضل الله الفرصة فى صلاح الدين ، ومازال (١٦٢) به حتى أبعده السلطان وعزله فى يوم الأربعاء حادى[(١)] عشر رمضان ، وأقام سيف الدين بُغَا دواداراً عوضه ؛ ثم أخرج صلاح الدين أميراً بصفد ، فى سلخ شوال[(٢)] .

وفى هذه السنة أخذ الأمير قَوْصُون[(٣)] دار الأمير بَيْسَرِى بالقاهرة — وكانت وقفاً — ، فعُمِل محضر[(٤)] بشهود القيمة أن قيمتها مبلغ مائة وتسعين ألف درهم ، [وتكون[(٥)] الغبطة للأيتام عشرة آلاف درهم] ، فكملت مائتا ألف ؛ فحكم القاضى شرف الدين الحرانى الحنبلى ببيعها وشراء عقار بثمنها . [و] هذا بعد أن كان كتاب وقف بيسرى لها فيه من الشهود عدة اثنين وسبعين عدلا ، منهم تقى الدين ابن دقيق العيد ، وتقى الدين بن رزين ، وتقى (٦٢ ب) الدين ابن بنت الأعز ، وذلك قبل بلوغهم درجة القضاء ؛ فكان هذا مما شنع ذكره ، فإنها دار يجلّ وصفها ويتعذّر وجود مثلها .

وفيها عمل السلطان باباً من خشب السنط[(٦)] الأحمر ، وصفّحه بفضة زنتها خمسة

---

(١) فى ف "خامس عشر" ، وما هنا من ب (٣٢ ٤ ب) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. p. 187) .

(٢) يلى هذا فى ف ، وكذلك فى ب (٣٢ ٤ ب) العبارة التالية : "وفى يوم الاربعاء العشرين من ذى الحجة مسك الامير الماس الحاجب" ، وقد حذفت من المتن لورودها بتفصيل أكثر فيما يلى ص ٣٦٣ .

(٣) فى ف "بشتاك" انظر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٦٩ — ٧١) ، حيث يوجد وصف الدار البيسرية التى أخذها الأمير قوصون ، ويليه وصف القصر الذى بناه الأمير بشتاك تجاه تلك الدار ، مما لايترك مجالا للتشكك فى تصحيح الاسم كما هنا .

(٤) فى ف "قصر الامير بيسرى بالقاهرة وكان وقفاً فعمل وقفا بشهود القيمة ان قيمته ..." ، وقد عدلت العبارة إلى الصيغة المثبتة هنا لتنسجم مع سائر الفقرة .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٦٩) ، حيث توجد تفاصيل كثيرة بصدد أصل هذا القصر ، ومنها أنه كان بخط بين القصرين بالقاهرة ، وأنه كان زمن الدولة الفاطمية داراً قد أعدت لمن يجلس فيها من قصاد الفرنج (مندوبى الصليبيين) ، عندما تقرر الأمر معهم على أن يكون نصف ما يحصل من مال البلد لهم ، فصار يجلس فى هذه الدار قاصد معتبر من عندهم لقبض المال . أما الغبطة فهى الزيادة فى الثمن .

(٦) فى ف "السفط" ، والمقصود ما هنا ، وهو خشب من شجر شائك ينمو بمصر والشام ، واسمه فى الإنجليزية (Arabic acacia) . انظر قاموس المحيط .

وثلاثون ألف درهم وثلاثمائة درهم ؛ ومضى به الأمير [سيف الدين] ، بُرْسُبغا[١] الساقى إلى مكة ، فقلع باب الكعبة العتيق ، وركّب هذا الباب . [وأخذ[٢]] بنو شيبة [الباب العتيق] ، وكان من خشب الساسم[٣] المصفّح بالفضة ، فوجدوا عليه[٤] ستين رطلا من فضة تقاسموها ؛ [وتُرِك خشب ذلك الباب داخل الكعبة ، وعليه اسم صاحب اليمن فى الفردتين ، واحدة عليها : "اللهم يا ولى يا على ! ! اغفر ليوسف بن عمر بن على"] .

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى ذى القعدة وحادى عشر مسرى كان وفاء النيل ، و بلغ سبعة عشر ذراعا وثمانى أصابع .

وفيها هُدمت قاعة (١٦٣) الصاحب وقاعة الإنشاء بقلعة الجبل ، ورُسم أن تكون دار الوزارة وقاعة الإنشاء بدار النيابة . وكانت دار الوزارة [قد] عمرت فى الأيام الأشرفية برسم ابن السلعوس .

وفى عشرى ذى الحجة قُبض الأمير أُلْماس الحاجب وأخوه قرَا ، وسُجنا مقيّدين ؛ ثم أُخرج قرَا إلى الإسكندرية فى رابع عشريه .

وفى حادى عشريه خُلع على الأمير بدر الدين مسعود بن خطير ، واستقرّ حاجباً عوضاً عن ألماس .

ومات فيها من الأعيان ناظر الجيش بدمشق قطب الدين بن موسى بن أحمد بن الحسن المعروف بابن شيخ السلامية ، عن اثنتين وتسعين سنة . و[مات] الأمير شمس الدين سنقر المرزوقى ، فى يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان . (٦٣ ب) و[توفى] قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموى الشافعى ، فى حادى عشر جمادى الأولى ، وهو معزول ، بعدما عمى . و [توفى] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة[٥] البكرى النويرى الشافعى ، صاحب كتاب التاريخ ، فى

---

(١) بغير ضبط فى ف . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 187. etc) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها من ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٦٢) .

(٣) الساسم شجر ذو خشب أسود ، وهو الآبنوس أو الشيزى (ebony) ، ومنه تعمل القسى . (المحيط) .

(٤) فى ف "فيه" ، وما هنا من ب ٤٣٣ ا .

(٥) هذا هو النويرى مؤلف كتاب نهاية الأرب المتداول ذكره كثيراً بما سبق من الحواشى هنا .

الحادى والعشرين من رمضان . و [مات] الأمير أحمد بن بكتمر الساقى بوادى عنتر من طريق الحجاز فى المحرم ؛ واتهم السلطان بأنه سمّه ، فحُمل مصبّرا . و [مات] الأمير بكتمر الساقى بعد موت ولده [بثلاثة[1] أيام] ؛ وكان موتُ ولده [الأمير أحمد] فى ليلة الثلاثاء سابع المحرم — و [قد] حمل إلى نخل[2] فدفن بها — ، وموتُ الأمير بكتمر[3] يوم الجمعة عاشر المحرم — و [قد] حمل إلى عيون[4] القصب ، فدفن بها — ؛ ثم نقل [بكتمر وولده] إلى خانكاته من (١٦٤) القرافة بالقاهرة ، فدفنا بها يوم الأحد سابع ربيع الآخر . واتُّهِم السلطان بأنه سمّ [بكتمر[5]] أيضاً ، وذلك أنه كان قد عظم أمره بحيث أن السلطان فى هذه الحجة كان معه ثلاثة آلاف ومائة عَليقة ، وكان مع بكتمر ثلاثة آلاف عليقة ؛ و بلغت عدة خيوله مائة طوالة بمائة سايس بمائة سطل ، وكان عليق خيله دائماً ألفاً ومائة عليقة كل يوم . فلما توجّه مع السلطان إلى الحج وُشِى به أنه يريد قتل السلطان ، فتحرّز [السلطان] على نفسه غاية التحرّز ، وكان فيه من الدهاء[6] والمكر ما لا يوصف ، فأخذ يدبّر على بكتمر و يلازمه بحيث عجز بكتمر أن ينظر إلى زوجته ، فإنه كان إذا ركب أخذ يسايره بجانبه ، وإذا نزل جلس معه ، فإن مضى إلى (٦٤ ب) خيامه بعث فى طلبه ، بحيث أنه استدعى به — وهو يتوضأ — بواحد بعد آخر [من الجمدارية] ، حتى كمل عنده عدة اثنى عشر جمداراً . فلما ثارت الريح بالمدينة قصد [السلطان] فى تلك الليلة اغتيال بكتمر وولده ، وأعدّ لذلك جماعة ؛ فهجموا على أحمد بن بكتمر فلم يتمكّنوا منه ، واعتذروا بأنهم رأوا حرامية وقد أخذوا لهم متاعا ، فمرّوا فى طلبهم ؛ فداخل الصبىّ

---

(١) انظر بقية العبارة .

(٢) كذا فى ف ، وفى ب (٤٣٣ب) برسم "نخلة" ، وكلا الاسمين مقبول ، فإن نخل موضع على مسافة مرحلتين من المدينة فى طريق الشام ، ونخلة — واسمها نخلة محمود — موضع عند المرحلة الأولى للصادر عن مكة . ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٧٦٨ — ٧٦٩) .

(٣) فى ف "وموت ابيه" .

(٤) تقع هذه البلدة فى طريق الحجاز بين العقبة والمويلح ، وعلى مقربة من شاطئ البحر الأحمر . (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٠٥ ، حاشية ٢) .

(٥) فى ف "سمه" .

(٦) هنا إشارة أخرى لبعض أخلاق السلطان الناصر محمد بن قلاون ، وقصة وفاة بكتمر وولده كما هنا تدل على شدة مكر السلطان .

منهم فزع كثير غُشِى عليه منه . وزاد احتراز السلطان على نفسه ، وتقدّم بأن تنام الأمراء بمماليكهم على بابه . وسار [السلطان] من المدينة ، فيقال إنه سقى الصبى ماء بارداً فى مسيره كانت فيه منيته ، ثم بعد قليل سقى بكتمر بعد موت ولده مشروبا ، فلحق به . واشتهر ذلك ، حتى إن زوجة بكتمر لما (١٦٥) مات صاحت ، وقالت للسلطان بصوت سمعه كل من حضر : "ياظالم ! أين تروح من الله ؟ ولدى وزوجى ؟ زوجى كان مملوكك ، ولدى إيش كان بينك وبينه ؟ " ، وكرّرت هذه مراراً ، فلم يجبها . وقد ذكرنا ترجمته فى كتابنا الكبير المقفى بما فيه كفاية ؛ إذ هو كتاب تراجم ووفيات ، كما أن هذا كتاب[١] حوادث وما جريات .

ومات علم الدين المشطوب ، يوم الأحد تاسع عشر ذى القعدة . و[مات] جمال الدين أبو الحسين بن محمود بن أبى الحسين بن محمود بن أبى سعد بن أبى الفضل بن أبى الرضا الربعى البالسى ، إمام السلطان ، [فى] سابع عشر رمضان ؛ ومولده سابع عشر رجب سنة ست وأربعين وستمائة ؛ (٦٥ ب) واسمه كنيته ؛ وكان فاضلا ، كتب بخطه كتبا كثيرة . ومات جَدّى الشيخ محيى[٢] الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزى ، بدمشق فى ثامن عشرى ربيع الأول ؛ وكان فقيهاً حنبلياً محدّثا جليلا ، سمع ببعلبك من زينب بنت كندى ، وبدمشق من عمر بن القواس وجماعة ؛ وحدّث وكتب بخطه كثيراً ، وقرأ كثيراً ؛ وقدم القاهرة ، وعُدّ من أعيان الفقهاء المحدثين .

***

سنة أربع وثلاثين وسبعمائة . فى أول المحرم أحيط بحواصل الأمير أُلْماس الحاجب ، [وكان قد[٣] قبض عليه] وعلى أخيه الأمير قرَا . وسبب التغيّر على ألماس أنه كان نائب الغيبة مدة سفر السلطان بالحجاز (١٦٦) ، وسكن فى دار النيابة بالقلعة ، وسكن

---

(١) فى ف "الكتاب" ، وما هنا من ب (٣٣ ؛ ب) .
(٢) هذه أول إشارة للمقريزى بصدد أهله فى هذا الكتاب .
(٣) انظر ما سبق ، ص ٣٦٣ ، سطر ١١ .

الأمير آقبغا عبد الواحد داخل باب القلّة [من القلعة] ؛ فحفظ [آقبغا[1]] عليه أشياء غيّر بها قلب السلطان لوَجِدةٍ[2] كانت بينه و بين أُلماس : منها أنه كان يتراسل هو والأمير جمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك ، لميل كل منهما إلى الآخر ؛ ومنها كثرة أفعال أُلماس للأمور القبيحة ، من انهماكه فى الميل إلى الأحداث و إسرافه فى ذلك ، حتى إنه كان بجوار[3] دار النيابة مسجد ففتح منه بابا وصار يعبر بالأحداث من ذلك الباب إليه ؛ واشتدّ شغفه [بغلام يدعى] عمير[4] من أولاد الحسينية ، وأكثر من النزول من القلعة وجَمع الأويراتية مع المذكور للشرب ؛ [هذا] مع ما حُفظ عليه من الكلام السيئ فى وقت الإرجاف بالسلطان وهو مسافر (٦٦ ب) ، وكثرة ماله وتنميته من وجوه منكرة ، فإنه غرَس بساتين بناحيتى بهواش[5] والنعناعية من المنوفية ، وجاب عدداً كثيراً من الخنازير وسمّنهم بها ، وباعهم على الفرنج ببضائع ، وحَمَل سلاحا كثيراً إلى بلاد الشرق تعوّض به أصنافا للمتجر ؛ فاتسعت أمواله وتكثّر بها ، وقال غير مرة للأمراء : "عندى الذهب والدراهم ! ومَنْ فيكم مثلى ؟" ؛ وزاد فى هذا المعنى ، وآقبغا عبد الواحد يضبط عليه مساوئه ، ويسعى به إلى السلطان حتى غيّره عليه . ويقال إن السلطان وجد فيما خلّفه الأمير بكتمر الساقى جُزْدان[6] فيه كتب من جملتها كتاب أُلماس إليه يتضمّن "إننى أحفظ لك القلعة حتى يرد علىّ منك ما أعتمده" ، فلم يصبر له [السلطان] على هذا .

ولما قبضه [السلطان] ، وقبض على أخيه قرا — (١٦٧) وكان ظالما غشوما خمّاراً — ،

(١) فى ف "حفظ عليه اشيا" ، وقد عدلت العبارة بالإضافة بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٠٧) .

(٢) الوجدة — والموجدة والوجد أيضاً — المغاضبة ، إذ يقال وجد عليه بمعنى غضب . (المحيط) .

(٣) فى ف "يجاوز" ، وما هنا من ب (٤٣٤ ا) .

(٤) فى ف "غمير" ، وما هنا من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٠٧) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٥) فى ف "سهواج" ، وفى ب (٤٣٤ ا) "بهواج" . وما هنا من مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٩٩) ، حيث ورد أن بهواش قرية من مديرية المنوفية ، بمركز أشمون جريس ، قرب ترعة النعناعية .

(٦) فى ف "جمدان" ، وما هنا من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٠٧) ؛ والجزدان كلمة مركبة من اللفظ العربى جزء واللفظ الفارسى دان ، ومعناها خريطة من الجلد ذات طبقات تودع بها الأوراق ، ومنها ما يحمل كالقلادة ويقال له الحمال ، والعامة تقول له الجسدان . ويقابل هذه الكلمة فى الفرنسية (portefeuille) ، وفى الإنجليزية (portfolio) . انظر محيط المحيط ، وكذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

نزل النشو وابن هلال الدولة وشاهد الخزانة لضبط موجوده ؛ فوُجد له ستمائة ألف درهم فضة ، ومائة ألف درهم فلوس ، وأربعة آلاف دينار مصرية ، وثلاثون حياصة ذهب كاملة بكلفتاتها الذهب وخلعها الحرير ، وبعض جوهر ، وعدة أشياء ثمينة ؛ وقُبض على عبد له ربّاه صغيراً ، فعاقبه السلطان حتى اعترف على كل من كان يحضر إليه من الأحداث وغيرهم .

و[فيه] قدم مبشرو الحاج ، وأخبروا بقتل ياسور[(١)] أحد ملوك المغل وقت رَمْى الجمرات . وكان من خبره أن ملك الشرق أبا سعيد بن خر بندا لما قَتَل جوبان أراد إقامة ياسور ، لأنه من عظماء القان ، فخُوِّف من شجاعته ، وأن جوبان كان يريد إقامته فى الملك ، (٦٧ ب) فنَفَرَ منه أبو سعيد ؛ ثم إنه استأذنه فى الحج فأذن له ، وقام له بما يليق به . ثم طلب أبو سعيد المجدَ السلامى ، وكتب إلى السلطان يعرّفه بأمر ياسور ، ويخوّفه منه أن يجتمع عليه المغل ، ويسأله قتله . فدفع السلامى كتاب أبى سعيد إلى مملوكه قطلوبك السلامى ، فقدم [على] السلطان أول ذى القعدة من السنة الماضية ؛ فأركبه[(٢)] [السلطان] النجيب[(٣)] فى عاشره إلى مكة ، ومعه كتابٌ إلى الأمير بُرُسْبُغا الحاجب — وقد حجّ من مصر — بطلب الشريف رميثة وموافقته سرًّا على قتل ياسور . فقدم قطلوبك مكة أول ذى الحجة ، فلم يوافق رميثة على ذلك ، واعتذر بالخوف . فأعدّ برسبغا بعض نَجّابته من العربان لذلك ، ووعده بما ملأ عينه . فلما قضى الحاج النسك من الوقوف والنحر ، وركب ياسور (١٦٨) فى ثانى يوم النحر لرمى الجمار ، ركب برسبغا أيضاً ؛ فعند ما قارب [ياسور] الجمرة وثب عليه النَجّاب ، وضربه فألقاه إلى الأرض ، وهرب[(٤)] نحو الجبل ؛ فتبعه مماليك برسبغا وقتلوه أيضاً ، خشية من أن يعترف عليه . فاضطرب حجاج العراق ، وركبت فرسانهم ، فأخذوا ياسور قتيلا فى دمائه ، وساروا إلى برسبغا منكرين ما حلّ بصاحبهم ؛ فتبرأ [برسبغا] من ذلك وأظهر التوغّم له ، وقرّر عندهم "إن هذا الذى قتله إنما هو ممن له عليه ثأر أو أحد غرمائه ،

(١) فى ف "باسور" ، وما هنا من ب (٤٣٤ ب) ، انظر أيضاً ما يلى بهذه الصفحة ، وكذلك (Howorth : Op. III. p. 617) ، حيث الاسم وارد برسم (Yasaur) .

(٢) فى ف "وركب" .

(٣) النجيب — والنجيبة أيضاً ، والجمع نجائب — الناقة . (المحيط) .

(٤) فى ف "ركب" .

وإنكم قد كُفيتم أمره ، فإنى أخذتُ لكم بثأره وقَتْل قاتله ". فانصرفوا عنه وفى نفوسهم منه شىء ، وما زالوا له بالمرصاد وهو محترز منهم حتى افترق ركب الحاج العراقيين من المصريين (٦٨ ب) بالمدينة النبوية ، فأمن بُرْسُبُغا على نفسه ، وتقدّم الحاجّ إلى السلطان مع المبشرين .

[وفى يوم الأربعاء سابع عشرى[1] ربيع الآخر خلع على الأمير سيف الدين جاريك[2] المهمندار ، واستقرّ حاجباً[3] ؛ وترتّب عوضه مهمنداراً الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدى شاد الشراب[4] خاناه] .

[وفى عشرى[5] رجب خلع على الأمير سيف الدين محمود بن خطير — أخو الأمير بدر الدين مسعود الحاجب — ، واستقرّ حاجباً ؛ وكان قد قدم من دمشق فى سابع عشرى ربيع الآخر] .

وفى يوم الخميس ثامن عشر جمادى الآخرة قدِم الأمير تنكز نائب الشام إلى غزة ، وقدَّم مملوكه يستأذن فى دخوله كما هى عادته ؛ فرُسِم له بسرعة الحضور ، وألا يتحدث فى شىء من أمر ابن هلال الدولة ، فإن السلطان قد تغيّر عليه ؛ فقَدِم .

وفى هذه الأيام شَفَع الأمير قَوْصُون فى عود جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة جلال الدين من دمشق ، بدخلة أبيه عليه فى ذلك ؛ فأجابه السلطان . وقدم [جمال الدين] إلى القاهرة على البريد ، فأقبل على عادته من اللهو ، وعمَّر داراً على النيل بجوار دار أبيه ، وتجاهر بما لا يليق . فتقدَّم أمر السلطان إلى ابن المحسنى والى (١٦٩) القاهرة أن يتحيَّل فى كبسه وإشهاره ، وأحسَّ عبد الله بذلك ، فكف عما كان يعانيه من اللعب .

وفى يوم السبت نصف رجب قدم [بدر[6] الدين] لؤلؤ [الحلبى] مملوك فَنْدَش —

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٣٥ ا) فقط، وقد قوبلت العبارة كلها وصححت بعض ألفاظها بعد مراجعة (Zettersteen : Op. Cit. p. 187) .

(٢) فى الأصل "خايربك" ، انظر ص ٣٥٠ ، حاشية ٢ .

(٣) فى الأصل "صاحبا" .

(٤) فى الأصل "العشرات" ، ولعل المقصود ما هنا .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٣٥ ا) فقط .

(٦) انظر ما سبق ، ص ٣٩٥ .

بفاء مفتوحة ونون ساكنة ، ثم دال مهملة مفتوحة [بعدها[1] شين معجمة] — ، و[سيف الدين] الاكُز من الشام . فأحضرهما السلطان ، وطلب مباشرى حلب ، [وهم[2] النقيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسينى ، والقاضى جمال الدين بن ريان ناظر الجيش ، وناصر الدين محمد بن قرناص عامل الجيش ، وعمّه المحبى عبد القادر عامل المحلولات ، والحاج إسماعيل بن عبد الرحمن العزازى ، والحاج على بن السقا ، وغيرهم] . فحاققهم لؤلؤ وبالغ فى رميهم بأخذ الأموال السلطانية ، وجاهرهم بالسوء من القول بين يدى السلطان ، والتزم بأنه إن مُكِّن منهم استخلص منهم مبلغ مائتى ألف دينار . فطُلب النشو بعد إخراجه ، ووقع الكلام بينه وبين السلطان[3] فى ذلك وأمثاله من تحصيل الأموال ؛ فأخذ النشو يقرّر معه أن الأمراء قد أخذوا مساميح بمتاجرهم ، ويتحصّل من هذا إذا ضبطت عليها (٦٩ ب) فى كل سنة للديوان زيادة على مائتى ألف دينار ، وأنه لا يتمكّن مع [قيام] الأمير قوصون والأمير بشتاك أن يجمع للسلطان [شيئاً من ذلك] المال ، فإنهما وأمثالهما قد اعتادوا من المباشرين للسلطان أن ينفق[4] [المباشرون] عليهم نصف متحصل الديوان برطيلا[5] ، وأنه فقير ليس له مال يبرطل به ولا هو ممن يبرطل بمال السلطان ، وأنه لو سَلِم منهم لملأ خزانة السلطان وحواصله أموالا ، لكنه يخشاهم أن يغيّروا[6] السلطان عليه . ورمى [النشو] المباشرين مع ذلك بعظائم من كثرة أموالهم ونعمهم ، مما أخذوه فى مباشراتهم من مال السلطان . فأذن له السلطانُ فى عمل ما يختاره ، وأن يتصرف فى الدولة ولا يبالى بأحد ، ووعده بتقوية يده وتمكينه ومنعِ من (١٧٠) يعارضه .

ثم استدعى [السلطان] بالمخلص أخى النشو ، ورتّبه مباشراً عند الأمير سيف الدين

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٧٢) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن الوردى (ذيل المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٠١) ، حيث ورد أن لؤلؤا صادر أولئك المباشرين واتهمهم فى أعمالهم الإدارية .

(٣) فى ف "الناس" ، وما هنا من ب (٤٣٥ ا) .

(٤) فى ف "ينفقوا" ، وقد حذفت واو الجماعة وذكر الاسم للتوضيح .

(٥) البرطيل هنا — وجمعه براطيل — الرشوة ، ويقال برطل فلان فلانا رشاه ، وتبرطل فلان ارتشى . (المحيط) .

(٦) فى ف "يغير" .

ألناق ، واستخدم أخاه رزق الله عند الأمير مَلِكْتَمُر الحجازى ، واستخدم صهره ولى[1] الدولة عند الأمير أرْغُون شاه ؛ وخَلَع عليهم .

وانبسطت يد النشو ، واشتدّت وطأته ، وأخذ فى التدبير على ابن هلال الدولة ، ورتّب عليه أنه أخذ من مال السلطان [جملة ، وأنه أهمل[2] فى المحافظة على أمور السلطان ، وأن ما ضاع بسببه من مال السلطان كثير ، وأنه تواطأ مع أولاد التاج إسحاق على مال السلطان] . ونَدَب [النشوُ لتحقيق] ذلك أمين الدولة [بن] قرموط المستوفى والشمس ابن الأزرق ناظر الجهات ، وقرّر مع السلطان إقامة لؤلؤ لاستخلاص الأموال ، وطَلَبَ المباشرين للمحاققة ؛ فجمعهم السلطان . فبرز قرموط وَجَبَه ابن هلال الدولة بأنه أهمل الأمور ، وبرطل بالأموال ، ونحو هذا من القول ؛ فأثّر كلامه فى (٧٠ ب) نفس السلطان ، وصَرَف[3] المباشرين ، وبعث إلى ابن هلال الدولة يأمره أن يلزم بيته . وخُلع على الأكُز[4] ، واستقرّ شاد الدواوين عوضاً عن ابن هلال الدولة ؛ وخُلع على [بدر الدين] لؤلؤ [الحلبى] ليكون مستخلص الأموال ؛ وخرجا إلى دار الوزارة بالقلعة ، وطلبا الضمّان والكتاب والعاملين وأرباب الوظائف . ورُتّبت على ابن هلال الدولة أوراق بما أهمله وفرّط فيه ، وطُلب وصودر هو وجميع ألزامه ؛ وقُبض معه على مقدّم[5] الدولة خالد بن الزرّاد[6] ومن يلوذ به ؛ فحملوا الأموال . وخُلع على إبراهيم بن صابر ، واستقرّ مقدّم الدولة. واشتدّ لؤلؤ على أهل حلب[7] وأهل مصر ، وعَسَفَهم وتجاوز المقدار فى عقوبة المصادَرين ، خصوصاً أولاد التاج إسحاق .

(١) فى ف "فى" ، وما هنا من ب (٤٣٥ ب) .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٣٥ ب) فقط ، وهو مثبت هنا فى شىء من التصرف الذى استلزمه التوضيح . (٣) فى ف "وصرفهم" . (٤) فى ف "الاكوز" .

(٥) شرح القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٨) هذه الوظيفة بالآتى : "مقدم الدولة ، وهو الذى يتحدث على الأعوان والمتصرفين لخدمة الوزير ، والمراد المقدم على الدولة ؛ والدولة لفظ قد خصه العرف بمتعلقات الوزارة ، كما يقال لناظر الدواوين ناظر الدولة ..." . انظر أيضاً : (G-Demombynes : Op. Cit. Introd. p. LXVIII) .

(٦) فى ف "الرزاز" ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٨٢) ، حيث ورد أن هذا الشخص كان فى الأصل رقاصاً .

(٧) يفهم من هذه العبارة أن لؤلؤاً ظل على وظيفته بحلب ، برغم أنه تولى وظيفة شدّ الدواوين بالقاهرة كما تقدم . انظر أبا الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ١١١) .

وفى يوم الخميس ثالث رجب سافر الأمير تنكز نائب الشام ، بعد ما أنعم (١٧١) عليه السلطان بمائة ألف درهم ؛ وتوجه صحبته الأمير آقُول الحاجب ، ليستقرّ حاجب الحجاب بدمشق .

[وفى يوم الأحد خامس[1] المحرم] استقرّ الأمير قجماس الجوكندار المنصورى — الملقب بشاس — فى نيابة حمص[2] ، عوضاً عن بهادر السنجرى بحكم وفاته .

وفى يوم الأحد أول المحرم أفرج عن الأمير بهاء الدين أصلم ، وعن [أخيه] الأمير قرمجى . و[فيه أيضا أفرج عن الأمير] بكتوت القرمانى . وكانت مدة اعتقال أصلم وقرمجى ست سنين وثمانية أشهر، و[مدة اعتقال[3] القرمانى سبع سنين وسبعة شهور]

وفى سادس المحرم رُسم للأمير جمال الدين آقوش الأشرفى — المعروف بنائب الكرك — بنيابة[4] طرابلس ، بعد موت قرطاى ؛ وخُلع عليه فى تاسعه ، وسافر فى تاسع عشره . وكان ذلك لأمور : منها صحبته (٧١ ب) مع [الأمير] ألماس الحاجب ، ومنها ثِقله على السلطان ، فإن[5] [السلطان] كان يجلّه ويحترمه ويقوم له كلما دخل إلى الخدمة ؛ ومنها معارضته للسلطان فى أغراضه ، لا سيما فى أمر النشو ، فإنه كان يبلّغ السلطان كثرة ظلمه وقبح سيرته فى الناس . فأراد [السلطان] أن يستريح منه ، فخلع عليه وبعث له بألف دينار ؛ وأخرج بُرْسُبُغا مسفراً له على العادة . فلما وصل [برسبغا] به إلى طرابلس وعاد ، خلع السلطان[6] عليه واستقرّ حاجباً صغيراً .

و[فيه] خلع على الأمير مسعود بن خطير ، واستقرّ حاجباً كبيراً [عوضاً] عن الأمير ألماس .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 187) .

(٢) فى ف "فى نيابة حمص فى خامس المحرم" ، وقد حُذف التاريخ والشهر لإيرادهما أول الفقرة .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 187) .

(٤) عبارة المقريزى هنا مضطربة ، ونصها فى ف ، وكذلك فى ب (٤٣٦ ا) ، كالآتى : "وفى سادس محرم رسم له بالنيابة وخلع عليه فى تاسعه وسافر فى سادس عشره ، وفيه اخرج الامير جمال الدين اقوش الاشرفى المعروف بنايب الكرك الى نيابة طرابلس بعد موت قرطاى لامور منها صحبته ..." وقد عدّلت إلى الصيغة المثبتة هنا بعد مراجعة (Zetterstéen : Op. Cit. P. 187) .

(٥) فى ف "فانه" ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح بعد مراجعة ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٠٨) .

(٦) فى ف "وخلع عليه واستقر حاجبا ..." ، وما هنا من ب (٤٣٦ ا) .

وفى يوم الخميس ثانى شعبان [استقرّ] أيدكين الأزكشى البريدى فى ولاية القاهرة ، عوضاً عن ناصر الدين محمد بن المحسنى[1] ، بسفارة النشو . فعظمت مهابته ، وكبس عدة بيوت من بيوت الناس ؛ وصار يتنكر فى الليل ويمشى (١٧٢) فى أزقة القاهرة ، فإذا سمع صوت غناء أو ريح خمر فى بيت كَبَسه وأخَذَ من أهله مالاً كثيراً بحسب حالهم . واعتنى به النشو ، ومكّنه من عمل أغراضه ؛ فنال به مقاصد كثيرة : منها أن بعض تجار قيسارية جهاركس بالقاهرة تأخّر له فى الخزانة السلطانية عن ثمن مبيع نحوُ تسعين ألف درهم ، وألح على النشو فى المطالبة بها مع كثرة انهماكه فى اللهو ، فقبضه أيدكين وهو غير حاضر الذهن ، وسجنه فى دار الولاية ، واستدعى بالعدول ليكتب عليه مشروحا بأنه سكران ويشهره ، فافتدى منه بأن أشهد عليه أنه أبرأ بيت المال مما له عليه ، فوقع هذا الإبراء من النشو ومن السلطان بمكان .

ولما شنع أمر أيدكين شكاه الأمير قَوْصُون إلى السلطان ، فتغيّر السلطان[2] على قوصون وقال له (٧٢ ب) : "أنتم كلما ولّيتُ أحداً ينفعنى أردتم إخراجه ، ولو أنه من جهتكم لشكرتم منه كل وقت" ، وأسمعه مع ذلك ما يكره . ثم أضيفت إليه ولاية مصر فى تاسع شعبان ، ولم يجمع الولايتين[3] أحد قبله .

وفى يوم الأحد عشرى ذى الحجة قدم الأمير مهنا بن عيسى . وسبب قدومه أن السلطان كان يحرص[4] على قدومه [إليه] ، ويبذل لأولاده الأموال العظيمة ، فيرغبونه فى القدوم على السلطان ، وهو يأبى ذلك [عليهم] . فكان[5] إذا أعيا السلطانَ أمرُه طردَه من البلاد ، حتى طرده أربع مرات ؛ وكانت تجرد له العساكر فتخرجه ، ثم تحضر أولاده وتصلح أمره ، فيعود إلى البلاد ؛ ثم يأخذ السلطان فى استجلابه[6] فلا يأتى له ،

---

(١) فى ف "بدر الدين سلنك المحسنى" ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. P. 182) . انظر أيضاً ما سبق ، ص ٣٥٠ .

(٢) فى ف "فتغير عليه" .

(٣) فى ف "ولم يجمعهما" .

(٤) فى ف "محرص" ، وما هنا من ب (٤٣٦ ب) .

(٥ ، ٦) عبارة المقريزى هنا مضطربة لعدم التناسق الزمنى بين أفعالها ، ونصها : "فاذا اعيا السلطان امره طرده من البلاد حتى طرده اربع مرات وتجرد له العساكر فتخرجه ثم تحضر اولاده وتصلح امره فيعود الى البلاد وياخذ السلطان فى استجلابه ..." .

فيعود إلى إخراجه ؛ و[كان السلطان] يبعث فى طلب الخيول منه ، فيرسلها إلى السلطان ، فتحمل إليه أثمانها بزيادة (١٧٣) كثيرة . [وما زال أمره على هذه الحال] إلى أن قدم موسى وأحمد وفياض أولاده [إلى القاهرة] ، وبالغ السلطان فى الإنعام عليهم ، فحلفوا له على إحضار أبيهم [مهنا إليه] . فلما أتوا أباهم اجتمعوا عليه مع عمومتهم ، وأرادوه على الحضور إلى السلطان بجهدهم فلم يوافقهم ؛ فكاتبوا السلطان بأمرهم معه ، فكتب[١] [السلطان] إلى نائب حلب بإخراجه من البلاد . فسار [مهنا] إلى أبى سعيد بالعراق ، فأكرمه وأجله عند قدومه ؛ فتعمّد وزيره مع المجد السلامى عليه حتى فارق بلادهم رعاية لخاطر السلطان ، وكتبا بذلك إلى السلطان ، فسرّه ذلك . ولما عاد مهنا من العراق تلقّاه ابنه موسى ، فوجد أنه [قد] أزمع[٢] أمره على القدوم على السلطان ؛ فلم يشعر الأمير تنكز [نائب الشام] إلا ومهنا قد قدم [عليه] هو والملك الأفضل محمد صاحب حماة ، فركب إلى لقائه وأنزله (٧٣ ب) بالقصر الأبلق . وقدم البريدى إلى السلطان بخبر قدومه ، فكاد يطير فرحاً به . ثم أركبه [الأميرُ تنكز] والملكَ[٣] الأفضل [خيل] البريد ، وسيّرهما إلى السلطان . فحملت[٤] [للأمير مهنا] الإقامات ، وجُنِّبَت[٥] له الخيول ، وضُربت له الخيم ؛ وخرج أمير[٦] جاندار والمهمندار إلى لقائه ؛ وركب الأمير بشتاك [له] إلى قبة النصر خارج القاهرة ، وسار به إلى باب السرّ من القلعة ، فإذا الأمير قوصون قد وقف [به] فى انتظاره ، فأخذ بيده حتى عبر إلى السلطان . فترحّب به [السلطان] وأكرمه ، وعتبه على فراره منه ، فاعتذر [مهنا] وذكر أن قدومه بسبب رؤياه النبى — صلى الله عليه وسلم — فى منامه وأمرِه [له] بالقدوم . فسرّ السلطان بذلك ، وخلع عليه وعلى من معه مائة خلعة ، وردّ إليه إمرته ، وزاد فى إقطاعه . وأنزله [السلطان] بالميدان ،

(١) كتب .
(٢) فى ف "فوجد قد اربع" .
(٣) فى ف "ثم اركبه والملك الافصل البريد" .
(٤) فى ف "فحملت لهما الاقامات" ، وقد عدلت العبارة إلى الصيغة المثبتة هنا لتستقيم مع سائر الجملة .
(٥) فى ف "حسنت" ، وما هنا من ب (٤٣٦ ب) .
(٦) فى ف "امير خازندار" ، وما هنا من ب (٤٣٦ ب) .

وأمر له بسماط (١٧٤) جليل فَسُمَّ[(١)] له فيه ، فلم يأكل منه شيئاً ، واعتذر بأن عادته أكل لبن الجمال وقرص المَلّة[(٢)] لا غير . ثم طلع [مهنا] إلى السلطان فى خامس يوم من قدومه ، فأنعم عليه بقرية دُوْمَة[(٣)] من عمل دمشق ، لتكون له ولأولاده من بعده . واتفق موت أسندمر العمرى ، فوُجد له تسعة آلاف دينار مصرية ، وطلع بها النشو فسلمها لحاجب مهنا إنعاماً على مهنا برسم زوادته . وكتب له القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله منشوراً بدومة ، ثم سافر .

وفى ذى الحجة ركب أيدكين والى القاهرة إلى النجيلة[(٤)] خارج القاهرة — وهى يومئذ متنزه العامة ، وبدايرها أخصاص للفرجة — ، وكَبَسها وقت المغرب ، فما قبض على أحد إلا وسلبه ثيابه وتركه عاريا ، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً ؛ (٧٤ ب) وجمع الباعة[(٥)] من الغد وألزمهم بثمنه ، فبلغ خمسة عشر ألف درهم .

وفى هذه السنة جاء بالمدينة النبوية سيل عظيم أخذ جمالاً كثيرة وعشرين فرساً ، وخربت عدة دور .

وفيها استقر جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن العماد إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير فى كتابة السرّ بدمشق ، عوضاً عن شرف الدين أبى بكر ابن محمد بن الشهاب محمود .

وفى يوم عرفة استقرّ نجم الدين بن أبى الطيب فى الوكالة بدمشق ، واستقرّ عز الدين ابن منجا فى نظر جامع بنى أمية ، واستقر فى حسبة دمشق عماد الدين بن الشيرازى ؛ وخُلع عليهم جميعاً .

(١) كذا فى ف ، وهو فى ب (٤٣٧ ا) " فمد له فيه " .

(٢) الملة فى اللغة الرماد الحار والجمر ، توضع فوقها الخبزة لتنضج ، والملى الخبزة الناضجة ؛ ويقال خبز ملة ، وملة خبز ، وكلاهما تعبير عامى . انظر قاموس المحيط ، وكذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٣) عرّف ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٢٥) هذه القرية الواقعة بغوطة دمشق بما لا يزيد عن الوارد هنا .

(٤) النجيلة بلدة فى أقصى الجنوب من مديرية البحيرة الحالية ، وتقع على الشاطىء الغربى لفرع رشيد ، وفى الجنوب الغربى منها قرية زاوية البحر . (مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٧ ، ص ٤) .

(٥) فى ب "اتباعه" ، وما هنا من ب (٤٣٧ ا) .

وفيها [ورد الخبر من بغداد بأن صاحبها] ألزم النصارى ببغداد أن يلبسوا العمائم الزُرق ، واليهود أن يلبسوا العمائم الصُفر [اقتداء بالسلطان الملك الناصر[١] بهذه السنة الحسنة] .

وفيها ولى تدريس (١٧٥) الشافعى بالقرافة شمس الدين محمد بن القماح ، بعد وفاة المجد حرمى[٢] ؛ واستقرّ عوضه فى وكالة بيت المال النجم الأسعردى المحتسب ، وفى تدريس [المدرسة] القطبية بهاء الدين بن عقيل .

و [فيه] استقرّ علاء الدين مغلطاى فى تدريس الحديث بالمدرسة الظاهرية ، بعد موت فتح الدين محمد بن سيد الناس ، بعناية قاضى القضاة جلال الدين محمد بن القزوينى . فاستعظم الناس ذلك ، وقالوا : " ويّه ! ويّه ! تولّى درس الحديث مغلطية ؟ " .

و [فيه] انتهت زيادة ماء النيل إلى ستة عشر ذراعاً .

ومات فيها من الأعيان الأمير أُلماس الحاجب الناصرى ؛ كان جاشنكيراً ، وتنقل حتى صار حاجب الحجاب فى محل النائب ، لشغور منصب النيابة بعد الأمير أرغون ؛ وكان أكابر الأمراء يركبون (٧٥ ب) معه فى خدمته ، ويجلس فى باب القلة ، ويقف الحجاب بين يديه ؛ فلما قُبض عليه وحُبس ، قُطع عنه الطعام ثلاثة أيام ؛ ثم خُنق فى ليلة الثانى عشر من صفر ، وحُمل من الغد حتى دفن بجامعه ؛ وكان أغتم لا يعرف[٣] بالعربية شيئاً . و [توفى] وكيل بيت المال ومدرس الشافعى مجد الدين حرمى [بن هاشم[٤]] بن يوسف العامرى الفاقوسى الفقيه الشافعى ، عن نحو سبعين سنة ، فى يوم الثلاثاء ثانى

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٠٩) ، للتدليل على تحسن العلاقات بين السلطنة المملوكية ودولة إيلخانات فارس فى ذلك العصر . هذا وقد تقدّمت الإشارة هنا (ص ٢٢٧ ، حاشية ٢) إلى بعض ما يمكن أن يكون أصلا لاختيار الألوان المميزة لأهل الذمة ، ويريد الناشر أن يضيف إلى ما تقدّم أن يعقوب أرتين باشا قد تعرّض لهذا الموضوع فى (Artin Pacha : Etude du Blason en Orient. p 36) فقال إن الأزرق من الملابس يرجع إلى بلاد الفرس والمتصوفة الذين كانوا فى نظر أهل السنة هراطقة ، وأن الأصفر من الملابس كان عند اليونان والرومان والبيزنطين شارة لتمييز محترفات البغاء من النساء .

(٢) انظر ما سبق ، ص ١٤٢ ، وكذلك ما يلى بهذه الصفحة ، سطر ١٦ .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٣٠٤ ، حاشية ١ .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٨) .

ذى الحجة ؛ ولى وكالة بيت المال ونيابة الحكم ، وبرع فى الفقه والأصول ، ودرّس بالشافعى . و [توفى] قاضى القضاة جمال الدين سليمان بن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر بن عثمان الأذرعى — المعروف بالزرعى — فى سادس صفر بالقاهرة ، عن مرض السكتة ، وهو يومئذ قاضى العسكر ، ومولده بأذرعات[1] سنة خمس وأربعين وستمائة . و [مات] الأمير (١٧٦) علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى أمير آل فضل ، فى خامس عشرى ربيع الأول ؛ فرسم بعده بالإمرة لسيف بن فضل . و [مات] الملك الظاهر أسد الدين عبد الله بن المنصور نجم الدين أيوب بن المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول متملك اليمن ، بعد ما قَبضَ عليه الملك المجاهد بقلعة دَمْلُوه ، وصار يركب فى خدمته ، ثم سَجَنه مدة شهرين ، ثم خنقه بقلعة تَعِزّ . و [توفى] قاضى الحنفية بحماة نجم الدين عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى — المعروف بابن العديم — ، عن خمس وأربعين سنة . و [مات] الأمير طغاى تمر العمرى ، زوجُ ابنة السلطان ، ليلة الثلاثاء ثامن عشرى ربيع الأول . و [مات] الأمير صوصون[2] — أخو الأمير قوصون — أحد الألوف ، فى ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الأولى . و [توفى] الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد (٧٦ ب) بن محمد بن أحمد بن عبد الله [بن محمد] بن يحيى بن سيد الناس اليعمرى الأشبيلى ، العلامة المتقن المصنف الأديب البارع ، فى [يوم السبت الحادى[3] عشر من] شعبان . و [مات] الأمير قرطاى الأشرفى نائب طرابلس ، وقد جاوز ستين سنة ، بها فى ثامن عشرى صفر . و [مات] أمير طبر جمال الدين يوسف بن علم الدين سليمان ، فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الآخرة ؛ وكان من أمراء العشراوات . و [مات] الأمير بدر الدين بيليك أبو غدة — [وكان] أحد أستادارية السلطان ، [و] من أمراء الطبلخاناه — ، فى ليلة الأربعاء سابع عشر جمادى الآخرة . و [مات] الأمير سيف الدين خاص ترك الناصرى ، أحد مقدمى الألوف ، فى عاشر رجب بدمشق . و [مات] الأمير عز الدين أيدمر دقماق العلائى نقيب

---

(١) تقع إذرعات ، حسبما أورد ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٧٥) فى أطراف الشام بأرض البلقاء .

(٢) فى ف "سودون" . انظر ماسبق ، ص ٣٥٢ .

(٣) ما بين الحاصرتين من ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٠٩) .

الجيش ، [وكان] أحد المماليك الأشرفية ، ليلة الأحد سادس رجب ؛ واستقرّ عوضه فى نقابة الجيش الأمير صاروجا نقيب[١] المماليك ، واستقر نقيب المماليك (١٧٧) عوضاً عن صاروجا محمد بن لاجين المحمدى . و [مات] الأمير قجماس الجوكندار المعروف بشاس — نائب حمص ، أحد أمراء البرجية . و [مات] الأمير بلبان طرنا أمير جاندار[٢] — و [كان] نائب صفد — ، فى حادى عشرين ربيع الأول ؛ وهو من أمراء الألوف بدمشق . و [مات] القاضى صدر الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان بن داود بن عتيق ابن عبد الجبار المالكى ، قاضى الشرقية والغربية ، فى حادى عشرى شعبان ؛ و بعثه السلطان رسولا إلى بغداد .

***

سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة : فى يوم الأحد رابع المحرم قُبض على الطواشى شجاع الدين عنبر السحرتى مقدّم المماليك ، بسعاية النشو ؛ وأنعم بطبلخاناته على الطواشى سنبل قلّى ، واستقرّ نائب المقدم . وخلع على الأمير آقبغا عبد الواحد باستقراره فى تقدمة (٧٧ ب) المماليك[٣] ، مضافا إلى الأستادارية . فعَرَض [آقبغا] الطباق ، وأخرج من كان من الأتباع الأويراتية[٤] فى خدمة المماليك ؛ وضَرب جماعة من المماليك السلاح دارية والجمدارية لامتناعهم من إخراج أتباعهم ، ونُفوا إلى صفد .

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى جمادى الأولى عُزل أيدكين والى القاهرة ، لتغيّر الأمير قوصون عليه ، وأخرج إلى الشام منفيا .

و [فيه] طُلب بلبان الحسامى البريدى أحد مماليك طرنطاى النائب [إلى حضرة السلطان] ، فلم يجد فرساً يركبه ، فركب حماراً إلى القلعة ؛ فخلع عليه واستقرّ والى القاهرة عوضاً عن أيدكين ، وأخرج له فرس .

و [فيه] أفرج عن الأمراء المعتقلين ، فركب على البريد الأمير بيبرس السلاح دار

(١) يتضح من هذه العبارة أن نقابة الجيش كانت وظيفة مخالفة لوظيفة نقيب المماليك .
(٢) فى ف "خازندار" ، وما هنا من ب (٤٣٨ ا) . انظر أيضاً ص ٢٧٤ .
(٣) انظر ما سبق ، ص ٣٤٢ ، حاشية ١ .
(٤) فى ف "الاوراه" ، وما هنا من ب (٤٣٨ ا) .

إلى الاسكندرية ، وقدم بهم فى يوم الاثنين ثانى عشرين رجب : وهم [الأمير] بيبرس الحاجب ، (١٧٨) وله فى السجن من سنة خمس وعشرين ؛ والأمير طُغْلُق[١] التترى أحد الأمراء الأشرفية ، وله فى السجن ثلاث وعشرون سنة ، من سنة اثنتى عشرة ، فمات بعد أسبوع من قدومه ؛ والأمير غانم بن أطلس خان ، وله فى السجن من سنة عشر ، مدة خمس وعشرين سنة ؛ والأمير برلغى الصغير ، وله فى السجن من سنة ثنتى عشرة ؛ والأمير بلاط الجوكندار ؛ والأمير أيدمر اليونسى أحد الأمراء البرجية المظفرية ؛ والأمير لاجين العمرى ؛ والأمير طشتمر أخو بتخاص ؛ والأمير بيبرس العلمى من أكابر الأمراء البرجية ؛ وقطلوبك الأوجاقى ؛ والشيخ على مملوك الأمير سلار ؛ والأمير تمر الساقى نائب طرابلس ، أحد المنصورية ، و[كان قد] قبض عليه سنة أربع عشرة ، فكانت مدة سجنه إحدى وعشرين سنة . (٧٨ ب) فأنعم على تمر الساقى بطبلخاناه فى الشام ؛ وأنعم على بيبرس الحاجب بإمرة فى حلب ، عوضاً عن آقسنقر شاد العمائر ، فسافر فى سابع شعبان — و[كان قد] رُسم بالقبض على آقسنقر ، فقبض عليه وسجن بقلعة حلب ، وأحيط بموجوده — ؛ وأنعم على طشتمر بإمرة فى دمشق ؛ وعلى أيدمر اليونسى وبلاط بإمرة فى طرابلس ؛ ورسم للأمير غانم أن يقيم بالقاهرة .

و[فى هذه[٢] السنة] قدمت رسل أزبك بكتابه يعتب فيه بسبب طلاق خاتون طولبية[٣] بنت تقطاى أخى أزبك ، التى قدمت من جهته ، وتزويجها من بعض المماليك ؛ وطَلَب [أزبك] عودَها إليه ، فأجيب بأنها قد ماتت ، وسُيِّر إليه بهدية . وكانت قد مات عنها زوجها الأمير صوصون[٤] ، فزوّجها السلطانُ للأمير عمر بن أرغون النائب ، فى يوم الاثنين تاسع عشر المحرم ، ودخل عليها ليلة الجمعة حادى عشرى صفر . (١٧٩) وقد كانت تحت السلطان ثم طلّقها ، فتزوّجها الأمير منكلى بغا ، ثم الأمير صوصون[٥] ، ثم [تزوّجت] بعمر[٦] هذا .

---

(١) فى ف "طغرق" . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٢٢) ، وكذلك (Zettersteen : Op. Cit. P. 189) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٣٨ ب) .

(٣) كذا فى ف . انظر ما سبق ، ص ٢٠٣ ، ٢٩٨ ، ٣٣٨ .

(٤،٥) فى ف "سودون" . انظر ما سبق ، ص ٣٧٦ .

(٦) فى ف "يغمر" ، وما هنا من ب (٤٣٨ب) . انظر أيضا (Zettersteen : Op. Cit. P. 176)

وفى ثانى عشر ربيع الآخر خُلع على الأمير سيف الدين جركتمر رأس نوبة الجمدارية بنيابة غزة ، عوضاً عن الأمير طينال ؛ وسافر فى عشريه .

و[فيه] نُقِل طينال لنيابة طرابلس ، عوضاً عن الأمير آقوش نائب[١] الكرك ، وهى ولايته الثانية .

وفى سادس عشره توجه الأفضل صاحب حماة [إلى محل ولايته] ، بعد ما خُلع عليه ؛ وكان قد قدم صحبة مهنا ، وتأخر بسبب الصيد مع السلطان .

وفى يوم الخميس رابع ربيع الأول أنعم السلطان على ولده أبى بكر بإمرة ، فركب بالشربوش من إصطبل الأمير قوصون ، وسار فى الرميلة إلى باب القرافة ، وطلع إلى القلعة من الباب المعروف بباب القرافة ، والأمراء (٧٩ ب) والخاصكية بخدمته ؛ وعمل الأمير قوصون يومئذ لهم مهما عظيما فى إصطبله .

وفى يوم الخميس نصف جمادى الآخرة قُبض على الأمير [جمال الدين] آقوش الأشرفى — المعروف بنائب الكرك ، [وهو يومئذ نائب طرابلس][٢] — ، وسُجن بقلعة صرخد ، ثم نقل فى مستهل شوال إلى الإسكندرية فسجن بها ؛ ونزل النشو إلى بيته بالقاهرة ، وأخذ موجوده كله وموجود حريمه ، وعاقب أستاداره . واستقرّ عوضه فى نيابة طرابلس الأمير طينال على عادته[٣] ؛ ونُقل بكتمر العلائى إلى نيابة حمص ، عوضاً عن بشاس [المتوفى][٤] .

وسبب ذلك أنه تراءى بطرابلس مركب [للفرنج][٥] فى البحر ، فركب العسكر إلى الميناء ، فدفعت الريحُ المركبَ عن الميناء . ثم[٦] أخذ الأمير آقوش فى تجديد عمارة مركب هناك ، وأنفق فيه من ماله أربعين ألف درهم ؛ (١٨٠) فقدمت مركب الفرنج ، فركب

(١) انظر ما يلى بهذه الصفحة .

(٢) ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 189) ، انظر أيضا ص ٣٧١ هنا .

(٣) المقصود بذلك أن الأمير طينال رجع إلى نيابة طرابلس ، فإنه كان قد تولى نيابتها سابقاً . (انظر ص ٣٥٧ — ٣٥٨) .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٣٧٧ .

(٥) انظر الصفحة التالية .

(٦) فى ف "واخذ" .

العسكر فى المركب المستجد ، وقاتلوا الفرنج ، فقتلوا منهم جماعة وغنموا مركبهم بما فيها . فادعى صاحبها أنه تاجر قدم بتجارته ، فنهبت أمواله وقتلت رجاله ؛ وذكر عنه بعضُ التجار أنه متحرم لا تاجر ، وأنه قدم فى السنة الماضية إلى ميناء طرابلس وأخذ منها مركباً . فكتب [آقوش] بذلك إلى السلطان ، فأجيبَ بالشكرِ وحملِ الفرنجى إلى السلطان ؛ فحمله [آقوش] مقيداً على البريد . فأكثر [الفرنجى] من التظلم ، وتبرأ [1] من التحرم [2] فى البحر ، وأنه قدم بتجارة وهدية للسلطان ، فظلمه نائب طرابلس وأخذ ما كان معه من التحف وغيرها . فصدّقه السلطان ، وكتب بإعادة مركبه إليه وجميع ما أُخذ له ؛ فأجاب النائب بأن المذكور حرامى يقطع الطريق على المسلمين ، فلا يسمع السلطان قوله ، وكتب إليه بالتأكيد فى (٨٠ ب) ردِّ المركب عليه ؛ فردّها النائب عليه ، وشقّ ذلك عليه . ثمّ طلب [3] [آقوش] الإعفاء من نيابة طرابلس ، فأجيب بتخييره بين نيابة صرخد و بعلبك ؛ و بعث [السلطان] إليه الأمير برسبغا الحاجب ، فسار به إلى دمشق ، فقبض عليه الأمير تنكز بدار السعادة ، وحمله إلى صرخد .

وفى صفر هدم السلطان الجامع بقلعة الجبل ، وهدم المطبخ أيضاً . وجدّد [السلطان] عمارة الجامع ، وصار يقف بنفسه كل يوم ؛ ونَدَب لذلك الأمير آقبغا عبد الواحد ، فَحَمل [4] إليه العُمُد العظيمة من الأشمونين ، ووسّع موضعه ، فأدخل [5] فيه قطعة من حارة مُخْتص [6] والطشتخاناه ، وَرَخّمه جميعه ؛ [وظل العمل جاريا فى هذا الجامع] حتى كمل فى آخر شعبان على أكمل هندام وأبدع ترتيب . ووقف عليه [السلطانُ] حوانيت القلعة وغيرها ، ورتب فيه القراء والمؤذنين والقومة ، وانتخبهم بنفسه بعد ما عرض طوائفهم ؛ فصلى فيه أول شهر رمضان .

---

(١) فى ف "وبترامى" ، وما هنا من ب (٤٣٩ ا) .

(٢) فى ف "المجرم" . (٣) فى ف "فطلب" .

(٤) فى ف "وحمل" . (٥) فى ف "فدخل" .

(٦) كذا بضبطه فى ف ، ولم يذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢ ، وما بعدها) شيئا عن هذه الحارة أو صاحبها ، وربما كان مختص هذا هو مختص الدولة أبو المجد بن منجب الصيرفى الوارد فى المقريزى (نفس المرجع والجزء ، ص ٢٨٩) .

و[فيه جدّد السلطان] عمارة (١٨١) المطبخ بالحجر ، وزاد فى سعته .
وفيها خرج البريد بطلب بدر الدين محمد بن التركمانى من طرابلس ، ليباشر مع النشو ؛ فأفرج عنه يوم السبت رابع عشر رجب ، وكان له سنة وتسعة أيام مرسَّم عليه بالقلعة ، وهو يحمل المال . وسبب ذلك أن الأمير تنكز نائب الشام لما قدم على عادته فى عاشر رجب ، وعرّفه السلطان همة النشو ولؤلؤ فى تحصيل الأموال التى كانت مهملة ضائعة ويُبرطَل بها ، ذكر له تنكز نائب الشام ما تجدّد من المظالم ، وحسّن له طلب ابن التركمانى لضبط ما عساه يخفى عن السلطان من الأموال التى تؤخذ ، ووضع من لؤلؤ بأنه مملوكُ ضامنٍ[١] . وكان الأكُز[٢] ولؤلؤ قد تسلما الولاة والمباشرين والكتاب وأولاد التاج إسحاق وابن هلال الدولة وأقار به كما تقدّم[٣] ، وأخرقا[٤] بهم : فَحَمَل قشتمر والى (٨١ ب) الغربية ثمانين ألف درهم ، وأفرج عنه بعناية سنجر الخازن ، فإنه صهره ؛ وضُرب قنغلى والى البهنسا عدة مرار حتى حمل خمسة وسبعين ألف درهم ؛ [وضرب فخر الدين أياس[٥] الدويدارى بالمقارع ، فحمل ثلاثمائة ألف درهم] ، وهلك تحت العقوبة ؛ وهلك بالعقوبة أيضاً شاد سوق الغنم ، بعد ما أخذ منه نحو مائتى ألف درهم ؛ وأُخِذ من خالد المقدم مبلغ ثلاثمائة وثلاثين ألف درهم ، بعد ما ضُرب بالمقارع ضرباً مبرحاً ، ثم أفرج عنه على أن يحمل كل يوم عشرة آلاف درهم ، فحمل فى مدة شهر مائة ألف درهم ؛ وأُخِذ من بكتوت الصائغ مائة ألف درهم ؛ ومن عبد الرزاق وولده نحو مائة ألف درهم ؛ وأُخِذَ من ألزام ابن هلال الدولة نحو مائة وخمسين ألف درهم . وَحَمَل ابن هلال الدولة ثلاثمائة ألف وعشرة آلاف درهم من غير أن يُضرب ، واتهمه النشو بأنه أخذ من (١٨٢) الأهراء أربعة آلاف أردب فولا ، وأخذ من مخلّف الأمير ألماس الحاجب حياصة ، فظهرت براءته من ذلك . وشقّ على النشو سلامته من الضرب ، وبذل جهده فى ضربه ، والله يدفع عنه بما كان فيه من كثرة الصدقة . فرماه

(١) المقصود بذلك أن لؤلؤا كان مملوكا لفندش الضامن بحلب . انظر ما سبق ، ص ٣٥٩ ، حاشية ٥ ، ص ٣٦٨ ، حاشية ٦ ، ص ٣٧٠ ، حاشية ٧ .

(٢) فى ف "الاكوز" ، وسيدأب الناشر على تصحيح هذا الاسم وضبطه فيما يلى بغير تعليق . انظر (Zetersteen : Op. Cit. p. 188, etc) .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٣٧٠ .   (٤) فى ف "واخرق بهم" .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٣٩ ب) فقط .

النشو بعد ذلك بأنه كان يتحدّث مع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بأنه يتسلطن ، ويجتمع معه على ذلك ، ومعه منجم قدم به من دمشق ، واستخدمه فى بيت السلطان ؛ فطُلب المنجم وقُتل فى السجن ؛ ومَنَع متولى[1] القاعة [جميع] الذين يجلسون بالطرقات ويضربون بالرمل من التكسب بذلك . ورُسم بضرب ابن هلال الدولة حتى يقرّ على نائب الكرك بما قيل عنه ، فرفق به الأكز وضربه مقرعة واحدة ، ثم ضربه بالعصا قليلا وهو يحلف بالطلاق الثلاث أنه ليس عنده علم بما رُمى به .

ثم إن النشو تنكّر على (٨٢ ب) مستوفى الدولة أمين الدين قرموط ، وعلى رفيقه ابن أبى الزين ، من أجل أن قرموطاً أكثر من الاجتماع بالسلطان ، نخاف عاقبته . وأغرى [النشو] به السلطان ، وقرّر فى ذهنه أنه جمع كثيراً من مال السلطان لنفسه ، وأن خالداً المقدم[2] يحاققه ورفيقه على أنه أخذ مائة ألف دينار . فقُبض عليهما فى رابع ربيع الأول ؛ وقبض معهما على [الشمس] ابن قروينة ، والعلم المستوفى ، والنشو كاتب الرواتب ، والبرهان ابن البرلسى ، ورفيقه ابن الأقفاصى ناظر الدولة . وقام خالد المقدّم بمحاققتهم ، والتزم أنه يستخلص من قرموط أربعين ألف دينار ، فعوقب وضرب بالمقارع . فقال خالد[3] للأكز ولؤلؤ : "هذا جَلْد ما يقرّ ، اضربوا ولده قدامه حتى يزن المال ، فإنه ما يهون به ضرب ولده" . فلما ضُرب قرموط أمر الأكز بإحضار ولده وضربه ، نضُرب وهو يتحسّر عليه جزاء بما تقدم منه (٨٣ ب) . فلما اشتد به البلاء ضرب نفسه بسكين فى حلقومه ليهلك ، فبادر الأعوان وأخذوها منه وقد جرحت حلقه ، فأسرف الأكز فى عقوبته وعقوبة رفقائه ؛ وضُرِب القصب[4] فى أظفار ابن أبى الزين . ثم خرج النشو إلى الإسكندرية .

فقدم الأمير تنكز نائب الشام يوم الأربعاء حادى عشر رجب ، وهو مَقْدَمُه العاشر ؛

(١) لا يوجد بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى ما يدل على هذه الوظيفة ، ولعل المقصود بها الشخص الموكل بقاعة الصاحب الوزير (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٢٣) ، أو بالمكان المعروف باسم السبع قاعات ، حيث كانت سرارى السلطان الناصر محمد . (نفس المرجع والجزء ، ص ٢١٢) .

(٢) انظر ص ٣٧٠ ، حاشية ٥ .

(٣) فى ف ، وفى ب (٤٤٠ ا) أيضا "قرموط" ، وهو من خطأ الناسخ فيما يظهر ، وربما كان الصحيح ما هنا بالمتن.

(٤) هذا نوع من أنواع التعذيب فى مصر فى العصور الوسطى .

فقام فى خلاص ابن هلال الدولة ، وساعده الأمير قوصون حتى أفرج عنه . ثم (١) قدم النشو من الإسكندرية ، فشقّ عليه [أن ابن هلال الدولة قد أفرج عنه] ، وأغرى به السلطان حتى أمر الوالى بإحضاره إلى القلعة ؛ وخرج إليه الأكز وأخرق به ، و بلغه عن السلطان أنه متى اجتمع به أحدٌ شنقه ، فنزل وأقام بالقرافة منجمعاً بها عن الناس . وأفرج عن أقار به وألزامه وعن تجار الشرابشيين ، بعد ما كتب النشو عليهم إشهادات بأنهم (٨٣ ب) لا حقّ لهم فى جهة بيت المال ؛ وكان قد تجمّع لهم عن ثمن تشاريف مبلغ بخمسمائة ألف درهم على الخزانة ، فذهبت عليهم وصودروا مع ذلك ؛ واحتج عليهم النشو بأنهم ربحوا على السلطان فيما تقدّم أموالا جمة ، وضرب منهم جماعة بالمقارع ، واستأصل أموال كثير منهم .

و [فيه] كُتب إلى نائب الشام بعد سفره فى يوم السبت حادى عشرى رجب بحمل علاء الدين على بن حسن المروانى (٢) والى [برّ] (٣) دمشق ، ليستقرّ فى كشف الشرقية بتعيين الأمير مسعود بن خطير . فقدم [المروانى] ، وخُلع عليه بكشف الوجه البحرى ؛ فكبس البلاد ، وجمع ستين رجلا من المفسدين ، ووسّطهم [بمدينة] بلبيس ، وعلّقهم على الخشب ؛ وأحدث عقوبات مشنّعة : منها أنه كان ينعل الرجل فى قدميه كما ينعل الفرس ، ويمشيه حتى يشهره ، ومنها أنه كان يعلّق الرجل فى خطاف من حديد بحنكه حتى يموت (١٨٤) ؛ فأرهب الناسَ بالشرقية والغربية والبحيرة والمنوفية وأشموم بكثرة آثاره المهولة فيها .

وفيها صُرف شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود كاتب السرّ بدمشق ، وكَتب نائب الشام يطلب غيره ؛ فعيّن السلطان لكتابة السرّ بدمشق جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن العماد إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير ، من جملة الموقعين بعد عَرْضِهم ؛ وخَلع عليه ، ووصّاه وصايا كثيرة .

وفى خامس رمضان قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى ، فلم يُقبل عليه السلطان ، [وذلك] بسعاية النشو عليه أنه جمع من المباشرات أموالا جمة ، وأن متاجره الآن

(١) فى ف "وفيه قدم النشو من الاسكندرية فشق عليه ذلك" ، وقد عدلت إلى الصيغة المثبتة هنا وأضيف إليها ما بين الحاصرتين لتنسجم العبارة مع سائر الفقرة .

(٢،٣) فى ف "المرولى" ، وما هنا من ب (٤٤٠ ب) . انظر أيضا ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٤٠ — ٤١) .

بطرابلس تنيف على مائة ألف دينار ، وأن عنده من الكتاب من يُحَقِّق فى جهته مبلغ مائتى ألف وستين ألف دينار أخذها من مال السلطان ؛ فنزل [ابن التركمانى] ولزم بيته .

وفى (٨٤ ب) تاسع عشر شوال خُلع على الشريف عطيفة بن أبى نمى الحسنى ، وكان قد قدم وشكا من أخيه رميثة أمير مكة ، فأُشْرِكَ بينهما فى الإمرة .

و [فيها] اشتدت العقوبة على أولاد التاج إسحاق ، وعلى قرموط ورفيقه ، حتى أظهروا مالا كثيراً . وأنعم على لؤلؤ بإمرة طبلخاناه ، وكثرت الخلع عليه من السلطان ، وعظم البلاء به .

وفيها أقام النشو رجلا لمرافعة الأمير شهاب الدين أحمد بن المحسنى والى دمياط ، بأنه أخرب أساساً قديماً فى البحر بين البرجين ، كانت عليه طلسمات[١] تمنع بحر الملح عن النيل ، حتى تلفت الطلسمات وغلب البحر على النيل ، فتلفت البساتين ، وأنه نال من ثمن حجارة[٢] هـذا الأساس مالا كثيراً . فأحضِر وتسلمه لؤلؤ ، فضُرب بالمقارع واستُخرج منه جملة مال .

و [فيها] قَبض النشو على زوجة موسى بن التاج إسحاق ، وعوقبت وهى حامل عقوبة شديدة (١٨٥) على إحضار المال ، حتى طَرَحت مافى بطنها ولداً ذكراً ؛ وقُبض أيضاً على أولاد ابن الجيعان كتاب الإسطبل . وذلك أن النشو كانت له عجائز يتجسسن فى بيوت الـكِبار ، فبَلَّغنه[٣] عن أولاد [ابن] الجيعان أن نساءه يذكرن كثرة ظلمه وعسفه ، وأنهن يدعون عليه ؛ وبَلَّغنه أيضاً أن أحد أولاد [ابن] الجيعان يسعى فى نظر الجيش ، والآخر [يسعى] فى نظر الخاص . فطلب النشوُ كاتبَ الإصطبل منهم ، وألزمه بكتابة حساب الإصطبل ، فامتنع عليه وخاشنه فى القول . فسعى به [النشو] إلى السلطان حتى قال له مشافهة من شباك القصر : "لِمَ لا تعمل حساب الإصطبل ، وتعطيه الناظر ؟" ، يعنى النشو ، فقال : "يا خوند ! بدل ما تطلب حساب العبى والمقاود ، اطلب حساب الذهب الذى يدخل إلى خزائنك" ، وأغلظ فى حق النشو حتى قال له[٤] : "(٨٥ ب) ونعمة مولانا السلطان أُظْهِرُ فى جهتك مائتى ألف دينار" ؛ فقامت قيامة النشو ، وانفض المجلس

(١) فى ف "طلمسات" .
(٢) فى ف "حجارته" ، وما هنا من ب (١٤٤١) .
(٣) فى ف "فبلغه" : (٤) الضمير عائد على النشو .

على ذلك . فما زال النشو بأولاد [ابن] الجيعان حتى سلّمهم إلى لؤلؤ ، فعاقبهم حتى هلكوا ، وأخذ موجودهم ؛ فلم يكتف بذلك ، فقبض على أقاربهم وألزامهم ، وصودر جماعة بسببهم .

و [فيه] خلع على علاء الدين على بن حسن المروانى [١] الكاشف ، واستقر فى ولاية القاهرة عوضاً عن بلبان المحسنى . وتولى [المروانى] هدم قناطر السباع التى عمرها الظاهر بيبرس على الخليج بين القاهرة ومصر ، وزيد فى سعتها عشرة أذرع ، وأعيدت أحسن ما كانت ، وركبت السباع التى كانت عليها من عهد الظاهر على حالها [٢] .

وفيها كثر شغف السلطان بمملوكه أَلْطُنْبُغا الماردينى شغفاً زائداً ورقّاه ، فأحبّ أن ينشئ له جامعاً تجاه ربع الأمير سيف الدين طغى خارج باب (١٨٦) زويلة ، واشترى عدة دور من ملاكها برضاهم . فانتدب السلطان لذلك النشو ، فطلب أرباب الأملاك وقال لهم : "الأرض للسلطان ولكم قيمة البناء" ، وما زال بهم حتى ابتاعها منهم بنصف ما فى مكاتيبهم من الثمن ، وكانوا قد أنفقوا فى عمارتها بعد مشتراها جملة ، فلم يُعتدّ لهم منها بشىء . وقام [الماردينى] فى عمارة الجامع [٣] حتى تمّ فى أحسن هندام ، فجاء مصروفه ثلاثمائة ألف درهم ونيف ، سوى ما أنعم به عليه السلطان من الخشب والرخام وغيره [٤] . وخطب به الشيخ ركن الدين [عمر بن [٥] إبراهيم] الجعبرى ، من غير أن يتناول له معلوماً .

وفيها عمرت قلعة جَعْبَرَ — المعروفة قديماً بدوْسر [٦] — ، وكانت قد تلاشت بعد أخذ المغل

---

(١) فى ف "المرولى" ، انظر ما سبق ، ص ٣٨٣ .

(٢) ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٤٦ — ١٤٧) أنه شاع بالقاهرة وقت ذاك أن السلطان الناصر إنما أمر بهدم تلك القناطر وتوسيعها ليزيل السباع الحجرية التى هى رنك الظاهر بيبرس ، وليعيد بناء القناطر نفسها لتبق "منسوبة إليه ومعروفة به ، كما كان يفعل دائما فى محو آثار من تقدمه وتخليد ذكره ، ومعرفة الآثار به ونسبتها إليه" ، على أن هذه التهمة مردودة فيما يخص السباع الحجرية على الأقل ، إذ أن الناصر أمر بإعادتها إلى أمكنتها عند ما وصلته أخبار الإشاعة المتواترة ، كما قرر المقريزى نفسه . (٣) فى ف "عمارته" .

(٤) ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٠٨) أن الماردينى أخذ ما كان فى جامع راشدة من العمد واستخدمها فى بناء جامعه . ويلاحظ أن هذا الأمير وارد برسم "الماردانى" فى المقريزى (نفس المرجع) ، انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٩) ، حيث ورد أن ألطنبغا هذا كان متزوجا من ابنة السلطان الناصر .

(٥) ما بين الحاصرتين من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٠٨) .

(٦) فى ف "بالدوشرية" ، وما هنا من ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٨٤) ، حيث ورد أن تلك القلعة الفراتية سميت باسمها الحديث نسبة إلى جعبر بن مالك ، فى عهد جلال الدين ملك شاه بن أرسلان سلطان الدولة السلجوقية الكبرى .

لها ؛ فلما كملت رُتِّب فى نيابتها الأمير صاوم الدين بكتوت السنجرى نائب الرحبة .

وفيها وقعت قصة بدار العدل (٨٦ ب) تتضمّن الوقيعة فى النشو ، وتذكر[1] ظلمه وتسلّط أقاربه على الناس وكثرةَ أموالهم ، وتعشُّقَ صهره ولى الدولة لشاب تركى . وكان قبل ذلك قد ذكر الأميرُ قوصون للسلطان أن عميراً الذى شغف به الأمير ألماس قد ولع به أقارب النشو ، وأنفقوا عليه الأموال الكثيرة ؛ فلم يقبل [السلطان] فيه قول [قوصون أو غيره من] الأمراء ، لمعرفته بكراهتهم له . فلما قرئت عليه القصة قال : "أنا أعرف من كتبها" ؛ واستدعى النشو ودفعها إليه ، وأعاد له ما رماه به الأمير قوصون . فحلف [النشو] على براءة[2] [أقاربه] من هذا الشاب ، وإنما هذا ومثله مما ينقله حواشى الأمير قوصون إليه ، ليبلغه [قوصون] إلى السلطان حتى يتغير خاطره ، ويوقع به وبأقاربه ، وبكى وانصرف . فطلب السلطانُ الأميرَ قوصون وأنكر عليه إصغاءه لما يقال فى النشو ، (١٨٧) ونقلِه للسلطان حتى يتغير عليه مع منفعته به ، وأخبره بحلف النشو . فحلف قوصون أن النشو يكذب فى حلفه ، ولئن قبض على [هذا] الشاب وعوقب ليصدقنّ السلطان فى تعيينه من يعاشره من أقارب النشو . فغضب السلطان ، وطلب[3] الأمير [بدر الدين] مسعود [بن خطير] الحاجب ، وأمره بطلب الشاب وضربِه بالمقارع حتى يعترف بجميع من يصحبه وكتابةِ أسمائهم ، وألزمه ألا يكتم عنه[4] شيئاً منهم ؛ فطلبه [ابن خطير] وأحضر إليه المعاصير ، فأملى عليه عدة كثيرة من الأعيان ، منهم ولى الدولة ؛ فخشى الأمير مسعود على الناس من الفضيحة ، وقال للسلطان : "هذا الكذاب ما ترك أحداً فى المدينة حتى اعترف عليه ، وإننى أعتقد أنه يكذب عليهم" . وكان السلطان حَشِمَ[5] النفس يكره الفحش ، فقال : "يابدر الدين ! مَن ذَكَرَ من الدواوين ؟" ، فقال : "(٨٧ ب) والله ! يا خوند ! ما خلّى من خوفه أحداً حتى ذكره" . فرسم السلطان بإخراج عمير وأبيه إلى غزة ، وكتب إلى نائبها أن يقطعهما خبزاً هناك .

(١) فى ف "وذكر" .

(٢) فى ف "براءتهم" ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٣) فى ف "فطلب امير سعود والحاجب" ، وقد عدلت بعد مراجعة ما سبق ، ص ٣٦٨ ، وكذلك (Zetterstéen Op. Cit. pp. 187, 213) .

(٤) فى ف "عليه" . (٥) هنا إشارة أخرى إلى بعض أخلاق السلطان الناصر محمد .

واتفق أيضاً أن طَيْبُغا القاسمى من المماليك الناصرية كان يسكن بجوار النشو ، وله مملوك جميل الصورة ؛ فاعتشر به ولى الدولة وغيره من إخوة النشو ، فترصّده أستاذه حتى هجم يوماً عليهم وهو معهم ، فأخذه منهم وخرج . فبلغوا [النشو] ذلك ، فبادر بالشكوى إلى السلطان بأن طيبغا القاسمى يتعشّق مملوكه ، ويتلف عليه ماله ، "ثم إنه هجم وهو سكران على بيتى وحريمى ، وقد شهر سيفه ، وبالغ فى السبّ" . وكان السلطان يمقت(١) على السكر ، فأمر فى الحال بإخراج طيبغا(٢) ومملوكه إلى الشام منفيا .

وفيها قدم إبراهيم ابن السلطان (١٨٨) من الكرك ، يوم الاثنين ثالث ذى الحجة .

وفيها أمر السلطان بإنشاء قناطر بناحية شيبين القصر على بحر أبى المنجا ، فأنشئت تسع قناطر فى شعبان ؛ وتقدّم [السلطان] إلى الأمراء بحمل الحجارة إليها ، فحمل كل من الأمراء ما وُظّف عليه من ذلك .

وفيها وقع بالمدينة النبوية وباء ، فكان يموت فى كل يوم خمسة عشر بمرض الخوانيق(٣) ، ولم يعهد مثل هذا بالمدينة الشريفة .

وفيها بلغت زيادة النيل ثمانية عشر ذراعا وإحدى عشرة أصبعاً ، فعمّ نفعه عامة الأراضى ؛ وكان الوفاء يوم الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة ، وهو سادس عشر مسرى .

ومات فيها من الأعيان بهاء الدين أبو بكر بن محمد بن سليمان بن حمايل — المعروف بابن غانم — كاتب السرّ بطرابلس ، فى ثامن صفر بها . (٨٨ ب) و [توفى] الواعظ شمس الدين حسين بن أسد بن مبارك بن الأثير ، بمصر يوم الخميس سادس جمادى الآخرة ، عن أربع وثمانين سنة ؛ حدّث عن الحافظ عبد العظيم وغيره . و [مات] الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة ، وهو معزول ، يوم السبت [ثامن جمادى الآخرة(٤)] ، عن نحو تسعين سنة ؛ أصله من المماليك المنصورية قلاون ، وترقّى حتى صار خازنا ثم شادّ الدواوين

(١) يلاحظ القارئ أن هنا إشارة جديدة إلى ناحية من أخلاق السلطان الناصر .
(٢) فى ف "الطنبغا" .
(٣) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٥ ، حاشية ٨) .
(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٤٢ ب) فقط . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٧٢) .

ثم والى البهنسا ؛ ثم استقرّ والى القاهرة وشادّ الجهات ، فأقام عدة سنين] ؛ و إليه ينسب حكر الخازن خارج القاهرة على بركة الفيل ؛ وكان حسن السيرة ، ومات عن نحو تسعين سنة ؛ وتربته بالقرب من قبة الشافعى بالقرافة . و[مات] الأمير صلاح الدين طرخان بن الأمير بدر الدين بيسرى ، بسجنه فى الإسكندرية فى جمادى الأولى ، بعد ما أقام به أربع عشرة سنة . و[توفى] الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم الحلبى الحنفى ؛ وله تاريخ مصر مقفّى ، وشرح البخارى ، وشرحُ السيرة النبوية للحافظ عبد الغنى ، ومشيخةٌ[١] (١٨٩) فى عدة أجزاء اشتملت على ألف شيخ . و[توفى] زين الدين عبد الكافى بن الضياء على بن تمام بن يوسف [بن موسى][٢] بن تمام الأنصارى الخزرجى السبكى ، بالمحلة الكبرى وهو على قضائها ، وهو والد التقى السبكى . و[مات] الملك العزيز عثمان بن المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى ، بالقاهرة ، ومولده سنة اثنتين وخمسين وستمائة . و[مات] الأمير طغلق الأشرفى السلاح دار ، بالقاهرة ، بعد الإفراج عنه بأسبوع . و[مات] الصاحب شمس الدين عبد الله — واسمه غبريال بن أبى سعيد بن أبى السرور الأسلمى — ناظر الشام ، بعدما صودر واتّضع حاله حتى[٣] استجدى من الأمراء ونحوهم ؛ و[كان] النشو يغرى [به] السلطان بأنه يكذب ، و إن تسلمه أظهر له مالا كبيراً ؛ فاشتملت تركته (٨٩ب) على ألف ألف درهم ، و بسببها استطال النشو على السلطان ، وصار قوله عنده لا يُنْقَض . و[توفى] المسند أمين الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الخلاطى الوانى ، المؤذن بالجامع الأموى ، فى حادى عشرى ربيع الأول بدمشق ؛ سمع بمصر والشام والحجاز ، وحدّث عن جماعة . و[مات] محمد بن بكتوت الظاهرى القلندرى ، بطرابلس فى خامس عشر ربيع الأول ؛ كان كاتباً مجوِّداً ، [و] يذكر أنه كتب على ابن الوحيد ؛ وكان يضع المحبرة فى يده اليسرى والمجلد من [كتاب] الكشاف [للزمخشرى][٤] على زنده ، ويكتب منه

(١) المشيخة إحدى جموع لفظ شيخ (قاموس المحيط) ، والمقصود بها هنا الكتاب الذى عدّد فيه المؤلف شيوخه .

(٢) مابين الحاصرتين وارد فى ب (٤٤٢ ب) فقط .

(٣) فى ف "بعدى ما" ، وما هنا من ب (٤٤٢ ب) .

(٤) ما بين الحاصرتين من ب (٤٤٢ ب) .

ما شاء الله وهو يغنّى ولا يغلط ؛ وكان عند المؤيد بحماة مدة ، ثم طرده . و[توفى] شيخ الكتابة بهاء الدين محمود بن الخطيب محيى الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن على بن أحمد بن عقيل السلمى — المعروف (١٩٠) بابن خطيب بعلبك الدمشقى — بها فى سلخ ربيع الأول، عن سبع وأربعين سنة . و[مات] الأمير مهنا بن عيسى بن مهنا، فى يوم الاثنين ثامن عشر ذى القعدة بسلمية ودفن بها ، عن ثمانين سنة ؛ وترك ستة عشر ولداً ، وكان عفيفاً مشكور السيرة . وتوفيت ناصرية ابنة إبراهيم بن الحسين السبكى ، والدة التقى السبكى ، بعد زوجها [زين الدين عبد الكافى[1] السبكى] بأربعين يوماً ؛ حدّثت عن على بن الصواف ، ودفنت بالقرافة . و[توفيت] زينب بنت الخطيب يحيى ابن الشيخ عزالدين [عبد العزيز[2]] ابن عبدالسلام، عن سبع وثمانين سنة ؛ وقدتفرّدت بالرواية عن جماعة . و[قتل] [3] تِرْمَشِين بن دُوَا المغلى ، صاحب بلخ وبخارا وسمرقند ومَرْو ؛ وكان قد أسلم وحسن إسلامه ، وأبطل المكوس وعَدَل فى رعيته ؛ وملك بعده بُزَان[4] .

***

(٩٠ ب) سنة ست وثلاثين وسبعمائة . فى المحرم قَدِم مملوك المجد السلامى من العراق بكتاب أستاذه ، وصحبته بيرم رسول بوسعيد ؛ فنزلا بدار الضيافة ، وسافرا يوم الخميس خامس عشريه . وكان الكتاب يتضمّن أن بوسعيد مرض ، فتصدّق بمال كثير ، وكتب بإسقاط المكوس من توريز وبغداد والموصل ، بواسطة الوزير محمد بن

(١) انظر الصفحة السابقة .

(٢) ما بين الحاصرتين من ب (٤٤٣ أ) .

(٣) كذا فى ف ، وفى ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ٥١٦) ، واسم هـذا الملك المغولى ، حسبما ورد فى (Zambaur : Op. Cit. pp. 248, 250) ترماشيرين بن دوا بن براق خان ، وينتهى نسبه إلى جغطاى بن جنكزخان ، (Tirmâchîrîn b. Duwâ b. Burâg-khân) ، وقد امتد حكمه فى بلاد ما وراء النهر (Transoxania) من سنة ٧٢٦ هـ إلى سنة وفاته كما هنا . وقام من بعده فى مملكته حتى سنة ٧٣٥ هـ جنكشى (Jinkishî) ، وهو ابن أخيه ؛ ونازع جنكشى هذا أمير مغولى ثان اسمه بوزون (Bûzûn) ، وهو ابن أخ ثان للملك المتوفى .

(٤) كذا فى ف ، انظر الحاشية السابقة .

الرشيد ، وأن سديد الدولة ديَّان[١] اليهود مرّ بقارئ يقرأ قوله تعالى : يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَام ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ، (١٩١) فوقف واستعاده قراءتها ، وبكى بكاءً شديداً ، وقد اجتمع عليه الناس ، ثم أعان بكلمة الإسلام ، فارتجت بغداد لإسلامه ، وغلقت أسواقها ، وخرج النساء والأولاد ، فأسلم بإسلامه ستة من أعيان اليهود ؛ وسارعت[٢] العامة ببغداد إلى كنائس اليهود ، فخربوها ونهبوا ما فيها .

وفيها تمّ بناء خانكاه الأمير قوصون بجوار جامعه من داخل باب القرافة ، وتمّت عمارة حمامها أيضاً . فقرّر [قوصون] فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصفهانى ، فى يوم الخميس ثانى صفر ؛ وعُمِل بها سماط جليل .

وفى يوم الخميس تاسع عشر ربيع الآخر توجه السلطان إلى الوجه القبلى حتى وصل إلى دَنْدَرا ، وعاد فطلع القلعة فى يوم الخميس خامس جمادى الأولى ؛ وكانت غيبته خمسة وأربعين يوما .

(٩١ ب) وفى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول عُزِل الأمير سيف الدين بُغَا عن الدوادارية ؛ واستقرّ عوضه سيف الدين طاجار المارديني ؛ ثم أخرج بغا على إمرة عشرة بصفد ، فى ليلة الجمعة سادس ربيع الآخر . وسببه أن بعض تجار قيسارية جهاركس طرح عليه النشو ثيابا بضعفى قيمتها كما هى عادته ، فرفع قصة للسلطان على يد بغا ، وأحضره [بُغَا] بين يديه فشكا حاله . فاستدعى السلطان النشو بحضور التاجر ، وقال له : "كم تشكو الناس منك ! اسمع ما يقول هذا عنك من طرح القماش عليه بأغلى الأثمان" . فقال : "ياخوند ! هذا ما يشتكى من أمر القماش ، لكنه عليه للسلطان مبلغ ثلاثين ألف دينار ، وقد هرب منى وأنا أطلبه . وهذا المبلغ من إرث جارية تزوجها [التاجر[٣] — وهى] من جوارى

(١) فى ف "ديوان" ، وما هنا من ب (٤٤٣ ا) ، وقد تقدم شرح لفظ ديان فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢٨ ، حاشية ٢ ؛ ص ٩١٠ ، حاشية ٢) .

(٢) فى ف "وشرعت" .

(٣) انظر الصفحة التالية ، سطر ٤ .

الشهيد (١٩٢) الملك الأشرف [خليل] — ماتت عنده ، وخلفت نحو مائة ألف دينار ومابين جواهر وغيرها ، فأخَذَ الجميع ولم يظهر السلطان على شيء ". ثم التفت [النشو] إلى التاجر وقال له : " بحياة رأس السلطان ! ما كنت متزوجاً بفلانة ؟ " — يعنى الجارية المذكورة — فقال : " نعم ! ". فأمره السلطان أن يسلمه لابن صابر المقدم حتى يستخلص منه المال ، فأخذه ابن صابر وشهّره بالقاهرة ، وعاقبه بالقيسارية مراراً حتى أخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم . ثم تحوّل النشو على بُغا ، وسعى به أنه يأخذ البراطيل ؛ وكان السلطان لا يرتشى ، ويمقت من يرتشى(١) ويعاقبه أشد العقوبة ، فأثّر كلامه عند السلطان حتى أخرجه . وسعى [النشو] أيضاً بطُقْتَمُر(٢) الخازن حتى غيّر السلطان عليه ، وأخرجه إلى قلعة حلب نائباً بها فى تاسع عشرى رجب .

(٩٢ ب) وفى يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة رُسم للأمير سيف الدين أيتمش [المحمدى](٣) بنيابة صفد ، عوضاً عن أرقطاى المرسوم بنقله إلى مصر ؛ فخُلِع عليه يوم السبت حادى عشره ، ووَدَّع السلطان يوم الاثنين ثانى عشر رجب . وخرج [أيتمش] إلى الريدانية ، ثم رحل منها يوم الخميس خامس عشره ، فقدم صفد يوم السبت ثامن شعبان . وقدم الأمير أرقطاى إلى قلعة الجبل يوم الأحد سادس عشرى جمادى الآخرة ، وأنعم عليه بإقطاع أيتمش وتقدمته ، وأكرمه السلطان .

وفيه أخرج بلبان الحسامى — والى القاهرة كان(٤) — إلى ولاية دمياط ثامن عشره ؛ [واستقر عوضه فى ولاية القاهرة(٥) علاء الدين على بن حسن المروانى ، وهو والى الولاة بالوجه البحرى يومئذ] .

وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشر رجب قُبض على ابن هلال الدولة ، وعلى ناصر الدين محمد ابن المحسنى ؛ وأخرجا إلى الإسكندرية (١٩٣) بسعاية النشو عليهما . وسببه أن الناس توقفت

---

(١) هنا إشارة أخرى إلى ناحية من أخلاق السلطان الناصر محمد .

(٢) فى ف "بقتمر" ، وماهنا من ب (٤٤٣ ب) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. p. 208) .

(٣) أضيف مابين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 161)

(٤) كذا فى ف ، وهو تعبير كثير الورود بكتب المؤرخين فى هذا العصر .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 191) ، ويلاحظ أن هذا مثل من أمثلة التعدد فى الوظائف .

أحوالهم فى القاهرة من جهة الفلوس ، وتحسنت أسعار الغلال، وتعذر شراء الخبز إلا [بمشقة. فوجد النشو[١] سبيلا إلى القول ، ورمى ابن هلال الدولة بأنه تحول من القرافة إلى جوار ناصر الدين بن المحسنى] بخط البندقانيين من القاهرة ، وأنهما يجتمعان ليلا ويندبان عدة من العامة لإغلاق دكاكين القاهرة والتعنت فى أمر الفلوس ، وأن "[ناصر الدين] بن المحسنى قد باطن جماعة من الحرامية على الفتك بى ، وأن إقامة الاثنين بالقاهرة توجب فساداً كبيراً" . وما زال [النشو] بالسلطان حتى أخرجهما بعدما قبض عليهما ، وكان ابن هلال الدولة من ثالث عشر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فى الترسيم بالقلعة ؛ ثم أخرج بدر الدين والد ابن المحسنى وإخوته إلى طرابلس .

وفى يوم الثلاثاء ثالث رمضان (٩٣ ب) دخل الأمير الشريف بدر الدين ودى بن جماز بن شيحة الحسينى أمير المدينة [النبوية] ، شاكياً من ابن أخيه طفيل بن منصور [بن جماز[٢]] أنه لم يوافق على ما رُسم به من شركتهما فى الإمرة . وكان قد رُسم فى سادس عشر المحرم لودى بنصف الإمرة شركة بينه وبين ابن أخيه طفيل ، وخُلع عليه وكُتب له توقيع بواسطة الأمير شرف الدين موسى بن مهنا عند قدومه ؛ فقدم طفيل من المدينة فى جمادى الأولى ، ليكون بمفرده فى الإمرة ، فلم يُجَب إلى ذلك . ثم آل الأمر إلى أن استقر ودى بمفرده فى الإمرة بغير شريك ، وخُلع عليه فى عاشر شوال ، وتوجه مع الركب ؛ ورُسم لطفيل بإقطاع فى بلاد حوران بالشام ، فسكنها بعياله .

وفى [تاسع[٣] شهر] رمضان أنعم على إبراهيم بن السلطان (٩٤ ا) بإمرة ، ونزل الأمير قوصون والأمير بشتاك به إلى [المدرسة] المنصورية بين القصرين، وعُمل مهمٌ عظيم . وألبس الأمير إبراهيم الشربوش على العادة ، وشقّ القاهرة فى موكب جليل ، وقد زينت بالشموع والقناديل حتى صعد القلعة

وفيها رافع التاجُ كاتب الأمير بكتوت التاجَ محيي الدين يحيى بن فضل الله كاتب السر وولدَه شهاب الدين أحمد بورقة قرأها السلطان ، تتضمّن أنهما عزلاه بغير علم السلطان .

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٤٤ ا) فقط .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٤٤ ا) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٤٤ ب) .

فطلبهما [السلطان] وأوقفهما عليها ، فعرّفاه أن هذا كان يكتب الإنشاء بغزة ، فكتب تواقيع لغيره بذلك بمقتضى قصة مشمولة بالخط الشريف ، وأحضرا[١] القصة ؛ فأخرج الرجل. ووجد النشو طريقاً للوقوع (٩٤ ب) فى ابن فضل الله ، فتسلط عليه بالكلام السيء .

و[فيها] اشتدت وطأة[٢] [النشو] على الناس ، وابتكر مظلمة لم يسبق إليها : وهى أنه ألزم أهلَ الصاغة ودار الضرب ألا يبتاع أحد منهم ذهباً ، بل يحمل الذهب جميعه إلى دار الضرب ، ليصكَّ بسكة السلطان ويضرب[٣] دنانير هِرْجة[٤] ، ثم تصرف بالدراهم ؛ فجمع من ذلك مالا كبيراً للديوان . ثم تتبع [النشو] الذهب المضروب فى دار الضرب ، فأخذ ما كان [منه] للتجار والعامة ، وعوّضهم عنه بضائع ؛ وحمل ذلك كله للسلطان . وانحصر ذهب مصر بأجمعه فى دار الضرب ، فلم يجسر أحد على بيع شيء منه فى الصاغة ولا غيرها . ثم إن السلطان استدعى منه بعشرة آلاف دينار ، فاعتذر عنها (١٩٥) فلم يقبل عذره ونهره ؛ فنزل [النشو] وألزم أمين الحكم بكتابة ماتحت يده من مال الأيتام ، وطلب [منه] عشرة آلاف دينار قرضاً فى ذمته ، فدلّه على مبلغ أربعمائة ألف درهم لأيتام الدوادارى تحت ختم بهاء الدين شاهد[٥] الجمال ، فأخذها منه وعوضه عنها بضائع . ثم بعث [النشو] إلى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الإخنائى المالكى فى تمكينه من مال أولاد [الأمير] أرغون النائب ، وهو ستة آلاف دينار ، وكانوا تحت حجره ، فامتنع وقال : " السلطان ما يحل له أخذ مال الأيتام " ؛ فردّ عليه : " بأن السلطان إنما يطلب المال الذى سرقه أخوك من خزانة الخاص حيث [كان] ناظرها ، فإن الحساب يشهد عليه بما سرقه [من الخزانة] " ؛ وقام فى فورةٍ إلى السلطان ، وما زال (٩٥ب) به حتى بعث إلى القاضى يلزمه بحمل المال الذى سرقه أخوه من الخزانة ، ويقول [له] : " أنت إيش كنت من

(١) فى ف "واحضر".

(٢) فى ف "وطاته" ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٣) فى ف "يصير".

(٤) الهرجة — ويقال هِرَج أيضا — جمع هِرْج ، وهى هنا دنانير تستعمل خاصة فى الحلى ، كالأساور والعقود وغيرها ، بأن يصاغ فى أطرافها حلقات صغيرة ، أو يجعل فى جوانبها ثقوب ، كما هو الحال فى تركيب بعض الحلى الذهبية — والفضية أيضا — حتى العصر الحاضر فى مصر . انظر (De Sacy Traité des Monnaies Musulmanes de Makrizi. p. 40, N. 3)

(٥) لايوجد بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى مايدل على هذه الوظيفة بشيء .

مملوكى ؟"؛ فلم يجد [قاضى القضاة] بدأً من تمكين النشو من أخذ المال.

و [فيها] أمر [السلطانُ] أيضاً بتشديد العقوبة على أولاد التاج إسحاق وألزامهم.

وفيها تحرّكت أسعار الغلال من نصف جمادى الآخرة، وارتفع سعر القمح من خمسة عشر درهماً الأردب إلى عشرين درهما، ثم إلى ثلاثين [درهما] ؛ فوقفت أحوال الناس. وارتفع [القمح] إلى أربعين [درهما] ، فأمسك الأمراء وغيرهم عن البيع طلباً للفائدة ، نخاف السلطان عاقبة ذلك ، فطلب نجم الدين محمد بن حسين بن على الأسعردى المحتسب — وقد بلغ الأردب خمسين درهما — ، وأنكر عليه ، وأقام معه والى القاهرة (١٩٦) علاء الدين على بن [حسن] المروانى ، وكان ظالماً غشوماً. فضرب [الوالى] عدة من الطحانين والخبازين بالمقارع ، فاشتدّ الأمر ، وغلقت الحوانيت بالقاهرة ومصر ، وتعذّر شراء الخبز إلا بمشقة عظيمة.

فكتب السلطان بحمل الغلال من غزة والكرك والشوبك و بلاد دمشق ، وألا يترك بها غلة مخزونة حتى تحمل إلى القاهرة. ونودى بالقاهرة ومصر ألا يباع القمح بأكثر من ثلاثين درهما الأردب ، ومن باع بأكثر [من ثلاثين] نهب ماله ؛ وتقدّم [السلطان] إلى الأمراء بألا يخالفوا ذلك . فأمسك مباشرو الأمراء أيديهم عن البيع ، وصاروا يجلسون بأبواب الشون ولا يبيعون منها شيئاً ؛ فاشتدّ الأمر. وباع الشماسرة الأردب بستين (٩٦ب) و بسبعين خفية ، و [صار الأمراء] يخرجون الغلة من الشون على أنها جراية لخادمهم ، وماهى إلا مبيع بما ذُكِر.

فاهتم السلطان بالغلاء ، وشقّ عليه ما بالناس من ذلك ، وعلم أن أكثر الغلال إنما هى للأمراء ؛ فطلب ضياء الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد — الشهير بالضياء بن خطيب بيت الآبار الشامى(١) — ناظر المارستان وناظر الأوقاف ، وقد اشتهرت نهضته و كفايته وأمانته ، وفوّض إليه الحسبة بمصر بعد امتناعه منها ، وأكد عليه فى القيام بما ندبه إليه ، وخلع عليه فى ثالث جمادى الآخرة. ونزل [الضياء و](٢) معه الأمير الأكز شاد الدواوين إلى

(١) ورد هذا الاسم فى (Zetterstéen : Op. Cit. pp. 193,161) بصيغة "الضياء الشامى" فقط.

(٢) فى ف "ونزل معه".

مصر ؛ فكان يوماً مشهوداً . وأول ما بدأ به الضياء أن ختم شون الأمراء كلها ، بعد أن (١٩٧) كتب ما فيها من عدة الأرادب ؛ وكتب ما يحتاج إليه الأمير من الجراية لمؤونته والعليق لدوابه إلى حين قدوم المغلّ الجديد ؛ ثم طَلَب الشماسرة[١] والأمناء[٢] والكيالين ، وأشهد عليهم ألا تُفتح شونة إلا بإذنه .

وصار [الضياء] يركب فى كل يوم إلى شونة ، ويخرج ما فيها ، فيبدأ بتكفية الطحانين ، ولا يبيع الأردب إلا بثلاثين درهما ؛ فلم يقدر أحد على بيعه بأكثر من ذلك . ثم[٣] بلغ الضياء أن شمسارى الأميرين قَوْصُون و بَشْتاك باعا بأكثر [من ذلك] ، فاستدعى الأميرَ الأكُز إلى مصر فضربهما بالمقارع وأشهرهما . ثم عرّف [الضياء] السلطانَ بأمرهما ، فاشتدّ غضبه ، وطلب الأمير قوصون بحضرة الأمراء ، وصرخ عليه : " (٩٧ ب) ويْلَك ! أنت تريد أن تخرب علىّ مصر ؟ وتخالف مرسومى ؟ " ، وسبّه ولعنه ، وشهر عليه السيف وضربه على أكتافه ورأسه ، وصار يقول : " هاتوا أستاداره " ؛ فتسارع النقباء لإحضاره . ومن شدّة غضب السلطان صار يقوم ويقعد ويقول : " هاتوا أستاداره " ، حتى خرج أمير مسعود الحاجب بنفسه إلى باب القلعة والحاجب الآخر . وارتجت القلعة بأسرها ، وخاف الأمراء كلهم ، فلم ينطق أحد منهم لشدة ما رأوا من غضب السلطان . فلم يكن أسرع من حضور قُطْلُو أستادار قوصون ، فأمر [السلطانُ] الأكُزَ بضربه بالمقارع ، ثم أمر به فبُطح بين يديه وضُرب ، خوفا عليه من إخاش الأكُز فى ضربه ؛ فلم يتجاسر أحد بعدها من الأمراء (١٩٨) أن يفتح شونته إلا بأمر المحتسب .

ثم بلغ الضياء أن الأمير طَشْتَمُر الساقى أخرج من شونته أربعمائة أردب ، فأنكر[٤] على ديوانه ، وحلف أنهم إن لم يعيدوا الأربعمائة أردب إلى الشونة ، وإلا عرّف السلطان [ذلك] ؛ فلما بلغ الأمير طشتمر هذا ردّ الغلة إلى الشونة .

وكتب السلطان إلى ولاة الأعمال أن يركبوا بأنفسهم إلى جميع النواحى ، ويحملوا

(١) كذا فى ف بالشين . انظر ما سبق ، ص ٩٦ ، حاشية ٢ .
(٢) انظر ما سبق ، ص ١٥٣ ، حاشية ١ .
(٣) فى ف " الى ان بلغه " ، وقد عدّلت إلى الصيغة المثبتة هنا للتوضيح .
(٤) فى ف " فما نكر " ، وما هنا من ب (٤٤٥ ب) .

ما بها من الغلال ، بحيث لا يدعون غلة فى مطمورة(١) ولا مخزن ، ولا أحداً عنده غلة حتى يحمل ذلك كله إلى مصر ، وتحضر أربابها لأخذ أثمانها عن كل أردب مبلغ ثلاثين درهما . ونودى بالقاهرة ومصر : " من كان عنده غلة ولا يبيعها نُهبت " .

وكان قد بلغ السلطان أن الأجناد عندهم غلال ، وهم يبيعونها بالويبة ، فباع بعضهم (٩٨ ب) بعد النداء ، وتهاون طائفة منهم فلم يبيعوا شيئاً . فنمّ عليهم جيرانهم حتى كان منهم من تهجم السوقة الحرافيش(٢) عليه وتنهبه ، ومنهم من يُغمز عليه فيأتيه الوالى(٣) ويُخرج غلته حتى تفرّق على الطحانين . وأقيم فى كل فرن شاهد لحصر ما يحمل إليه من الدقيق المرتّب له ، وعُمل معدّل كفاية البلد فى كل يوم ، وفُرّق القمح فيهم على قدر كفايتهم ؛ فسكن ما كان بين الناس من العناء فى طلب الخبز ، ومن ضربِ الطحانين والخبازين .

فلما كان فى آخر شهر رجب قدم من الشام أربعة آلاف غرارة قمح . ثم قدم فى آخر شعبان أحمال كثيرة من بلاد الصعيد ، وتبعها الحمل فى البر والبحر من الشرقية والغربية والبحيرة . وخاف أرباب الغلال (١٩٩ ا) على أنفسهم ، فأخرجوها للبيع ، حتى [إذا] أهلّ شهر رمضان قدمت التراويج(٤) فى أوائل الحصاد . ووافق [ذلك] النداء على النيل بالزيادة ، فعبرت المراكب فيه بالغلال إلى ساحل مصر ، وزُفّت بالمغانى ؛ وكان الخبز يباع ستة أرطال بدرهم ، فبيع من الغد ثمانية أرطال بدرهم . فلم ينسلخ شهر رمضان حتى فرّج الله عن عباده ، ونزل السعر قليلا قليلا ، بعد ما ظنّ كثير من الناس أنه نظير غلاء العادل [كتبغا](٥) ، فسلم الله بمنّه .

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٥٤ ، حاشية ٤ .

(٢) الحرافيش والحرافشة جمع حرفوش ، وهما حسبما شرح (Dozy : Supp. Dict. Ar.) الرجل من الطبقة السفلى (un homme de la plus basse classe) .

(٣) فى ف "ومنهم من يغمز الوالى عليه فياتيه" .

(٤) كذا فى ف ، والراجح أن المقصود ما يستعجله الزراع من غلة أو غيرها قبل أوان الحصاد تماما ، ففى محيط المحيط أن المولدين يستعملون فعل روج بمعنى استعجل ، والاسم منه عندهم الروجة ، وربما كان جمعه تراويج كما هنا .

(٥) ما بين الحاصرتين من ب (٤٤٦ ا) . انظر المقريزى (إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٣٢ — ٣٨) ، وكذلك المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٠٨ — ٨١٥) ، حيث توجد أخبار الغلاء الذى وقع فى أيام السلطان كتبغا .

وفى يوم الأربعاء رابع عشر شوال قدم رسـلُ الملك موسى الذى ملك بعد أربا كاؤن (١) ورسـولُ علىّ بادشاه (٢) ، فخُلع عليهما وأنعم على جماعتهم بمال كثير . فلما كان يوم الجمعة ركبوا من القلعة بعد الصـلاة ، ومضوا فزاروا الإمام الشافعى والسيدة (٩٩ ب) نفيسة ، وعادوا إلى التربة المنصورية بين القصرين ، فزاروا [قبر السلطان] الملك المنصور [قلاون] ، وعدوا المارستان وطلعوا إلى القلعة ، ودقت الـكوسات عند نزولهم منها ثم عند عودهم إليها ؛ وسافروا فى تاسع عشريه . وملخص كتبهم الخـبر بموت ملك الشرق القان بو سعيد بن القان محمد خر بنـدا بن أرغون بن أبغا بن عدو الله هولاكو بن طلوخان بن عدو الله جنكز خان ، بالباب الحديد (٣) وهو متوجه إلى لقاء أزبك خان ، وأنه قام من بعده أربا كاؤن [بن صُوْصا بن سِنْجِقان بن مَلِكْتَمُر بن أرِيْغْبُغا أخى هولاكو ، بمساعدة الوزير (٤) غياث الدين بن رشيد الدين] . فلم يوافقه على بادشاه حاكم بغداد فى الباطن ، واستمال أولاد سُوْنتاى (٥) فلم يوافقوه ؛ [فجمع على بادشاه] المغل عليه ، وكتب إلى السلطان [الناصر] يعده بأنه يسلم له بغداد ويكون نائباً عنه بها ، وسأله فى إعانته بنجدة على أولاد سُوْنتاى (٦) ، تكون مقيمة على (١١٠٠) الفرات . ففرح السلطان بذلك وأجابه بالشكر ، وبعث إليه خمسة قراقل (٧) وخمسة سيوف . فقوى عزم

---

(١) فى ف "اربا كوز" وما هنا من (Browne: Op. Cit. III. p. 58. etc.) ، حيث ورد اسم هذا الملك برسم (Arpa) فقط ، و (Arpagaūn) كالمثبت بالمتن . وسيدأب الناشر على تصحيحه إلى الرسم الثانى فيما يلى بغير تعليق . انظر مايلى بهذه الصفحة من المتن لشرح أخبار تلك السفارة .

(٢) فى ف "على باشا" . انظر (Browne: Op. Cit. III. p. 58) ، وسيدأب الناشر على تصحيح هذا الاسم إلى ما هنا بغير تعليق فيما يلى .

(٣) كذا فى ف ، وقد ذكر (Bowne : Op. Cit. III. p. 57) أن أباسعيد مات فى نوفمبر ١٣٣٥م (ربيع الآخر ٧٣٧ هـ) ، بسبب مرض أصابه عند بلدة قراباغ ، (Qara-Bagh) قرب أران ، وهو فى طريقه لمحاربة أزبك خان . هذا وقراباغ تسمية تركية فارسية معناها البستان الأسود ، لخصوبة السواد من أرضها . (Ency. Isl. Art. Kara-Bagh) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين بعـد مراجعة (Browne : Op. Cit. III. p. 58) ، حيث وردت أخبار هذه الحوادث بتفصيل . انظر أيضاً (Zambaur : Op. Cit. p. 245) وكذلك (Howorth : Op. Cit III. p. 634 et Seq)

(٥،٦) فى ف "سوتاى" . انظر ما سبق ، ص ٣٥٥ ، حيث تقدمت وفاة هـذا الأمير المغولى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١ م) ، غير أنه لا يوجد فى (Howorth : Op. Cit. III. p. 637 etc.) من أسماء أولاد سونتاى سوى حاجى طوغاى الذى تولى ديار بكر من بعده .

(٧) انظر ما سبق ، ص ١٧٥ ، حاشية ٢ .

على بادشاه ، وركب إلى أولاد سُوْنتَاى ؛ فاجتمعوا على الشيخ حسن بن آقبغا أيلخان سبط أرغون بن أبغا بن هولاكو — المعروف بالشيخ حسن بك الكبير[١] النُوَيْن[٢] — بالأردو[٣] ، وعرّفوه انتماء على بادشاه لصاحب مصر ونصرته له . فكتب [الشيخ حسن الكبير] إلى السلطان يرغّبه فى نصرته على علىّ بادشاه ، ويمتّ إليه بقرابته من أمه ؛ فمطل بالجواب رجاء حضور خبر علىّ بادشاه . فقدم الخبر بأن علىّ بادشاه لما ركب لحرب أولاد سُوْنتَاى بلغه اجتماعهم والشيخ حسن مع عدة من الأمراء ، [وأن] أربا كاؤن [هرب] لتفلّل[٤] أصحابه عنه ؛ وأشيع عنه أنه قتل . وقوى على بادشاه بمن انضم إليه من المغل ، فسار أولاد سونتاى والشيخ حسن إلى جهة الروم ؛ وانفرد (١٠٠ب) على بادشاه بالحكم فى الأردو ، وأقام موسى[٥] بن على بن بَيْدو بن طَرَغاى بن هولاكو على تخت الملك .

وفى يوم الأربعاء سابع شوّال تغيّر السلطان على الأمير الأكُز شاد الدواوين ، وضربه وحبسه مقيداً . وسبب ذلك أن الأمير قوصون غضب على[٦] الأكُز من أجل أنه أخرق بقطلو أستاداره ، عندما باع شماسرة القمح بأزيد من ثلاثين درهما الأردب ؛ فعندما رآه فى الخدمة السلطانية سبّه ، فردّ عليه الأكُز ردًّا فاحشاً سبّه فيه كما سبّه ، فاشتدّ حنق قوصون منه [و] همّ أن يلكمه ، فبدر إليه وهمّ فى ذلك ، وإذا بالسلطان قد جلس وسمع

(١) تقدمت الإشارة إلى الشيخ حسن بك هذا فى ص ٣١٠ ، حاشية ٤ ، حيث ذكر المقريزى أنه أرسل سفارة للسلطان الناصر سنة ٧٢٩ هـ . وهو الشيخ حسن الجلائرى — أو بزرج ، ومعناه الكبير ، تمييزاً له من الشيخ حسن كجك — ومعناه الصغير — بن دمرداش بن جوبان . انظر (Browne : Op. Cit. III. P. 170) .

(٢) تقدم شرح هذا اللفظ فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٢٤ ، حاشية ٣) .

(٣) تكرّر إيراد هذا اللفظ بألف بعد الواو فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٧١ ، وغيرها) ، وما هنا هو الصحيح ، ومعناه الجيش . ويريد الناشر بهذا الاستدراك أن يشكر للبحاثة محمد كرد على بك ما أبداه من ملاحظات ونقد فى مجلة المجمع العلمى العربى (المجلد السابع عشر ، الجزء الأول والثانى ، ص ٨٨ ، دمشق ، كانون الثانى وشباط ، ١٩٤٢ م) بصدد ماتمّ طبعه من هذا الكتاب .

(٤) فى ف "لتفللك" .

(٥) فى ف "موسى بن قنجق بن سيدوس طورغاى هولاكو" ، والرسم المثبت هنا من (Zambaur : Op. Cit. p. 245) . والمعروف حسبما ورد فى (Browne : Op. Cit. III. P. 50) أن أربا كاؤن لم يعمر طويلا فى الملك ، فإن على بادشاه دعا لموسى المذكور هنا وسار لمحاربة أربا كاؤن وحزبه ، ووقعت الواقعة قرب مراغة فى إبريل ١٣٣٦م (رمضان ٧٣٦ هـ) ، فانهزم أربا كاؤن وقتل وزيره غياث الدين ؛ على أن الرواية لم تتمّ فصولا بهذا الحادث ، كما سيلى . (٦) فى ف "عليه" .

الجلبة ، فتقدّم إليه الأكُز وعرّفه بما فعله شمسار قوصون وضربه له ، "وأن قوصون غضب علىّ بسبب ذلك ، (١٠١ ا) وشتمنى". فكان من السلطان فى حق قوصون ما تقدّم ذكره ، وصار يقول : "إذا كان مملوكى يفعل شيئاً بغير مرسومى ويعترض علىّ ، أى حرمة تبقى لى ؟" وحَطّ على قوصون . فتأخّر قوصون عن الخدمة آخر النهار ، فاستدعاه السلطان بجمدار ، فوَجده محموماً ، وأقام بالحمى ثلاثة أيام ؛ فبعث إليه الأمير بشتاك وطيّب خاطره ، وهو يشكو مما جرى عليه ، فما زال به حتى دخل إلى الخدمة ؛ فأقبل السلطان عليه ، ووعده بالإيقاع بالأكُز . ثم طلب [السلطانُ] النشوَ بعد ذلك ، وحدّثه فى أمر الأكُز وغضّ منه ؛ فعين [النشوُ] له لؤلؤاً عوض الأكُز وقام عنه ، وطلب لؤلؤاً وعرّفه ما دار بينه و بين السلطان . وكان [لؤلؤ] خفيفاً أحمق ، فوضع من الأكُز ودخل من الغد إلى السلطان (١٠١ب) مع الأكُز ، وأخذ يجبهه بالكلام ويرافعه ويُنْكيه ، حتى حَرِج[١] منه وسبّه . فغضب السلطان بسبب ذلك ، وأمر به[٢] فضرب بين يديه ، وقيد وسجن بالزردخاناه ؛ وخُلع على لؤلؤ عوضه فى شد الدواوين ، وخُلع على شمس الدين إبراهيم ابن قروينة ، ورسم لهما أن يمتثلا مايرسم به النشو ، ولا يعملا شيئاً إلا بمشورته ، ونزلا . فأول ما بدأ به لؤلؤ أن أوقع الحوطة على موجود الأكُز ، وقبض على مباشريه ؛ وعاقب موسى ابن التاج إسحاق ، ونوّع عذابه تقرّباً لخاطر النشو ، وعاقب قرموط وطالبه بحمل المال .

وفى ثانى عشر ذى القعدة استقر علاء الدين كُنْدُغدِى[٣] العمرى فى ولاية القلعة ، عوضاً عن بيبرس الأوحدى .

وفيها سقط (١٠٢ ا) طائر حمام بالميدان ، وعلى جناحه ورقة تضمنت الوقيعة فى النشو وأقاربه ، والقدح فى السلطان بأنه قد أخرب دولته . فغضب [السلطان] من ذلك غضباً شديداً ، وطلب النشو وأوقفه[٤] على الورقة ، وتنمّر عليه لكثرة ما يُشكى منه . فقال : "يا خوند ! الناس معذورون ! وحق رأسك لقد جاءنى خبر هذه الورقة ليلة كُتبت . وهذه

---

(١) فى ف "خرج" ، ولعل المقصود ماهنا بمعنى تحرّج ، أى تأثّم . انظر محيط المحيط .

(٢) الضمير عائد على الأكز .

(٣) فى ف "ايدغدى" ، وماهنا من ب (٤٤٧ ا) . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. P. 192) .

(٤) فى ف "اوقعه" .

فعلة العلم أبى شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت ، كتبها فى بيت الصفى كاتب الأمير قوصون ، وقد اجتمع هو وأقاربه ". وأخذ [النشو] يعرّف [السلطان] بما كان من أمر سعيد الدولة فى أيام بيبرس الجاشنكير ، وأغراه به حتى طلبه ، وسلّمه إلى الوالى علاء الدين على ابن [حسن] المروانى ، فعاقبه عقوبة (١٠٢ ب) مؤلمة . وطلب [السلطان] الأمير قوصون وعنّفه على فعل الصفى كاتبه ، فطلبه قوصون وهدّده ، فحلف بكل يمين على براءته مما رمى به . فتتبع النشو عدة من الكتاب وجماعة من الباعة ، وقبض عليهم بسبب أبى شاكر ، ونوّع العذاب عليهم بيد الوالى ، وخرّب دورهم وحرثها بالمحراث . وقبض [النشو] على الموفق هبة الله بن سعيد الدولة ، ثم أفرج عنه بعناية الأمير آقبغا عبد الواحد ؛ وعذّب ابن الأزرق ناظر الجهات .

واشتدّت وطأة النشو على الناس جميعاً ، وأوحش ما بينه و بين الأمراء كلهم ؛ وثَلَبَ أعراضهم عند السلطان ، حتى غيّره عليهم .

ثم رتّب [النشو] ضامن دار(١) الفاكهة فى أنْ وَقَفَ للسلطان ، وسأل أن يُسامح بما تأخر عليه ، فإن دار (١٠٣ ا) الفاكهة أُوقف حاله فيها ، من أجل أن الأعناب الواصلة من ناحية مَرصفا(٢) وغيرها عصرت خمراً بناحية شبرا ، فتعطّل ما كان يؤخذ(٣) منها للديوان . فطلب السلطان النشوَ ولؤلؤا ، وسألها عن ذلك وعن ناحية شبرا ، فقالا : "هى للأمير بشتاك ، وديوانه [إبراهيم(٤)] جمال الكفاة هو الذى يعصر فيها . فرُسم للوالى ولؤلؤ أن يكسرا جميع ما بشبرا من جرار الخمر ، وإحضارِ مَن هى عنده ؛ فطلب لؤلؤ أستادار بشتاك وأخرق به ، فشقّ ذلك على بشتاك وشكاه للسلطان ، فلم يلتفت إلى شكواه ، وقال : "أستادارك وديوانك يعصران الخمر ويتجوّهان(٥) بك ؟" ، ونحو هذا . ومضى الوالى

(١) تقدم التعريف بهذا الموضع فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، حاشية ٣) .

(٢) بغير ضبط فى ف ، وهى قرية بمركز بنها من مديرية القليوبية . (مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٥ ، ص ٣٩) .

(٣) فى ف "ما كان يأخذ منها الديوان" ، وما هنا من ب (٤٤٧ ب) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٧٩) .

(٥) فى ف "ويتحوها" ، ولعل المقصود بذلك أن أستادار الأمير بشتاك وديوانه كانا يحتميان بمخدومهما .

ولؤلؤ إلى شبرا ، وكسرا (١٠٣ ب) فيها اثنتين وعشرين ألف جرة خمر ، ووُجدت جرار كثيرة عليها ختم المخلص أخى النشو ، ووُجد له أيضاً قَنْد وستمائة جرة فيها خمر عتيق ؛ وكان معهم أستادار[١] الأمير بشتاك ، فاشتدّ عليهم واستطال ، فَدَارَيا الحال حتى بلّغا السلطان ما أرضاه ، وسكت عن ذلك .

ثم نَدَب النشوُ بكتوتَ من مماليك الخازن — وهو يومئذ شاد شونة الأمير بشتاك — لمرافعة إسماعيل أستادار بشتاك و [إبراهيم] [٢] جمال الكفاة ديوانه ؛ فخلا [بكتوت] ببشتاك وعرّفه أن المذكورين أخذا من الخصوص [٣] خمسة آلاف أردب ، ومبلغ خمسين ألف درهم ، وأخذا من الشونة [٤] مائة ألف درهم عندما رسم السلطان ببيع الأردب (١١٠٤) بثلاثين درهما ، فباعوه بستين و بسبعين درهما ؛ وذكر له أشياء من هذا النوع . فانفعل له بشتاك و بلّغ السلطان ذلك ، وأحضر بكتوت معه ؛ فطلب [السلطان] جمالَ الكفاة وإسماعيل ، وطلب النشو أيضاً وذكر له ما قال بكتوت ، وأثنى عليه وشكره ؛ فاشتدّ بأسه ، وأخذ يجبه [٥] مباشرى بشتاك بما رماهم به . فثبت جمال الكفاة لمحاققته ، وكان مقداما طلق العبارة ، وقال للسلطان : "أنا المطلوب بكل مايقوله هذا" . فبدأ النشو يذكر من أوراق المرافعة ما يتعلق بالخصوص ، فأجاب بأن "الذى تولى قبضها الأستادار ومماليكه مع مباشرى الناحية ؛ وهذه أوراقهم مشمولة بخطوط العدول ، (١٠٤ ب) والمقبوض منها أزيد مما كان يقبض فى أيام الأمير بكتمر الساقى بكذا وكذا" . ثم ذكر [جمال الكفاة] حديث مبيع الشونة ؛ فقال : "منذ باشرت عند الأمير ما نزلت إلى الشونة ، والذى أبيع منها كذا وكذا أردب ، بحضور شاهد ديوان الأمير ، ومعه شاهدا إضافة وأربعة أمناء وسماسرة من جهة المحتسب . والسلطان يحضرهم و يكشف من دفاترهم عما قلته ، فإن وجده بخلاف ماقلته كان فى جهتى ، وكان جزائى الشنق" . فلما فَلَج [٦] [جمال الكفاة]

(١) فى ف "وكان معهم استادار الامير بشتك فاشتد عليهم واستطال ، فداروا الحال حتى بلغوا السلطان" ، وقد أصلحت العبارة كلها بصيغة المثنى لتستقيم مع سائر الجملة .

(٢) انظر الصفحة السابقة .

(٣) تقدّم التعريف بهذه القرية فى ص ١٥٣ ، حاشية ٦ .

(٤) فى ف "النشونه" .

(٥) فى ف "يحبه" ، بغير نقط البتة .

(٦) فلج فلان ظفر بما طلب واستظهر على خصمه . (محيط المحيط) .

بالحجة ، قال بكتوت : "ياخوند ! هذا يعصر أربعة آلاف جرة خمر فى شبرا". فنهره السلطان وقال له : "إيش صح من كلامك حتى يصح هذا ؟"، وأمر به فأخرج ؛ وعرّف [1] بشتاك (١٠٥ ا) بأن النشو قد ندبه لذلك ، فأسرّها فى نفسه .

فالتفت النشو بعد ذلك إلى جهة الأمير آقبغا عبد الواحد ، ونمّ عليه للسلطان بأن مُعَامِل [2] ناحيتى أَبْيَار [3] والنَّحْرَاوية [4] قد انكسر عليه مال نحو ثمانين ألف درهم ، من جهة أن الأمير آقبغا صار يأخذ من قرازى ناحية طوخ مزيد [5] التى فى إقطاعه عن التفاصيل التى تعمل بها ما كان يؤخذ عليها إذا حملت إلى أبيار والنحراوية ، وأنه عمل ختما باسمه بدل ختم السلطان يختم به التفاصيل المذكورة ؛ وذكر له عنه أشياء تشبه هذا، وأحضر بالحسام العلائى شاد أَبْيَار والنحراوية ليحاقق آقبغا . فأمر السلطان بإحضار آقبغا وأغلظ له ، وأمر الشاد بمحاققته ، فجبهه بما رماه به النشو واستطال عليه ، فخاف (١٠٥ ب) آقبغا ولم يأت بعذر يقبل ؛ فطرده السلطان عنه ، وأخذ يضع منه والأمير بشتاك يسدّ خلله حتى كفّ عن القبض عليه . فشقّ ذلك على الخاصكية ، ووقعوا فى النشو ، وقد علموا أن ذلك من أفعاله .

وفيها قدم كتاب الأمير تنكز نائب الشام يشكو من الأمير أيتمش نائب صفد ، من أجل أنه ما يمتثل أمره ، ويستبد بغير مراجعته ؛ فأجيب بمراعاته وإكرامه . فلم تطل

---

(١) فى ف "وعوقب" ، وما هنا من ب (٤٤٨ ا) .

(٢) المعامل عامل النواحى والجهات التابعة لديوان من دواوين السلطان . (المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٢ ، حاشية ٣) .

(٣) بغير ضبط فى ف ، وقد ذكر ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠٨) أنها كانت قرية بجزيرة بنى نصر ، وهى الآن بلدة على الشاطئ الشرقى لفرع رشيد ، وتتبع مركز كفر الزيات من مديرية الغربية . (فهرس مواقع الأمكنة) .

(٤) فى ف " النحريرية" أكثر من مرة بهذه الصفحة ، وما هنا من مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ١٧ ، ص ١٥) ، حيث ورد أن الأمير سنقر نقيب الجيوش فى عهد السلطان الناصر محمد هو الذى أنشأ هذه البلدة قرب أبيار ، ثم أخذها منه السلطان وسماها المحمودية ، وهى تابعة لمركز كفر الزيات من مديرية الغربية .

(٥) فى ف " طوخ بن مزيد" ، وما هنا من مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٦٢) . وهى قرية تابعة لمركز طنطا بمديرية الغربية .

مدة أيتمش بعد ذلك سوى اثنين وثلاثين يوماً ومات ؛ فخلع على الأمير طَشْتَمُر الساقى ، واستقرّ فى نيابة صفد ، وزيد على إقطاع النيابة ، وأنعم على ولديه بإمرتين .

و [فيها] خلع على الأمير طيبغا حاجى ، واستقرّ فى نيابة غزة عوضاً عن جَرِكْتَمُر فى سابع عشرى ذى الحجة ؛ ونُقل جركتمر (١٠٦) إلى نيابة حمص .

و[فيها] أخرج الأكُز على إمرة طبلخاناه بدمشق ، فى يوم الثلاثاء حادى عشرى ذى القعدة ؛ فكانت مدة اعتقاله شهراً ونصف [شهر] .

و [فيها] عُزل الجمال ابن الأثير من كتابة السرّ بدمشق ، وطُلب إلى القاهرة ؛ واستقرّ عوضه علم الدين محمد بن القطب .

وفى ثالث عشر ذى القعدة نُقل الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان من سكنه بمناظر الكبش إلى قلعة الجبل ، وأنزل حيث كان أبوه الحاكم نازلا ؛ فسَكن برج السباع دائماً بعياله ، ورُسم على الباب جاندار بالنوبة ؛ وسَكَن ابن عمه إبراهيم فى برج بجواره ومعه عياله ، ورُسم عليه جاندار آخر ؛ ومُنعا من الاجتماع بالناس (١) .

وفى ثالث عشرى (١٠٦ب) ذى القعدة استقرّ عز الدين أيبك الحسامى البريدى أحد مقدمى الحلقة فى ولاية قطيا ، عوضاً عن الأمير [علاء الدين] أَلْطِبَرْس (٢) [الدمشقى] الزمرّدى ؛ واستقرّ أَلْطِبَرْس (٣) من جملة أمراء العشرات .

وفى أول ذى الحجة قدم الملك الأفضل صاحب حماة ، [وحصل (٤) من الاحتفال به أكثر من كل مرة] .

وفى ثالثه استقرّ الشيخ محمد القدسى فى مشيخة خانكاه الأمير بشتاك ، وعُملت فيها وليمة عند فراغ بنائها .

(١) جاء فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١١٥) أن السلطان الناصر فعل ذلك مع الخليفة "لأمر قيل" ، وقد شرح المقريزى فيما يلى هنا ، ص ٤١٦ — ٤١٧ ، ذلك "الأمر" كله ، كما أورد أخبار هذا الخليفة العباسى وأهله فى تفصيل يغنى عما صارت إليه الخلافة فى ذلك العهد .

(٢) فى ف "الطيبرس" ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 221) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٣) فى ف "الطيبرسى" ، انظر الحاشية السابقة .

(٤) ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 192) .

وفى يوم عيد النحر أقيم على مملكة العراق محمد[(١)] بن يُلْقُطْلُو بن تيمور بن عنبرجى ابن منكوتمر بن هولاكو ، وقام بأمره الشيخ حسن [بك الكبير] ، فحاربه الملك موسى فى رابع عشره ؛ فانهزم موسى بعدما قُتل بينهما خلائق ، وقُتل على بادشاه[(٢)] مدبر دولة موسى ؛ وكانت هذه الوقعة قريباً من توريز [عند بلدة[(٣)] ناوَشْهر] على [جبل] الأداغ .

وفيها (١٠٧ ا) استقرّ الأمير بكتاش فى نقابة الجيش ، بعد وفاة صاروجا .

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعاً .

ومات فيها من الأعيان القان بوسعيد بن القان محمد خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو المغلى ملك التتار ، صاحب العراق والجزيرة وآذربيجان وخراسان والروم ، فى ربيع الآخر بآذربيجان ، وقد أناف على الثلاثين ؛ وكانت دولته عشرين سنة ؛ كان جلوسه على التخت فى أول جمادى الأولى سنة سبع عشرة بمدينة السلطانية ، وعمره إحدى عشرة سنة ؛ وكان جميلا كريماً ، يكتب الخط المنسوب ، ويجيد ضرب العود ، وصنّف مذاهب فى النغم ، (١٠٧ ب) وأبطل عدة مكوس ، وأراق الخمور ومنع من شربها ، وهدم كنائس بغداد ، وورّث ذوى الأرحام ، فإنه كان حنفيا ؛ ولم تقم بعده للمغل قائمة . [ومات[(٤)] أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف المرادى القرطبى العشّاب ، وزير أبى يحيى زكريا اللحيانى متملك تونس ، بالإسكندرية فى شهر ربيع الأول ؛ وقدبرع فى النحو ، وحدّث] . و[توفى[(٥)] عز الدين] أحمد بن محمد [بن أحمد] القلانسى ، محتسب دمشق بها . و [مات] الأمير

---

(١) فى ف " محمود بن يلقطلو بن العنبرجى بن الجى هلاون اقام بامرة الشيخ حسن " ، وقد صححت الأسماء من (Zambaur : Op. Cit. p. 245) . وكان هذا الملك أحد الذين أبرزتهم حوادث التنافس والفوضى التى اضطرمت بها دولة إيلخانات فارس بعد وفاة أبى سعيد ، على أن قيام محمد هذا فى تلك الدولة خلال هذه المدة لم يبشر باستقرار الأمور البتة ، إذ قام فى وجهه سلفه الملك موسى وحاربه كما بالمتن ، ثم فرّ موسى هذا إلى بلاد الأويراتية والتجأ بها ، وشارك فيما وقع بعد ذلك من حروب بين المتنافسين على عرش إيلخانات فارس كما سيلى انظر . (Browne : Op. Cit. III. p. 59) ، وكذلك (Howorth : Op. Cit. III. p. 638) .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٣٦٧ ، حاشية ٢ .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة (Browne : Op. Cit. III. p. 59) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٤٩ ا) فقط ، وقد قوبل وصحح على الوارد بصدد هذه الوفاة فى ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢) .

(٥) ما بين الحاصرتين فى هذه الوفاة وارد فى ب (٤٤٩ ا) فقط . انظر أيضا ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١١٢) .

شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن برق ، والى دمشق بها . و[توفى] عماد الدين إسماعيل بن محمد بن الصاحب فتح الدين عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن القيسرانى ، كاتب الدست بقلعة الجبل ، ثم كاتب السرّ بحلب ، فى ذى القعدة ؛ ومولده سنة إحدى وسبعين وستمائة[(١)] . و[مات] الأمير جمال الدين آقوش الأشرفى — المعروف بنائب الكرك — مسجوناً بالإسكندرية ، فى يوم الأحد سابع جمادى الأولى . و[مات] الأمير أيتمش المحمدى (١٠٨ ا) نائب صفد ، فى ليلة الجمعة سادس عشر ذى القعدة . و[مات] الأمير بلبان الحسامى والى دمياط — الذى كان والى القاهرة ، وهو أخو بدر الدين المحسنى — ، فى نصف شهر رمضان ، وهو فى الاعتقال . و[مات] الأمير علاء الدين [الشيخ] على التترى مملوك سلّار ، فى[يوم الخميس][(٢)] خامس ربيع الآخر . و[مات] نقيب الجيش الأمير شهاب الدين أحمد بن صاروجا ، فجأة وهو فى الصيد ؛ فحمل إلى القاهرة ، ودفن يوم الثلاثاء . و[مات] الأمير سيف الدين ألِناق[(٣)] الناصرى ، [وهو] أحد [مقدّمى] الألوف ، فى ثامن عشرى شوال . و[توفى] الشيخ سيف الدين عبد اللطيف بلبان بن عبدالله البيسرى شيخ زاوية أبى السعود ، ليلة الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر؛ وكان يلى مشيخة (١٠٨ ب) زاوية أبى السعود ، ثم عُزل عنها ؛ وهو أحد مماليك الأمير بدر الدين بيسرى[(٤)] [الشمسى الصالحى] ، فلما قُبض على بيسرى أقام [الشيخ سيف الدين] بهذه الزاوية مدة خمس وخمسين سنة . و[توفى] علاء الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الوهاب بن الجوجرى ناظر الخزانة ، فى تاسع المحرم . [وتوفى] أمين الدين عبد المحسن ابن أحمد بن محمد بن على بن محمود بن أحمد بن الصابونى بمصر ، وقد بلغ ثمانين سنة ؛ وانفرد برواية أشياء . و[توفى] شيخ الكتابة عماد الدين محمد بن العفيف محمد بن الحسن ، بالقاهرة عن إحدى وثمانين سنة . و[توفى] تقى الدين سليمان بن موسى بن بهرام

---

(١) فى ف "سبعمايه" .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٤٩ ب) .

(٣) فى ف " الباق " . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 29) .

(٤) فى ف "بيبرس" ، وهو خطأ تصححه النسبة الواردة بالسطر الذى قبل السابق ، وورود اسم بيسرى نفسه بالجملة التالية ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 16, etc) .

السمهودى[١]، الفقيه الشافعى الفرضى[٢] العروضى الأديب، عن ثمانين سنة بناحية سمهود[٣]. و[مات] الأمير سنقر النورى (١٠٩ا) نائب بَهَسْنا، وترك اثنين وعشرين ذكراً وأنثى وستّين سرية. و[توفى] الشيخ الصالح المعمَّر الرُّحْلة شمس الدين محمد بن المحدّث محب الدين محمد بن ممدود بن جامع البَنْدَنيجِى[٤] البغدادى، فى سابع المحرم بدمشق، عن اثنتين وتسعين سنة. و[مات] علم الدين قيصر العلائى، فى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة. وقُتل أرباكاؤن سلطان العراق وآذربيجان والروم؛ وكان القان بوسعيد لما مات أقام الوزيرُ غياث الدين محمدَ أرباكاؤنَ هذا، لأنه من ذرية جنكزخان، و[قد] قُتل أبوه ونشأ فى غمار الناس؛ فقَتل [أرباكاؤنُ] بغدادَ[٥] خاتون، وجبى الأموال، وقصد أن يأخذ بلاد الشام، فهلك دون ذلك بعد شهيرات[٦] من جلوسه على التخت؛ وكان (١٠٩ ب) يُتَّهم بأنه كافر؛ وأقيم بعده موسى بن [على[٧] بن] بيدو بن طوغاى بن هولاكو.

***

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة. المحرم أوله السبت. فى سابعه رسم بنيابة صفد

---

(١) فى ف "السمنودى". انظر ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٦٤)، والأدفوى (الطالع السعيد، ص ١٣٣).

(٢) الفرضى — والفريض أيضا — العارف بالفرائض. (قاموس المحيط).

(٣) فى ف "سمنود". انظر حاشية ١ بهذه الصفحة.

(٤) فى ف "البدسجى" بغير ضبط، والنسبة إلى بلدة البندنيجين من أعمال بغداد. (ياقوت : معجم البلدان ج ١، ص ٧٤٥).

(٥) فى ف "فقتل الخاتون ببغداد" وهو خطأ صحيحه ما هنا. وكانت الأميرة بغداد خاتون ابنة للأمير جوبان، وهى إحدى النساء اللائى أثرن فى مجرى حوادث هذا العهد من تاريخ دولة إيلخانات فارس، فقد تزوجها الشيخ حسن بك الجلايرى الكبير سنة ٧٢٣ هـ (١٣٢٣ م)، ثم شغف السلطان أبو سعيد بجمالها فحمل الشيخ حسن على طلاقها، وتزوجها هو سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٥ م)؛ وتعوض الشيخ حسن عنها بزواجه من دلشاد خاتون، إحدى زوجات أبى سعيد، بعد وفاته بقليل. ولقد اتهمت بغداد خاتون بدس السم لأبى سعيد، أى أنها كانت السبب فى وفاته، وبناء على هذه التهمة أوحى أرباكاؤن إلى من قتلها خفية؛ على أن السبب الذى حدا بالملك أرباكاؤن إلى هذه القتلة أنها لم توافق على توليته، بدليل أن تهمة السم التى وجهت إليها جاءت بعد أن استفاضت أخبار مخالفتها لقيامه فى الإيلخانية (Browne : Op. Cit. III. p, 171; Howorth : Op. Cit. III. p, 634).

(٦) كذا فى ف، وكذلك فى ب (٤٤٩ ب).

(٧) انظر ما سبق، ص ٣٩٨.

الأمير طشتمر البدرى أحد مقدمى الألوف ، عوضاً عن أيتمش المحمدى ؛ وتوجه ومعه طاجار الدوادار فى ثالث عشره .

وفى ثانى عشره قدم الخبر بالواقعة التى كانت قريب توريز على ما تقدّم[1] ذكره . ثم قدم فى سابع عشره مُضَر بن خضر رسول الشيخ حسن [بك الكبير[2]] بن أمير حسين ، وهو ابن أخت[3] غازان ، وهو القائم بأمر محمد[4] [بن يلقطلو] بن عنبرجى[5] ؛ فخلع [عليه] ، وسافر فى ثالث صفر .

وفى سابع عشر المحرم عُقِد عَقْد الأمير (١١١٠) أبى بكر ابن السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر أمير مجلس ، بدار الأمير قوصون .

وفى يوم الخميس عشريه — وهو يوم النوروز — كان وفاء النيل . وانتهت الزيادة فى سابع عشر بَابَه إلى سبعة عشر ذراعاً وست عشرة إصبعاً .

وفى سادس عشرى المحرم قدم الأمير [سيف الدين] طَيْنال نائب طرابلس ، [وأخلع عليه عند وصوله[6]] ، وسافر سلخ صفر ؛ [فكانت إقامته ثلاثة وثلاثين يوماً] .

وفيها كُتب بأخباز[7] آل مهنا وآل فضل لعدة من أمراء الشام والأمير تنكز نائب الشام ، وذلك[8] من أجل أن العرب قطعوا الطريق على قافلة وأخذوا ما فيها . فلما أُلزم آل

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٤٠٧ .

(٢) تقدمت الإشارة إلى بعض أخبار حسن بك الكبير هذا فى ص ٣١٠ ، ٣٩٨ ، وربما كان من الضرورى هنا إيراد اسمه كاملا ؛ فهو الشيخ حسن الكبير (بزرج) بن حسين بن آقبغا بن أيدكين ، وقد تزوج أبوه حسين من ابنة إيلخان أرغون ، وهى أخت غازان كما هنا ، ولذا انتسب الشيخ حسن إلى بيت هولاكو ، وعرف بلقب إيلخانى ، كما عرف بالجلائرى نسبة إلى قبيلة جلائر التى ينتمى لها آباؤه . (Browne : Op. Cit. III. p. 171) ، انظر أيضاً (Howorth : Op. Cit. III. p. 654) ، وكذلك (Ency. Isl. Art. Hasan Buzrug) .

(٣) فى ف " اخته قازن " . انظر الحاشية السابقة .

(٤) فى ف "محمود" . انظر ما سبق ، ص ٤٠٤ ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٥) فى ف " العنبرجى " . انظر ما سبق ، ص ٤٠٤ ، وسيدأب الناشر على تصحيح هذا الاسم كما بالمتن هنا فيما يلى بغير تعليق .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 193) .

(٧) فى ف "اخبار" .

(٨) فى ف " ولشطى من اجل ان العرب قطعوا الطريق " ، وقد حذف اللفظ الأول لعدم استطاعة الناشر تحقيقه ، وأبدل به لفظ " ذلك " بالمتن لتستقيم العبارة .

مهنا بذلك اعتذروا بأن الذى فعل هـذا (١١٠ ب) عرب زُبَيْد[١] ، وليسوا من عرب الطاعة .

وفيها كانت واقعة الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبّان ، فى [شهر] المحرم ؛ و [ذلك أنه] نُسبت إليه عظائم : منها أنه قال فى ميعاده بجامع مصر إن السجود للصنم غير محرّم ، وأنه يفضل الشيخ ياقوت العرش شيخه على بعض الصحابة ، وشُهِد عليه بها . واستؤذن السلطان عليه فمَكَّن منه ، فترامى على الأمير جنكلى بن البابا ، والأمير الحاج آل ملك ، والأمير أيدمر الخطيرى ، حتى حُكم بتوبته ؛ ومُنع من الوعظ ، [هو] والشيخ زكى الدين إبراهيم بن معضاد الجعبرى ، وجماعة من الوعاظ .

وفيه قدم ركب الحاج على العادة ، وأخبروا بأن الشريف رميثة كان قد أقام (١١١ ا) ببطن مَرّ[٢] ، وأقام [أخوه] الشريف عطيفة بمكة ، فتسلّط ولده[٣] مبارك على المجاورين ، وأخذ مال التجار ، فركب إليه رميثة وحاربه ، فقتل بينهم جماعة ، وفرّ رميثة ؛ وذلك فى ثامن عشرى رمضان من [السنة] الماضية .

وفيها قُبض على الأمير بهادر البدرى بدمشق ، وضُرب وسُجن ، لجرأته على الأمير قطلوبغا الفخرى وعلى الأمير تنكز نائب الشام وإفحاشه لهما .

وفيها أجدبت زراعة الفول ، فألزم النشو شماسرة الغـلال ألا يباع الفول إلا للسلطان فقط ، فتضرّر أرباب الدواليب[٤] .

وفيها صادر النشو جماعة من أرباب الدواليب بالوجه القبلى ، وأخذ (١١١ ب) من محتسب[٥] البهنسا وأخيه مائتى ألف درهم وألفى أردب غلة . فرافع ابن زعازع من أمراء

(١) بغير ضبط فى ف ، وقد شرح القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١٣ — ٢١٤) عرب زبيد بأنهم البطن الخامسة من بطون العرب الضاربة بالشام خارجا عن نطاق النيابات المملوكية ، وأنهم ثلاث فرق : زبيد الغوطة — أو المرج — حول دمشق ، وزبيد صرخد — أو حوران — ، وزبيد الأحلاف حول الرحبة ؛ والراجح أن الفرقة الثالثة هى المقصودة هنا ، إذ كانت ديارهم بجوار ديار آل فضل .

(٢) فى ف "بطن مرو" ، وما هنا من القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٥٩ ، ٢٧٤).

(٣) الضمير عائد على الشريف عطيفة فيما يظهر .

(٤) المقصود بالدواليب جميع الآلات العجلية المستعملة فى الزراعة والصناعة ، وقد تقدم شرح هذا اللفظ فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٦٤ ، حاشية ١) ، فلعل المعنى المراد هنا أن أرباب الدواليب تضرّرت من منع بيع الفول لأن عماد الدواليب على الأبقار ، وعماد الأبقار فى الأكل هو الفول .

(٥) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤٥٠ ب) ، ويلاحظ أن قيام محتسب لعمل البهنسا يوجب =

الصعيد أولاد قمر الدولة عند النشو ، فاقتضى رأيه مصادرة ابن زعازع لكثرة ماله ، وأوقع الحوطة على موجوده ؛ وكُتب إلى متولى البهنسا ليعاقبه أشد العقوبة . فلف[1] [والى البهنسا] على أصابعه الخروق وغمسها فى القطران ، وأشعل فيها النار ، ثم عرّاه ولوّحه على النار ، حتى أخَذ منه ماقيمته ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ؛ وَوَجد له أربعمائة فرجية بفرو، ومائة وعشرين جارية ، وستين عبداً ؛ ثم كَتب عليه حجة بعد ذلك بمبلغ مائة ألف درهم ؛ واحتج النشو لمصادرته بأنه وجد كنزا .

(١١٢) و[فيها] كُتب بطلب الأمير سنجر الحمصى .

وفيها ارتفع سعر اللحم لقلة جلب الأغنام حتى أبيع الرطل بدرهم وربع ، وسبب ذلك أن النشو كان يأخذ الغنم بنصف قيمتها ؛ فكُتب إلى نائب الشام ونائب حلب بجلب الأغنام . ثم إن النشو استجدّ للسواقى التى بالقلعة أبقاراً ، وأحضر[2] أبقارها التى قد ضعفت وعجزت مع الأبقار التى ضعفت بالدواليب ، وَطَرحها على التجار والباعة بقياسر القاهرة ومصر وأسواقها ، حتى لم يبق صاحب حانوت حتى خصّه منها شىء على قدر حاله ، فبلغ كل رطل منها درهمين وثُلثا ؛ ورُمِيت [تلك الأبقار] على الطواحين والحمامات كل رأس بمائة درهم ، ولا تكاد تبلغ عشرين درهما ، (١١٢ ب) فَبُلِى الناس من ذلك بمشقة وخسارة كبيرة .

واتفق أن النشو أغرى السلطان بموسى بن التاج إسحاق ، حتى رسم بعقوبته إلى أن يموت ؛ فضُرِب زيادة على مائتين وخمسين شِيْباً[3] حتى سقط كالميت ؛ ثم ضُرب من الغد أشدّ من ذلك ، وحُمل على أنه قد مات ؛ فسُرّ [النشو ؟] بذلك سروراً زائداً ، [وذهب ليرى[4] موسى وهو ميت] ، فوجد به حركة . وفى أثناء ذلك طلب السلطانُ الأميرَ

= الالتفات ، ويدعو إلى الاعتقاد بأنه كان لكل عمل من أعمال الوجهين القبلى والبحرى — أو لبعضها على الأقل — محتسب خاص به ؛ وهذا يكون جديداً ، إذ المعروف أنه كان بالديار المصرية ، حسبما أورد القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٧) ثلاثة محتسبين ، وهم محتسب القاهرة وله التصرف بالحكم بالقاهرة والوجه البحرى كله ، ومحتسب مصر (الفسطاط) وله التصرف بمصر والوجه القبلى بكماله ، ومحتسب الإسكندرية ونفوذه قاصر على ثغر الإسكندرية .

(١) فى ف "حتى لف" . (٢) فى ف "واحضروا" .

(٣) الشيب سير السوط ، أى الكرباج . (قاموس المحيط) .

(٤) أضاف الناشر ما بين الحاصرتين لتصبح بقية العبارة مفهومة .

لؤلؤا ، فأخبره بأن موسى قد بَدَأ يَئِنّ"(١) وبعد ساعة يموت ؛ فرَسم ألا يُضرب بعد ذلك ، فشقّ هذا على النشو(٢) .

وفى سابع عشرى صفر ابتدئ بهدم الطبقة الحسامية المجاورة لدار النيابة بالقاهرة ، و[كانت قد] عمرت سنة ثمان وثمانين وستمائة .

وفى رابع عشر ربيع الأول قدم حمزة رسول الملك (١١٣ ا) محمد(٣) [بن يُلْقطُلو] بن عنبرجى ، وصحبته عماد الدين السكرى نائب على بادشاه بالموصل ؛ فأدّوا رسالتهم وسافروا أول ربيع الآخر .

وفى ثامن عشر ربيع الأول سافر [الأفضل] صاحب حماة إلى محل ولايته بحماة ، [وكان قد حضر(٤) فى مستهل ذى الحجة من السنة الخالية] .

وفى تاسع عشريه وصلت رسل الملك موسى ، وسافروا فى نصف ربيع الآخر .

وفى سلخ ربيع الأول عُزل بدر الدين بن التركمانى عن الكشف بالوجه البحرى .

وفى ثالث ربيع الآخر قدم رسول ملك(٥) الحبشة .

وفى خامس عشره قدم الأمير سيف الدين أبو بكر البابيرى(٦) ، وخلع عليه بولاية القاهرة عوضاً عن ابن التركمانى .

وفى سادس عشره استقرّ نُكبَيْه(٧) البريدى (١١٣ ب) فى ولاية قطيا ، عوضاً عن أيبك الحسامى بإمرة عشرة .

وفى سلخ جمادى الأولى قدم [مُراد(٨) قُجا] رسول أزبك ملك الترك ، فأقام خمسة

---

(١) فى ف "اتتن" ، ولعل المقصود ما أثبت بالمتن .

(٢) تختلف ف عن نسخة ب من هنا إلى آخر ص ٤١١ فى ترتيب الأخبار والحوادث ، من غير أن يكون هناك خلاف جوهرى بينهما ، وقد حافظ الناشر على ترتيب نسخة ف باعتبارها أصلا للنشر .

(٣) فى ف "محمود" ، انظر ما سبق ، ص ٤٠٤ .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. P. 193).

(٥) كان ملك الحبشة تلك السنة جبرة مصقل ، وهو الذى تقدمت الإشارة إليه هنا فيما سبق (انظر ص ٢٧٠ ، حاشية ٢) ، وربما كان سبب قدوم رسله هذه السنة مثل السبب الذى جاءوا من أجله قبلا . انظر (Budge : History Of Abyssinia. P. 288, et seq.) .

(٦) بغير نقط أو ضبط فى ف . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٧٠) ، حيث ورد أن هذا الأمير كان كردى الأصل .

(٧) كذا بضبطه فى ف . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. P. 205) .

(٨) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها من (Zetterstéen: Op. Cit. P. 193) .

أشهر ونصف [شهر] ، وسافر فى رابع عشر ذى القعدة ؛ [ومن ثالث ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبعمائة لم يحضر من عند أزبك إلا هذا] .

وفى سادس عشرى جمادى الآخرة استقرّ بهاء الدين قراقوش الحبيشى فى ولاية البهنساوية ، عوضاً عن [على] بن [حسن] المروانى .

وفيها هُدمت دار النيابة بالقلعة ، [وهى] التى عمرت فى الأيام المنصورية قلاون ، سنة سبع وثمانين وستمائة ؛ وأزيل الشباك الذى كان يجلس فيه طرنطاى النائب ؛ وذلك فى يوم الأحد ثامن ربيع الآخر .

وفيها أغرى النشو السلطان بالصفى كاتب (١١٤ ا) الأمير قوصون ، بأنه يظهر فى جهته للديوان عما كان يحضر إليه من أصناف المتجر أيام مباشرته بديوان الأمير تجليس ، [وهو] جملة كثيرة ، وأن بعض الكتّاب يحاققه على ذلك . فطلب السلطانُ الأميرَ قوصون وأغاظ فى مخاطبته ، وقال : "كاتبك يأكل مالى وحقوقى ، ويتجوّه[1] بك" ، وذكر له ما قال عنه النشو ؛ فتخلى عنه [قوصون] ولم يساعده . فأمر السلطان النشو ولؤلؤاً والمستوفين أن يمضوا إلى عند الأمير قوصون ، ومعهم الرجل المحاقق للصفى ، ويطالعوا السلطان بما يظهر ؛ فاجتمعوا لذلك ، وقام المرافع للصفى فلم يَظهر لما ادّعاه صحة .

وفى يوم الثلاثاء ثانى رجب قدم الأمير تنكز نائب الشام (١١٤ ب) والسلطان بسرياقوس ، فطلع وهو معه فى يومه إلى القلعة ، وهى القدمة الحادية عشرة ؛ وسافر فى ثانى عشريه .

وفى رابع عشريه عُزل شهاب الدين [بن][2] الأقفهسى وعلاء الدين البرلسى عن نظر الدولة ؛ وولى شمس الدين بن قروينة[3] النظر بمفرده ، وكان بطالاً ؛ ورُسم له ألا يتصرّف فى شىء إلا بعد مشاورة شرف الدين النشو ناظر الخاص .

وفى تاسع عشريه استقرّ علاء الدين بن الكورانى فى ولاية الأشمونين ، عوضاً عن أبى بكر الردّادى ، نقل إليها من ولاية أشموم الرمان[4] .

---

(١) انظر ما سبق هنا ، ص ٤٠٠ ، حاشية ٥ .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٥١ ا) فقط .

(٣) فى ف "قرونه" . انظر ما سبق ، ص ٢٤٨ ، حاشية ٣ .

(٤) هنا ينتهى ما بين ف ونسخة ب من خلاف فى ترتيب الحوادث . انظر ص ٤١٠ ، حاشية ٢ .

وفيها عدم فرو السنجاب ، فلم يُقدر على شيء منه لعدم جلبه . فأمر النشو بأخذ ما على التجار من الفرجيات (١١٥ ا) المفراة[١] ، فكبست حوانيت التجار والبيوت ، حتى[٢] أخذ ما على الفرجيات من السنجاب . فبلغ النشو وقوع التجار فيه ودعاؤهم عليه ، فسعى عند السلطان عليهم ، ونسب جماعة منهم إلى الربا فى المقارضات ، وأنهم جمعوا من ذلك ومن الفوائد على الأمراء شيئاً كثيراً ، وأن عنده أصناف الخشب والحديد وغيره ، واستأذنه فى بيعها عليهم . فأذن له [السلطان] ، فنزل وطلب تجار القاهرة ومصر وكثيراً من أرباب الأموال ، ووزّع عليهم من ألف دينار كل واحد إلى ثلاثة آلاف دينار ، [ليحضروا بها[٣] ويأخذوا عنها صنفاً من الأصناف ، فبلغت الجملة خمسين ألف دينار] ، عاقب عليها غير واحد بالمقارع حتى أخذها .

وقام عدة من الأمراء الأكابر فى حق جماعة [من التجار] ، فلم يسمع السلطان لأحد منهم قولا . وقامت (١١٥ ب) ست حدق وأم آنوك ابن السلطان فى رفع الخشب عن تاجر ألزمه النشو بألفى دينار ، وعرفتاه بظلم النشو ، وهو أن هذا الخشب قيمته [مبلغ] ألفى درهم . فطلب السلطانُ النشوَ وأنكر عليه ذلك وتجهّم له ، فانصرف على غير رضى . ثم ندب[٤] [النشو] رجلاً مضى إلى ذلك التاجر وسأله فى قرض مبلغ مال ، فأخذ التاجر فى الشكوى مما به من إلزامه بألفى دينار عن ثمن خشب طرحه عليه النشو ؛ فقال له الرجل : "أرنى الخشب فإنى محتاج إليه" ، فلما رآه أعجبه واشتراه منه بفائدة ألف درهم إلى شهر ؛ فامتلأ التاجر فرحاً ، وأشهد عليه بذلك . ومضى الرجل ليأتى بثمن الخشب ، فدخل على النشو وأخبره الخبر ، ودفع إليه نسخة (١١٦ ا) المبايعة ، فقام من فوره إلى السلطان وأعلمه أنه نزل ليرفع الخشب من حاصل التاجر فوجده قد باعه بفائدة ألف درهم . فطلب السلطانُ التاجر وسأله عما رماه عليه النشو ، فاغترّ البائس وأخذ يقول : "ظلمنى وأعطانى خشباً بألفى دينار يساوى ألفى درهم" . فقال له السلطان : "وأين الخشب ؟" قال : "بعته بالدين" ،

(١) فى ف "المفرية" .
(٢) فى ف "على اخذ" .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٥١ ب) فقط .
(٤) فى ف "وندب رجلا" ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح .

فقال النشو : " قل الصحيح فإن هذه معاقدتك ببيعه " ، فلم يجد بداً من الاعتراف . فخنق عليه السلطان ، وقال : " ويلك ! تقيم الغاثة[1] وأنت تبيع بضاعتى بفائدة ؟ " ؛ ثم أمر النشوَ بضربِه وأخذِ الألفى دينار منه مع مثلها ؛ وعظم النشو عند[2] [السلطان] . ثم عبر [السلطان] إلى نسائه وسبَّهن ، وعرَّفهن ما (١١٦ ب) جرى ، وقال : " مسكين النشو ! ما وجدت له أحداً يحبّه كونه ينصحنى ويحصّل مالى " .

وفيها ترافع يعقوب الأسلمى مستوفى الجهات والأمير بن المجاهدى والى دمياط ؛ فرسم بمصادرتهما ، فعوقبا عقوبة شديدة ، وغُرّما مالا جزيلا .

وفيها كثر ضبطُ الأمير علم الدين سنجر الجاولى لأوقاف المارستان[3] ، وتوقُّفه فيما يُصرف منه للصدقات . فأنكر السلطان عليه ذلك ، وقال له : " المارستان كله صدقة " ، ولم يقبل له عذراً .

وفيها امتنع ابن الأقفهسى ناظر الدولة من الكتابة على توقيع الضياء المحتسب ، وقد عُمل معلومه على الجوالى . فشقّ ذلك على السلطان ، وأمر الأمير طاجار الدوادار (١١٧ ا) أن يبطحه ويضربه ، ويقول له : " كيف يعلّم السلطان على شىء وتأبى أن تكتب عليه !! " ؛ فضربه ضرباً مؤلماً . وكان السلطان لا يتغاضى فى خرق حرمته ، ويعاقب[4] مَن فعل ذلك .

وفيها شكا المماليك السلطانية من تأخرِ كسوتهم ، فطلب السلطان النشو وألزمه بحمل كسوتهم من الغد ، ومعها مبلغ عشرين ألف دينار . فنزل [النشو] وألزم الطيبى ناظر المواريث بتحصيل خمسة آلاف دينار ، وبعث المقدّمين إلى الأسواق ، ففتحوا حوانيت التجار ، وأخذوا كسوة المماليك وحوائصهم وأخفافهم ونعالهم وغير ذلك ، وأخذوا مركباً لبعض

(١) كذا فى ف ، والمقصود أن التاجر استغاث مما حلّ به من ظلم النشو ، على أن لفظ الغاثة غلط لغة ، والصحيح الغوث والغواث والغياث أيضاً . (قاموس المحيط) .

(٢) فى ف " وعظم عنده النشو وعبر الى نسايه وسبهن " ، وقد عدلت العبارة وأضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) فى ف " وفيها كثر مضبط الامير علم الدين سنجر الجاولى الاوقاف المارستان " ، وما هنا من ب (٤٥١ ب) .

(٤) هنا وصف لبعض أخلاق السلطان الناصر .

الكارم فيه عدة بضائع طرحوها على الناس بثلاثة أمثال قيمتها . (١١٧ ب) وأحيط بتركة نجم الدين محمد الأسعردى — وقد مات وترك زوجة وابنة ابن — ، وأُخِذت كلها ؛ وأُخِذت وديعة من تركته لأولاد أيتام تحت حَجْره ، مبلغها نحو خمسين ألف درهم ، وأُنفِقت[1] فى يومها على المماليك والخدام . وفُتحت قيسارية جهاركس ، وأُخِذ منها مقاطع الشَّرب[2] برسم الكسوة .

فارتجت المدينـة بأهلها ، وترك كثير من التجار حوانيتهم وغيَّبوا ؛ فصارت مفتّحة والأعوان تنهب لأنفسها ما أرادت ، فلم يُرَ يومئذ بالقاهرة ومصر إلا باكٍ أو شاكٍ أو صائح أو نائح ؛ فكانا يومين شنيعين . وعوَّل أرباب الحوانيت على رفع ما فيها وخلوها ؛ فعرَّف (١١٨ ا) النشوُ السلطانَ ذلك ، فنودى : "من أغلق حانوته أُخذ ماله وشُنق" ، ففتحوها . ثم أخرج [النشو] من الأهراء عشرة آلاف أردب قمحاً ، وطرحها على [أصحاب] الطواحين والأبازرة[3] ، وقبض على ابن فخر السعداء ناظر قليوب ، وأخذ منه نحو ثمانين ألف درهم .

وفى جمادى الأولى استُدعى الضياء [بن خطيب[4] بيت الآبار] محتسب مصر ؛ وخُلع عليه واستقرّ فى حسبة القاهرة ، مضافا لما بيده من نظر الأوقاف ونظر المارستان ، عوضا عن نجم الدين محمد بن حسين [بن[5] على] الأسعردى . وكان الشهاب أحمد بن الحاج على الطباخ قد سعى فى حسبة القاهرة ، وقام معـه الأمير بشتاك والأمير قوصون والأمير (١١٨ ب) آقبغا عبد الواحد ؛ فلما ولّى السلطانُ الضياء رسم أن يستقرّ ابن الطباخ فى حسبة[6] الدخان على الطباخين والحلاويين ونحوهم ، وخُلع عليه ، وجلس فى

(١) فى ف "نفقت" .

(٢) الشرب — والجمع شرابى — قماش رفيع من الكتان ، ويظهر أنه كان يستعمل للعمائم فى معظم الأحيان . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وكذلك المقريزى (المواعظ والاعتبار — Wiet — ، ج ٤ ، ص ٨٢) .

(٣) كذا فى ف ، والراجح أن المقصود بهذا اللفظ تجار البذور المخصصة للتقاوى ، وهم يسمّون إلى الآن بهذا الاسم فى مصر .

(٤) ما بين الحاصرتين من ب (٤٥٢ ب) ، انظر أيضا ما سبق هنا ، ص ٣٩٤ ، سطر ١٩ .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق هنا ، ص ٣٩٤ . انظر أيضاً ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٧٧) .

(٦) كذا فى ف ، وفى ب (٤٥٢ ب) ، وليس بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى وظيفة بتلك =

دكة الحسبة ، وعَرَض أرباب الدخان . وألزم الضياء الحلاويين والفكاهين ألا يشعلوا سُرُجهم فى الليل بالزيت الحار ، وألزم حراس الحمامات بعمل فوط سابغة طويلة ، ورتّب القبانيين فى جهات معينة ، يجلس كل قبانى فى موضع من البلد .

وفيه قدم خليل[1] بن الطرفى من أمراء التركمان بناحية أبلستين ، وقدّم سبعمائة إكديش وعدة تحف ، وسأل أن يستقرّ فى نيابة الأبلستين (١١١٩) بألف فارس وعشرة أمراء ؛ فقبلت تقدمته وخُلع عليه ، وكُتب منشوره بذلك .

و [فيه] قدم من جهة [بدر الدين] لؤلؤ [الفندشى الحلبى[2] شاد الدواوين] ثلاثة آلاف رأس من الغنم الضأن ، فمشّت حال الدولة ، وصارت سببا للوقيعة بين لؤلؤ و بين النشو . وتحدّث [لؤلؤ] مع الأمير بشتاك أنه إن أسلم إليه النشو وحاشيته قام بأربعمائة ألف دينار منهم ، فقامت قيامة النشو ومازال بالسلطان حتى غيّره عليه . واتفق مع ذلك

= التسمية . إنما يتضح من عبارة المتن أن "حسبة الدخان" هذه كانت جزءاً من وظيفة الحسبة العامة ، وأن متوليها كان مختصاً بشؤون أصحاب الحرف التى تحتاج إلى الوقود ، كالطباخين والحلاويين وغيرهم من "أرباب الدخان" ، على حد الوارد بالمتن . ويظهر أن هؤلاء — ولا سيما الطباخين — كانوا يحدثون من الدخان كميات كثيفة توجب الأذى والمضايقة ، وتستلزم الضبط والمراقبة ؛ فقد ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٠٢) بصدد سوق الصنادقيين ، أنه كان بذلك السوق عدة طباخين لا يزال دخان كوانينهم منعقداً فى الجو لكثرته ، وأن شخصاً من معاصريه قد سمى هذا السوق لذلك السبب باسم "قطب دائرة الدخان" . هذا ويلاحظ أن تجزئة أعمال الحسبة كان أمراً معهوداً فى مصر فى عهد المماليك على الأقل ، فقد سبقت الإشارة هنا (ص ٤٠٨ ، حاشية ٥) إلى محتسب للبهنسا بالوجه القبلى ، وذكر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٢٩١) أن الشيخ أبا المعالى الدلاصى تولى حسبة الحسينية خارج القاهرة ، وظل على ولايتها حتى وفاته سنة ٧١٧ هـ ؛ وفى ابن حجر أيضاً (نفس المرجع ، ج ٤ ، ص ٦٨) أن الشيخ تاج الدين ابن السكرى تولى حسبة القلعة سنة ٧٤٠ هـ ، وأن الشيخ على بن حسن المروانى تولى حسبة الخبز أيام الغلاء فى أواخر عهد السلطان الناصر . (نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٤٠ — ٤١) . على أنه يظهر من عبارة المتن هنا بصدد حسبة الدخان أن متوليها لم يكن مستقلا بولايته عن المحتسب العام ، بل يبدو أن وظيفته كانت مقصورة على مراقبة أصحاب الحرف من حيث الدخان الذى ينبعث من وقودهم فقط ، وأما ما عدا ذلك من الشؤون فكان أمره للمحتسب العام ، بدليل ما أصدره المحتسب هنا من الأوامر للحلاويين — وهم من أرباب الدخان — بخصوص سرجهم فى الليل .

(١) انظر ما يلى من أخبار هذا الأمير ضمن حوادث سنة ٧٣٨ هـ .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق ، ص ٣٦٨ .

وصول سنجر الجمقى من حلب باستدعاء ، فأجلسه السلطان وعرض عليه شدّ الدواوين ، فقبّل الأرض وطلب الإعفاء منها ، وكان أميناً ناهضا ؛ فلم يزل السلطان به حتى خلع عليه ، واستقرّ (١١٩ ب) عوضا عن لؤلؤ فى رابع جمادى الآخرة . فأول مابدأ به [سنجر] أن قبض على لؤلؤ ، وأوقع الحوطة على بيته وألزامه ، وألزمه بالحمل ؛ وأُخِذت حواصله وهو يورد شيئاً بعد شىء .

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى ربيع الأول أُفرج عن الخليفة من سجنه بالقلعة ، فكانت مدة اعتقاله خمسة أشهر وسبعة أيام . ثم أُمِر به فأخرج إلى قوص ، ومعه أولاده وابن عمه ؛ وكُتب لوالى قوص أن يحتفظ بهم . وكان سبب ذلك أن السلطان لما نزل عن الملك فى سنة ثمان وسبعمائة ، وحصل الاجتماع على المظفر بيبرس وقلّده المستكفى [بالسلطنة] ، نقمها[١] عليه السلطان [الناصر] وأسرَّها له . (١٢٠ آ) ثم لما قام السلطان لاسترجاع ملكه ، جدّد المستكفى للمظفر الولاية ، ونُسبت فى السلطان أقوال إليه حَمَلَتْ السلطان على التحامل عليه . فلما عاد [السلطان] إلى الملك فى سنة تسع [وسبعمائة] أعرض عن المستكفى كل الإعراض ، ولم يزل يكدّر عليه المشارب حتى تركه فى برج بالقلعة ، فى بيته وحُرَمه وخاصته ؛ فقام الأمير قوصون فى أمره ، وتلطّف بالسلطان إلى أن أنزله إلى داره . ثم نُسِب إلى ابنه صَدَقة أنه تعلق ببعض خاصة السلطان ، وأن ذلك الغلام يتردّد إليه ، فنُفى[٢] الغلام . وبلغ السلطان أنه هو[٣] يكثر من اللهو فى داره التى عمرها على (١٢٠ ب) النيل بخط جزيرة الفيل ، وأن أحد الجدارية يقال له أبو شامة جميل الوجه ينقطع عنده ويتأخر عن الخدمة ؛ فقُبض على الجدار وضُرب ، ونُفى إلى صفد ؛ وضُرِب رجل من مؤذنى القلعة — اتهم أنه كان السفير بين الجدار وبين الخليفة — حتى مات ؛ واعتقل [الخليفة] كما تقدّم[٤] . ثم لما أُفرج عنه اتهم أنه كَتب على قصة رُفعت إليه "يُحمل مع غريمه إلى الشرع" ، فأحضره [السلطان]

(١) فى ف "وحصل الاجتماع على المظفر بيبرس فقلده المستكفى فنقمها" .
(٢) فى ف "فنع" ، وما هنا من ب (٤٥٣ آ) .
(٣) الضمير عائد على الخليفة ، انظر ما يلى بهذه الصفحة سطر ١٩ .
(٤) انظر ما سبق ، ص ٤٠٣ ، حاشية ١ .

إلى القلعة ليجتمع به بحضرة القضاة ، فخيّله قاضى القضاة جلال الدين القزوينى من حضوره أن يفرط منه كلام فى غضبه يصعب تداركه . فأعجب السلطان ذلك ، وأمر به أن يُخرج إلى قوص ؛ فسار صحبة (١٢١ ا) الأمير [سيف الدين] قُطْلُوتَمُر قُلّى(١) فى يوم السبت تاسع عشر ذى الحجة ، بجميع عياله وهم مائة شخص . وكان مرتبه فى كل شهر خمسة آلاف درهم ، فعُمل له بقوص ثلاثة آلاف درهم ؛ ثم استقرّ ألف درهم ، فاحتاج حتى باع(٢) نساؤه ثيابهنّ .

و [فيها] كُتِب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يحضر بأولاده وأهله لعمل عرس الأمير أبى بكر ابن السلطان على ابنة الأمير طُقُزْتَمُر ، واحتفل السلطان لقدومه احتفالا زائداً . وكانت عادته أن يصرف عليه إذا قدم مبلغ خمسين ألف دينار ، ما بين خلع وإنعام ؛ فرسم أن يكون فى هذه السنة [مبلغ] سبعين ألف دينار . ثم (١٢١ ب) خرج السلطان لملاقاته ، [و] نزل قصور سرياقوس حتى سقط الطائر بنزول الأمير تنكز إلى الصالحية ؛ فركب الأمير قوصون إلى لقائه ، وصحبته جميع ما يليق به من الأطعمة والمشروب ؛ فلما لقيه مدّ بين يديه سماطا جليلا إلى الغاية ، وأقبل به حتى دنا من سرياقوس . فركب السلطان إليه ومعه أولاده ، وقدَّمَ إليه الحاجب [ليخبره] بأنه لا يترجّل عن فرسه حتى يُرسم له ، وتقدّمت أولاد السلطان إليه أولا . فلما قرب [تنكز] نزل السلطان عن فرسه إلى الأرض على حين غفلة من الأمراء ، فألقوا أنفسهم جميعا عن خيولهم ؛ وألقى تنكز نفسه إلى الأرض ، (١٢٢ ا) وعدا فى مشيه جهد قدرته ، وهو يقبّل الأرض ويقوم إلى أن قبّل رجلى السلطان ، وقد دهش ؛ فقال له السلطان : " اركب فرسك " . وركب السلطان والأمراء وسايره وهو يحادثه ، فلم يُسمع عن ملك أنه فعل مع مملوكه من التعظيم ما فعله السلطان فى هذا اليوم مع الأمير تنكز . وكان العرس يوم الاثنين سلخ صفر ، والدخول ليلة الثلاثاء أول ربيع الأول .

وفى خامس عشر شعبان توجهت التجريدة إلى بلاد سيس وخراب مدينة آياس .

(١) فى ف " قطلقتمر " ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 144) .
(٢) فى ف " حتى باع نساه بثيابهن " ، وربما كان المقصود ما هنا بالمتن .

وسبب ذلك وصول رسول القان موسى وعلى بادشاه بطلب النجدة على الشيخ حسن[١] [الـكبير] (١٢٢ ب) وطغاى بن سونتاى[٢] وأولاد دمرداش، ليكون على بادشاه نائبَ السلطنة ببغداد. فاستشار [السلطان] نائب الشام والأمراء، واستقرّ الرأى على تجريد العسكر نحو سيس، فإن تكفور[٣] نَقَض الهدنة بقبضه على عدة مماليك و إرسالهم[٤] إلى مدينة آياس فلم يُعلم خبرهم، وقَطَع الحمل المقرر عليه؛ ويكون فى ذلك إجابة على بادشاه إلى ما قصده من نزول العسكر قريباً من الفرات، مع معرفة الشيخ حسن "بأنا لم نساعد على بادشاه عليه، و إنما بعثنا العسكر لغزو سيس". وعُمل مُقَدَّم العسكر الأمير أرقطاى ويكون فى الساقة، ويتقدّم الجاليش صحبة الأمير طوغاى الطباخى؛ ومعهما (١٢٣) من الأمراء قباتمر و بيدمر البدرى، وتمر الموساوى وقطلو بغا الطويل، وجركتمر ابن بهادر و بيبغا تتر حارس الطير؛ ومن أمراء الشام قطلوبغا الفخرى مقدم الجيش الشامى. وكُتب بخروج عسكر دمشق وحماة وحلب، وحمص وطرابلس إلى ناحية جعبر، فإذا وصل عسكر مصر إلى حلب عادت عساكر الشام ثم مضوا جميعاً إلى سيس، فيكون فى ذلك صدق ما وُعد به على بادشاه، و بلوغ الغرض من غزو سيس. فسار العسكر من القاهرة فى ثانى عشر شعبان، وتوجه الأمير تنكز إلى محل ولايته

وفيها (١٢٣ ب) أفرج عن طرنطاى المحمدى بعد ما أقام [فى السجن] سبعاً وعشرين سنة، وأُخرج إلى دمشق؛ وأُفرج عن علاء الدين بن هلال الدولة، وأخرج إلى الشام؛ وأفرج عن ابن المحسنى، وأخرج إلى طرابلس؛ وذلك فى يوم الجمعة ثانى رمضان. وكان[٥] [ابن هلال الدولة وابن المحسنى[٦]] معتقلين بالإسكندرية من ثالث عشر رجب

(١) فى ف "حسين". انظر ما سبق، ص ٤٠٧، حاشية ٢.

(٢) فى ف "سوتاى". انظر ما سبق، ص ٣٥٥.

(٣) تقدم شرح هذا اللفظ فى المقريزى (كتاب السلوك، ج ١، ص ٥٥١، حاشية ٣)، ومن معانيه الملك عند الأرمن وكان ملك أرمينية الصغرى تلك السنة ليو الخامس (Leo V) الذى تقدمت الإشارة إليه هنا، وقد امتد حكمه إلى سنة ١٣٤١ م (٧٤٢ هـ). انظر (Howorth : Op. Cit. III. P. 681).

(٤) فى ف "فارسلهم والى مدينة اياس وقطع الحمل المقرر عليه فلم يعلم خبرهم"، وقد عدّل ترتيب العبارة إلى ما بالمتن بعد مراجعة ب (٤٥٣ ب).

(٥) فى ف "وكانا".

(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٥٤ ا) فقط.

سنة ست وثلاثين ؛ فخلع [السلطان] عليهما ، ورسم أن يقيم ابن المحسنى مع أبيه(١) بطرابلس ، ويقيم ابن هلال الدولة بدمشق ؛ فسار [كل منهما] فى حادى عشريه صحبة بريدى ؛ وكان هذا كله بشفاعة نائب الشام .

و [فيها] كَتب سنجر الحمصى شاد الدواوين أوراقا بما على السلطان من القَرْض (١٢٤ ا) للتجار ، فبلغ ألفى ألف درهم ؛ فلم يعترف السلطان بها ، وقال : "هذه أخذها الدواوين على اسمى" ، ورسم أن توزع على المباشرين . فنزل بهم من ذلك شدّة ، وحملوا المبلغ شيئاً بعد شىء ؛ وكان هذا من فعلات النشو بهم .

وفيها رُسم بألا يُضرب أحد بالمقارع ، وطُردت الرسل والأعوان من باب شد الدواوين ؛ وكانوا قد كثرت مضرّتهم ، واشتدّ تسلّطهم على الناس ، وحصّلوا من ذلك مالا كبيراً . وكان هذا بسفارة سنجر الحمصى ، فكثر الثناء عليه .

وفيه توجه النشو ليتفقد ناحية فارس كور والمنزلة (١٢٤ ب) ودمياط ؛ فقبض على علاء الدين بن توتل(٢) والى أشموم ، وعَلَى آقبغا والى المحلة ، وصادرهما ؛ فأخذ من والى أشموم خمسين ألف درهم ، ومن والى المحلة مائة ألف درهم .

و [فيه] كَتب [النشو] بالحوطة على مباشرى المعاصر والدواليب ، وجميع أعمال الصعيد والفيوم . وألزم ابن المشَنْقص(٣) مدولب مطبخ الأمير قوصون بمائة ألف درهم ، واحتج بأنه يعمل الزغل فى السكر(٤) والعسل ؛ فخنق من ذلك قوصون ، وقام مع السلطان فى أمره حتى أفرج عنه . فشقّ [هذا] على النشو ، وأثبت محضراً على القاضى ابن مسكين (١٢٥ ا) بأن أبا الدواليب مات على غير الملة ، وأن ابنه لا يستحقّ إرثه ، بحكم أنه لبيت المال ، وطلع بالمحضر(٥) إلى السلطان . فطلب [السلطان] قوصون وأغلظ عليه ، فاحتدّ قوصون

(١) فى ف "امه" ، وما هنا من ب (٤٥٤ ا) .

(٢) فى ف "بوبل" ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. P. 201) .

(٣) كذا بضبطه فى ف .

(٤) هذا تعبير غريب ، إذ المعروف أن الزغل للنقود .

(٥) فى ف "فطلع بالمحضر لبيت المال السلطان" ، وما هنا من ب (٤٥٤ ب) .

وقال : "أنا ما أسلم مالى الذى عنده" . فوهب السلطان لقوصون ما أثبته النشو ، فأوقع الحوطة على جميع موجوده ، وأخذه .

وفيها وقفت العامة للسلطان فى الفار ضامن المعاملات ، وشكوا ما أحدثه على القصب والمقاثئ ، وصاحوا : "يكفينا النشو ، فلا تسلّط علينا الفار ! ! وتحبسه وتكتب على قيده مُخَلَّد ، وتضمن غيره بناقص عشرة آلاف درهم" . [فطلب السلطان(١) النشو وأنكر عليه ، ورسم لسنجر الحمصى أن يضرب الفار ، ويحبسه ويكتب على قيده مخلّد ، ويضمن غيره بناقص عشرة آلاف درهم] ؛ (١٢٥ ب) ففعل ذلك ، ومشت أحوال الناس .

وفيها طرح النشو الفدان القلقاس على القلاقسية بألف ومائتى درهم ، وصادر الشماسرة ، وأخذ عدة مخازن للتجار ، وأخرج ما فيها من البضائع وطرحها بثلاثة أمثال قيمتها ، وعوّض أربابها سفاتج(٢) على الخشب والبورى(٣) . فكان منها مخزن فيه حديد قوّمه بخمسين ألف درهم على المارستان ، فأبى(٤) الأمير سنجر الجاولى ناظر المارستان أن يأخذه ، فألزمه السلطان بأخذه للوقف فأخذه ، ووزن(٥) ثمنه .

وفى ثالث عشرى شوال قدمت مفاتيح القلاع التى كانت بيد صاحب سيس : وهى آياس الجوّانية ، وآياس البرّانية ، والهارُونية ، وكَوارة ، وحُمَيْمِصَة ، ونُجَيْمَة(٦) ، وسِرْفَنْدَكار ؛

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٥٤ ب) فقط .

(٢) السفاتج جمع سفتجة ، وهى ما يعرف فى المعاملات التجارية الحديثة باسم الحوالة المالية (bill of exchange) . انظر أيضا قاموس المحيط ومحيط المحيط .

(٣) المقصود بذلك السمك المعروف بذلك الاسم ، نسبة إلى بلدة بورة على شاطئ البحر الأبيض غربى دمياط . (ياقوت معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٥٥) . غير أن المقصود هنا السمك الذى يصاد من بحيرتى المنزلة والبرلس عامة ، إذ كانت هاتان البحيرتان ، حسبما أورد المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٨) ، "تجريان فى ديوان الخاص ، وهما مضمنتان ، وما يخرج منهما من البورى وغيره من أنواع السمك للسلطان ، لا يقدر أحد أن يتعرض لصيد شىء منه ، إلا أن يكون من صياديهما القائمين بالضمان ؛ وما عدا هاتين البحيرتين من البرك والأملاك فليست للسلطان" . على أنه كان للسلطان مكس يتحصل من بيع الأسماك عموما ، إذ كان مايصاد منها "يحمل إلى دار السمك بالقاهرة ، فيباع ويؤخذ منه مكس السلطان" .

(٤) فى ف "فاتى" ، وما هنا من ب (٤٥٤ ب) .

(٥) يتضح مما هنا أن النقود فى مصر كانت تتبادل وزنا لا عددا فى عهد السلطان الناصر ، وهذه ظاهرة تكرّرت فى مصر فى عهد سلاطين المماليك . انظر المقريزى (إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٧٠ — ٧٢) ، والمقريزى أيضا (شذور العقود ، ص ٦٩ — ٧١ ، فى الكرملى : كتاب النقود العربية) .

(٦) فى ف "نحميه" ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. P. 194) ، ومنه ضبطت أسماء هذه البلاد .

فرُسم بخراب بعضها [١] ، وأقامت النواب بباقيها .

وفى تاسع ذى القعدة أضيف شدّ الصيارف [٢] للأمير نجم الدين بن الزيبق [٣] ، عوضاً عن بهادر البكتمرى ؛ ثم أضيف إليه مع ذلك ولاية مصر ، عوضاً عن شمس الدين جنغر بن بكجرى .

وفى تاسع عشره خلع على شهاب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن قاضى القضاة (١٢٦ ب) تاج الدين بن بنت الأعز ؛ واستقرّ فى حسبة مصر ، عوضاً عن القاضى ضياء الدين محتسب القاهرة .

وفى سادس ذى الحجة استقرّ نجم الدين أيوب فى ولاية الفيوم ، عوضاً عن بهادر أستادار الجمالى ؛ وكان أيوب هذا أستادار الأكُز .

وفيه قدم الخبر بأن القان موسى لما كانت الواقعة بينه وبين الشيخ حسن [الكبير] ، وانكسر هو وعلى بادشاه ، صار إلى بغداد وصادر الناس بها ، ثم خرج على بادشاه إلى الموصل ، فسار إليه الشيخ حسن بمن معه ولقيه (١٢٧) شمالى توريز ، فكانت حرب شديدة فرّ منها القان موسى ، وقُتِل على بادشاه وخلق كثير ؛ فكانت دولتهما ثلاثة أشهر . ولما انكسرت عساكرهما مضى الشيخ حسن [الكبير] إلى بغداد فملكها ، وقد أقام سلطانا محمد بن يُلْقُطْلُو بن هلاكو [بن عنبرجي] . وبعث [الشيخ حسن] إلى السلطان بهدية ، فأكرم رسله وجهزهم بهدية سنية ، وكُتِب بتهنئته .

وفيه خلع على نجم الدين داود بن أبى بكر بن محمد بن الزيبق ، واستقرّ فى ولاية الصناعة والأهراء ؛ وخُلع على صلاح الدين محمد بن محمد بن على بن صورة ، واستقرّ فى نظر الأهراء رفيقاً له .

---

(١) فى ف "فرسم بخراب بعضهم واقامت النواب بباقيهم" .

(٢) كذا فى س ، ولم يستطع الناشر أن يجد شرحاً لهذه الوظيفة فيما لديه من المراجع المتداولة بهذه الحواشى ، على أنه يوجد بالقلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٦) تعريف للصيرفى كموظف من موظفى الدولة ونصه : "الصيرفى ، وهو الذى يتولى قبض الأموال وصرفها ... وكان يقال له فيما تقدم الجهبذ" ، وربما كان لجماعة الصيرفية مشد كما بالمتن . انظر أيضاً ابن مماتى (قوانين الدواوين ، ص ٩) ، وكذلك (Poliak : Op. Cit. P, 73) .

(٣) فى ف "ابن الزنبق" . انظر ما يلى ، وكذلك (Zetterstéen : Op. Cit. P. 194) .

وفى (١٢٧ ب) يوم الاثنين ثانى عشر رمضان ركب النشو على عادته فى السحر، فاعترضه فى طريقه فارس هو عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامى الذى ولى قوص — وقيل أبو بكر بن الناصرى محمد — وضربه، فأخطأ سيفه رأس النشو؛ وسقطت عمامة [النشو][١] عن رأسه، وقد جرح كتفه، ثم خرَّ إلى الأرض. ونجا الفارس، وفى ظنّه أن رأس النشو قد سقطت عن بدنه. فغضب السلطان من ذلك، ولم يحضر السماط؛ وبعث إلى النشو بعدة من الجمدارية بالجرائحية، فقُطب ذراعه[٢] بست إبر وجبينه باثنتى عشرة إبرة. وألزم [السلطان] والى القاهرة (١٢٨ ا) ومصر بإحضار غريم النشو، وأغاظ على الأمراء بالكلام؛ وما زال يشتدّ [ويحتدّ][٣] حتى عادت القصاد بسلامة النشو، فسكن ما به.

ثم بعث النشو مع أخيه رزق الله يخبر السلطان بأن هذا من فِعل الكتاب بموافقة لؤلؤ؛ فطلب [السلطان] ابن المروانى والى القاهرة، ورسم له بمعاقبة الكتّاب الذين فى المصادرة على الاعتراف بغريم النشو وعقوبة لؤلؤ معهم. فضُرب لؤلؤ ضرباً مبرحاً، وعوقب العلم أبو شاكر وعلّق والمقايرات[٤] فى يديه، وعوقب قرموط وعدة من الكتّاب؛ وخربت بيوتهم وأخذ رخامها، وحرثت بالمحاريث (١٢٨ ب) لإظهار ما فيها من الخبايا.

ثم أن النشو عوفى من جراحه، وطلع إلى القلعة، فخُلع عليه ونزل وقد رتّب السلطان المقدَّم إبراهيم بن أبى بكر بن شداد بن صابر أن يمشى فى ركابه، ومعه عشرة من رجاله. وكان لا يطلع الفجر إلا وهم على بابه، فإذا ركب كانوا معه حتى يدخل القلعة، فإذا نزل مشوا فى ركابه حتى يدخل بيته. وعندما نزل [النشو إلى القاهرة كان] أول ما بدأ به أن عاقب المقدّمين وغيرهم، حتى مات عدة منهم تحت العقوبة.

(١) فى ف "وسقطت عمامته"، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم منعا للبس.
(٢) هنا إشارة إلى بعض طرق الجراحة الطبية فى مصر فى العصور الوسطى.
(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٥٥ ا) فقط.
(٤) لعل المقصود بلفظ المقايرات آنية فيها القار المغلى، توضع فى يد الواقع تحت العقوبة للتعذيب؛ أو لعل المراد بها ما يسمى فى مصر باسم المقاور — والجمع مقورة — ، أى الآلة من الحديد تستعمل لتقوير الفاكهة أو الخضر قبل طبخها؛ وعلى هذا الفرض الثانى تكون المقايرات أداة للتعذيب بدفع أطرافها بين اللحم والأظافر، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا النوع من التعذيب فيما سبق.

وفى حادى عشرى ذى الحجة سافر خواجا عُمَر وسَرْطَقْطاى [١] مقدم البريدية بهدية (١٢٩ ا) إلى أزبك ، ومعهما مبلغ عشرين ألف دينار لشراء مماليك وجوارى من بلاد الترك .

وفيها كملت عمارة جامع الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى على شاطىء النيل بمنية بولاق ؛ وكان موضعه ساقية لشرف الدين موسى بن زنبور . [وأصل بناء هذا الجامع أنه] [٢] لمّا أنشئت العمائر ببولاق عمّر الحاج محمد بن عزّ الفراش بجوار الساقية [المذكورة] داراً على النيل ، ثم انتقلت [تلك الدار] بعد موته إلى ابن الأزرق ، فعرفت بدار الفاسقين [٣] من كثرة اجتماع النصارى بها على مالا يرضى الله ؛ فلما صادره النشو باعها فيما باعه . فاشتراها الأمير أيدمر [٤] الخطيرى بثمانية آلاف درهم ، (١٢٩ب) وهدمها و بنى مكانها ومكان الساقية جامعاً أنفق فيه مالا جزيلا ؛ وأخذ أراضى حوله من بيت المال ، وأنشأ عليها الحوانيت والرباع والفنادق ؛ وأنعم السلطان عليه بعدة أصناف من خشب وغيره . فلما تمّ بناء [٥] [الجامع] قوى عليه النيل ، فهدم جانباً منه ، فأنشأ [الخطيرى] تجاهه زَرْبِيَّة [٦] رمى فيها ألف مركب موسوقة بالحجارة ؛ وسماه جامع التوبة ، فجاء من أحسن مبانى مصر وأبدعها وأنزهها . فلما أُفرج عن ابن الأزرق ادّعى أنه كان مكرهاً فى بيعه ، فأعطاه الخطيرى ثمانية آلاف درهم أخرى ؛ فما زال به النشو حتى قبض عليه مرة ثانية ، وحبسه ، فمات بعد (١٣٠ ا) قليل فى حبسه .

وفيها فرغ [بناء] جامع الأمير سيف الدين بشتاك ، بخط قبو الكرمانى على بركة الفيل خارج القاهرة ؛ وكان موضعه مساكن للفرنج والنصارى ومسالمة الكتّاب . وعمر [بشتاك] تجاه هذا الجامع خانكاه على الخليج ، ورتّب فيها شيخاً وصوفية ، وقرّر

(١) فى ف "مر مغلطاى" ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. P. 194) .
(٢) فى ف "فلما" ، وقد حذفت الفاء وأضيف ما بين الحاصرتين ليسهل ترقيم هذه العبارة الطويلة .
(٣) فى ف "العاشقين" ، وما هنا من ب (٤٥٥ ب) .
(٤) فى ف "يدمر" .
(٥) فى ف "بناوه" ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .
(٦) انظر ما سبق هنا ، ص ٢٥١ ، حاشية ٣ .

لهم المعالم الجارية ، ونظّم ما بين الجامع والخانكاه بساباط[١] على الطريق المسلوك ، فجاء من أحسن شيء بُنى ؛ وتحوّل كثير من النصارى من هناك .

وفيها أعيدت إلى عربان آل فضل وآل مهنا إقطاعاتها التى أقطعت (١٣٠ ب) للأمراء .

وفيها خُلع على عز الدين [عبد العزيز بن قاضى القضاة بدر الدين محمد] بن جماعة يوم الثلاثاء تاسع شعبان ؛ واستقرّ فى وكالة[٢] بيت المال ، عوضاً عن نجم الدين الأسعردى ، مضافاً لما بيده من وكالة الخاص .

وفيه استقرّ جمال الدين بن العديم فى قضاء الحنفية بحماة ، عوضاً عن التقى محمود بن محمد ابن الحكيم .

وفيها مات[٣] متملك تلمسان أبو تاشفِين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يَغْمُراسِن من عبد الوَاد الزَيَانى[٤] ، قتيلا فى محاربة سلطان المغرب أبى الحسن المرينى ، آخر شهر رمضان ، بعد ما ملك نيفاً وعشرين سنة .

وفيها وقع الغلاء (١٣١ ا) فى جمادى الأولى ؛ وأبيع الأردب القمح بأربعين درهما ، والشعير بثمانية وعشرين [درهما] ، والفول باثنين وثلاثين [درهما] ، والبرسيم الأخضر كل فدان بنحو مائة وسبعين درهما ، والحمص المصلوق بثلاثة دراهم القدح .

وفيها كُبست الفيوم فى أخريات جمادى الأولى ، وأحضر منها ألف ومائتا فرس . ثم قدم والى الفيوم وأمراء العربان ، وأحضروا ستين حمل سلاح ، ومائة فرس وغير ذلك .

وفى سابع ذى الحجة وردت القصاد بأن[٥] الملك موسى قدم إليه من خراسان

---

(١) الساباط سقيفة بين دارين تحتها طريق ، وتعرف عند العامة برسم السيباط ، وجمعه سوابيط . (محيط المحيط) .

(٢) فى ف "كتابة" ، وما هنا من ب (٤٥٦ ا) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. P. 193) .

(٣) فى ف "قتل" ، وقد غيّر الفعل إلى ما هنا لورود لفظ "قتيلا" بالسطر التالى .

(٤) فى ف "الزناتى" ، وقد أصلح الاسم كله بالضبط والإضافة بين الحاصرتين من (Zambaur : Op. Cit. PP. 77 — 78.) ، حيث ورد أن حكم أبى تاشفين هذا بدأ بمدينة تلمسان سنة ٧١٨ هـ ، وانتهى كما هنا أو فى السنة التى قبلها .

(٥) فى ف "بابن" .

طغاى[١] تَمِر ، وسارا لمحاربة محمد[٢] بن عنبرجى ؛ (١٣١ ب) فانكسرا فى رابع عشر ذى القعدة ، واستقلّ محمد[٣] بالملك ؛ وكانت الوقعة قريباً من السلطانية بموضع يقال له صولق[٤] .

وفى رابع عشريه استقرّ الجمالى عبد الله أخو ظلظية فى ولاية البحيرة ، عوضاً عن الغرس خليل .

ومات فيها من الأعيان قطب الدين إبراهيم بن محمد بن على بن مطهر بن نوفل التغلبى[٥] الأدفوى ، بعد ما كفّ بصره ، فى يوم عرفة بأدفو[٦] ؛ وله شعر . و[توفى] شهاب الدين أحمد بن محمد بن سليمان [بن] حمائل بن غانم[٧] ، بدمشق فى ثالث عشر المحرم ؛ وله شعر ونثر ، ورحل إلى مصر وغيرها . (١٣٢ ا) و[توفى] شهاب الدين أحمد ابن على بن أحمد بن الخولى القوصى الشافعى ، بقوص . و[مات] الأمير سيف الدين الأكُز بدمشق ، فى نصف رمضان . و[توفى] الشيخ الإمام القدوة أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن الحاج الفاسى المغربى العبدرى الفقيه المالكى — عرف بابن الحاج — فى العشرين من جمادى الأولى ؛ ودفن بالقرافة ؛ وقد علت سنّه ، وكانت جنازته عظيمة ؛ وحدّث ؛ وكان زاهداً صالحاً ، وأخذ عن جماعة منهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد بن

(١) كان هذا الأمير حاكما على مدينة مازندران ، وهو سليل دوشى بن جنكز خان ، وقد أقامه الساخطون على محمد بن عنبرجى والشيخ حسن بك الكبير خاناً على خراسان سنة ٧٣٧ هـ ، على أن يعمل معهم لإعادة موسى إلى ملكه بالعراق وآذربيجان . انظر (Howorth: Op. Cit. III. PP. 638—639) ، وكذلك (Zambaur: Op. Cit. PP. 244, 256) . راجع أيضاً (Browne: Op. Cit. III. P. 59) .

(٢) فى ف "محمود بن العنبرجى" . انظر ما سبق ، ص ٤٠٤ ، حاشية ١ .

(٣) فى ف "محمود" .

(٤) كذا فى ف ، وقد ذكر (Howorth: Op. Cit. III. P. 639) أن الوقعة كانت عند المراغة ، وأن مرجعاً من مراجعه قال إنها وقعت عند بلدة جرمرد (Germurd) ، وأن طغاى تمر قد سارع إلى الهرب من ميدان القتال ؛ وأما موسى فظل يقاتل حتى وقع أسيراً فى يد الشيخ حسن بك الكبير ، فقتله تلك السنة .

(٥) فى ف "الثعلبى" ، وما هنا من ب (٤٥٦ ا) . انظر أيضاً الأدفوى (الطالع السعيد ، ص ٣٠) .

(٦) فى ف "بادبور" ، من غير نقط البتة ، وما هنا من ب (٤٥٦ ا) .

(٧) فى ف "غنايم" . انظر ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٧٨) .

أبى جمرة ، وصنّف كتاب المدخل[١] ، جامعٌ فى بابه . و[مات] الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى (١٣٢ب) أحد الأمراء مقدمى الألوف المنسوب إليه جامع الخطيرى ، فى أول رجب ؛ كان مملوك الخطير الرومى — والد الأمير مسعود بن خطير — ، ثم انتقل إلى الملك المنصور قلاون ، فرقّاه حتى صار من أجلّ الأمراء البرجية ؛ وكان جواداً حشما كبير الهمة فيه خير كثير . و[مات] الأمير أزبك الحموى ، فى يوم الأربعاء خامس عشرى ذى القعدة على آياس ، وقد بلغ مائة سنة ؛ فحمل إلى حماة ودفن بها ؛ وكان مهاباً كثير العطاء . و[مات] الأمير بغا الدوادار بصفد منفياً ، وكان مشكور السيرة . و[توفى] عمر بن الشيخ برهان الدين (١٣٣ ا) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم ابن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزى[٢] البعلى الصوفى ، ببعلبك فى ذى القعدة ؛ ومولده فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وستين وستمائة ؛ سمع من المسلم بن عدلان ، [وحدّث[٣]] ، [و] سمع منه الأمير الوانى وابن الفخر وغيرهما . ومات الشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين خطيب جامع الحاكمى من سويقة الريش ، فى يوم الخميس العشرين من شوال ؛ فكانت جنازته عظيمة جداً لكثرة صلاحه ، وقبره يزار خارج باب النصر . (١٣٣ب) و[توفى] المحدّث محب الدين عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسى ، فى ربيع الأول [بدمشق[٤]] ؛ حدّث عن الفخر وغيره . و[توفى] شيخ الحنابلة بنابلس شمس [الدين[٥]] عبد الله بن العفيف محمد بن يوسف ، فى ربيع الآخر . و[مات] أسد الدين عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى ، فى ثانى شوال برملة لد ، فدفن بالقدس ؛ ومولده فى ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وستمائة ؛ حدّث بالسيرة النبوية عن خطيب مردا . و[توفى] علاء الدين على بن محمد بن سليمان بن حمائل

(١) يقع هذا الكتاب فى أربعة أجزاء ، وهو مطبوع بالمطبعة المصرية بالقاهرة ، سنة ١٩٢٩م ، وأهميته أنه يلقى ضوءا على كثير من البدع المنتشرة فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، ويشبهه فى ذلك كتاب "معيد النعم ومبيد النقم" الذى ألفه القاضى تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب السبكى ، المتوفى سنة ٧٧١ هـ .

(٢) يتضح مما هنا أن أبا أسحاق إبراهيم هذا كان من أسلاف المقريزى نفسه ، وهو يجتمع بجدّه عند "محمد بن تميم بن عبد الصمد" . انظر ما سبق هنا ، ص ٣٦٥ .

(٣،٤،٥) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٥٦ ٤ ب) فقط .

ابن غانم الدمشقى المنشى(١)، فى ثالث (١٣٤ ا) عشر المحرم بتبوك، وهو عائد من الحج. و[توفى] الشيخ محمد بن عبد الله بن المجد إبراهيم المرشدى، صاحب الأحوال والمكاشفات، بناحية منية المرشد فى ثامن رمضان. و[توفى] ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن معضاد ابن شداد بن ماجد الجعبرى الواعظ، فى يوم الاثنين رابع عشرى المحرم. و[توفى] شيخ الخانكاه الناصرية سعيد السعداء كمال الدين أبو الحسين على بن حسن بن على الحُوَيْزانى(٢)، فى خامس عشرى صفر؛ واستقرّ عوضه شمس الدين محمد بن إبراهيم [بن عبد الرحمن] النّقْجُوانى(٣). و[توفى] محتسب القاهرة ووكيل بيت المال نجم الدين محمد بن حسين (١٣٤ ب) بن على الأسعردى، فى يوم الجمعة خامس عشر شعبان. و[توفى] نجم الدين أحمد [بن] العماد إسماعيل بن الأثير(٤)، أحد كتّاب الدرج، فى يوم الثلاثاء رابع عشرى المحرم. و[توفى] سعد الدين سعيد بن الشيخ محيى الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله — عرف جدّه بابن [أ.كنس](٥) البغدادى — المنجم كاتب التقاويم؛ وكانت له إصابات فى النجامة(٦) عجيبة؛ [وكانت وفاته] فى خامس عشرى صفر. و[توفى] مسند مصر شرف الدين يحيى بن يوسف المقدسى المعروف بابن المصرى، عن نيف وسبعين سنة بمصر.

* * *

سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة. (١٣٥ ا) أول المحرم قدم مبشرو الحاج بسلامة

(١) فى ف "المفشى"، ولعل الصحيح ما هنا، فقد كان الشيخ علاء الدين هذا، حسبما ورد فى ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٠٣ — ١٠٤)، مشتغلا بالأدب وله نظم ونثر، وهو أخو شهاب الدين أحمد بن حمائل المتقدمة وفاته هذه السنة بالصفحة السابقة هنا. انظر أيضاً ابن كثير (البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٧٨).

(٢) فى ف "الحويزاتى": انظر ما سبق، ص ٢٨٧، حاشية ٧.

(٣) فى ف "النقشوان"، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٨٦)، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين. ونقجوان، حسبما جاء فى ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٠٣) بلد من نواحى أران، ويقال لها نخجوان أيضاً.

(٤) فى ف، وفى ب (٤٥٧ ا) "الامير"، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٠٤).

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٥٧ ا) فقط.

(٦) انظر ما سبق، ص ١٨٨، حاشية ١.

الحجاج ورخاء الأسعار وحسن سيرة الأمير [شمس الدين] آقسنقر السلاح(١) دار أمير الحاج .

وفى يوم الخميس ثالث عشريه(٢) قدمت [عساكر] التجريدة من بلاد سيس . وكان من خبر ذلك أنهم لما ساروا من القاهرة فى ثانى عشر شعبان ، وقدموا دمشق ، تلقاهم الأمير تنكز ؛ ولم يعبأ [تنكز] بالأمير أرقطاى مقدّم العسكر لما فى نفسه منه . ومضوا إلى حلب ، فقدموها فى رابع عشرى رمضان ، وأقاموا بها يومين ؛ فقدم الأمير قطلوبغا الفخرى بعساكر الشام (١٣٥ ب) ، وقد وصل إلى جعبر . ثم ساروا جميعاً يوم عيد الفطر ، [ومعهم(٣) الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب حلب ، وهو مقدّم على العسكر جميعاً] ، حتى نزلوا على الإسكندرونة أول بلاد سيس ؛ وقد تقدمهم الأمير مغلطاى الغَزّى(٤) إليها بشهرين حتى جهز(٥) المجانيق والزحافات والجسور الحديد والمراكب وغير ذلك لعبور نهر جهان . فقدم عليهم البريد من دمشق بأن تكفور وعد بتسليم القلاع للسلطان ، "فلتردّ المجانيق وجميع آلات الحصار [إلى] بغراس ، وليُقِم العسكر على مدينة آياس حتى يرد مرسوم السلطان بما يُعتمد فى أمرهم" . وكانت (١٣٦ ا) التراكمين(٦) قد أغاروا على بلاد سيس ، ومعهم عسكر ابن قرمان(٧) ، فتركوها أوحش من بطن حمار ؛ فبعث تكفور رسله فى البحر إلى دمياط ، فلم يأذن السلطان لهم فى القدوم عليه ، من أجل أنهم لم يُعلموا نائب الشام بحضورهم(٨) ؛ فعادوا إلى تكفور . فبعث [تكفور] بهدية إلى [تنكز] نائب الشام ، وسأله منعَ العسكر

(١) فى ف "السلارى" ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. P. 194) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٢) فى ف "ثالث عشر منه" ، وما هنا من ب (٤٥٧ ا) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. P. 195)

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن الوردى (تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣١٤) .

(٤) فى ف "العزى" ، وما هنا ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٥٥) .

(٥) فى ف "جهزوا" .

(٦) هذا اللفظ كثير الورود فى كتب المؤرخين كصيغة أخرى للفظ التركمان . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة — Popper — ، ج ٦ ، ص ١٢٧ ، ١٨٧ ، ٣٣١) .

(٧) كان ملك الدولة القرمانية تلك السنة بدر الدين محمود بن قرمان (٦٧٧ — ٧٤٠ هـ) . انظر (Zambaur : Op. Cit. p. 158).

(٨) هنا إشارة إلى أحد تقاليد الحكم فى الدولة المملوكية ، إذ يفهم مما هنا أن نائب الشام — وهو نائب عمل دمشق فى الواقع — كان الواسطة بين السلطان والدول المتاخمة لحدود الدولة من ناحية الشام .

من بلاده ، وأنه يسلم القلاع التى من وراء نهر جهان جميعها للسلطان . فكاتب [تنكز] السلطان بذلك ، و بعث أوحد المهمندار إلى [الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغا[١]] نائب حلب ، [وهو المقدم[٢] على العسكر جميعاً] ، بمنع (١٣٦ ب) الغارة وردّ الآلات إلى بغراس ؛ فردّها [ألطنبغا] وركب بالعسكر إلى آياس ، فقدمها يوم الاثنين ثانى عشر شوال . و[كانت آياس] قد تحصّنت ، فبادر العسكر وزحف عليها بغير أمره ؛ فكان يوماً مهولاً ، جُرح فيه جماعة كثيرة . واستمرّ الحصار إلى يوم الخميس خامس عشره ؛ وأحضر نائب حلب خمسين نجاراً وعمل زحافتين[٣] وستارتين[٤] ، ونادى فى الناس بالركوب للزحف . فاشتدّ القتال حتى وصلت الزحافات والرجال إلى قريب السور ، بعد ما استشهد جماعة كثيرة . فترجّل (١٣٧ ا) الأمراء عن الخيول لأخذ السور ، و إذا بأوحد المهمندار ورسل تكفور قد وافوا برسالة نائب الشام ، فعادوا إلى مخيمهم . فبلّغهم [أوحد المهمندار] أن[٥] يكفوا عن الغارة ، فلم يوافقوه على ذلك ؛ واستقرّ الحال على أن تسلموا[٦] آياس بعد ثمانية أيام .

فلما كان اليوم الثامن أرسل تكفور مفاتيح القلاع ، على أن يردّ ما سُبى ونُهب من بلاده ؛ فنودى بردّ السبى ، فأُحضر كثير منه ؛ وأُخرب الجسر الذى نصب على نهر جهان . وتوجه الأمير مغلطاى الغَزّى[٧] فتسلم قلعة كَوَارة[٨] ، وكانت من أخص قلاع الأرمن ، [ولها سورٌ][٩] مساحته فدان (١٣٧ ب) وثلث ور بع فدان ، وارتفاعه إثنان وأر بعون ذراعا بالعمل ؛ وأنفق تكفور على عمارته أر بعمائة ألف وستين ألف دينار . وتسلّم العسكرُ آياس ؛ وهُدم البرج الأطلس[١٠] فى ثمانية أيام ، بعد ما عمل فيه أر بعون

(١،٢) انظر الصفحة السابقة .

(٣) تقدّم التعريف بلفظ زحافة فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٢٦ ، حاشية ٥) .

(٤) تقدّم شرح لفظ ستارة فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٠٢ ، حاشية ٣ ؛ ص ٧٦٤ ، حاشية ٤) .

(٥) فى ف "انهم" .

(٦) فى ف "سلموا" . انظر ما يلى بهذه الصفحة .

(٧) فى ف "العزى" . انظر الصفحة السابقة .

(٨) فى ف "كوارين" . انظر ما سبق ، ص ٤٢٠ .

(٩) أضاف الناشر ما بين الحاصرتين ليصير بقية الجملة مفهوما .

(١٠) فى ف "وتسلم العسكر اياس والبرج الاطلس وهدم فى ثمانية ايام" ، والبرج الأطلس — أو الأطلسى فى ب (٤٥٧ ب) — هو برج آياس ، وكان فيما يظهر مبنيا فى البحر . انظر ابن الوردى (تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ، ٣١٤) .

حجّاراً يومين وليلتين حتى خرج منه حجر واحد . ثم نُقب [البرج] وعُلّق على الأخشاب ، وأضرمت فيه النار ، فسقط جميعه ؛ وكان برجاً عظيما ، بلغ ضمانه فى كل شهر لتكفور مبلغ ثلاثين ألف دينار حسابا عن كل يوم ألف دينار سوى خراج الأراضى . وكان ببلدة آياس(١) أربعمائة (١٣٨ ا) خمّارة وستمائة بَغِىّ ، وكان بها فى ظاهرها ملاحة تُضَمَّن كل سنة بسبعمائة ألف درهم ، ولها مائتان وستة عشر بستاناً تغرس فيها أنواع الفواكه ، ودَوْر سورها فدانا [ن](٢) وثلثا فدان .

ثم رحل العسكر عن آياس بعدما أقاموا عليها اثنين وسبعين يوماً ، فمرّ نائب حلب على قلعة نُجَيْمَة وقلعة سِرْفَنْدِكار(٣) — وقد أخربهما مغلطاى الغزى(٤) — حتى عبر بالعسكر إلى حلب فى رابع عشرى ذى الحجة .

فعاد العسكر إلى مصر ، وقد مرض كثير منهم ، ومات جماعة . فأكرم السلطان الأمير أرقطاى وخلع عليه ، (١٣٨ ب) وبعث تشريفاً إلى نائب حلب . وأقطع [السلطان] أراضى سيس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من أمراء الشام ؛ وأمّر فيها جماعة من التركمان والأجناد ، فاستعملوا الأرمن فى الفلاحة ، وحطّوا عنهم من الخراج ، فعمرت ضياعها . وضمنت بعض عجائز الأرمن بها خمارة بألف درهم كل يوم ، فلم يوافق [السلطان] على ذلك . وعُمِل فى كل قلعة من قلاع الأرمن نائب ، ورُتّب فيها عسكر . ثم قدمت رسل تكفور فخُلع عليهم ، وكُتب بترك الخراج عنهم ثلاث سنين ، ومهادنتهم عشر سنين .

وفيها كانت (١٣٩ ا) حرب بين خليل الطرفى و بين خليل بن دلغادر على أبلستين ، انتصر فيها ابن دلغادر(٥) . فانتمى [الطرفى] إلى نائب الشام ، ووَعَد على نيابة الأبلستين

---

(١) فى ف "وكان بها" .

(٢) فى ف "فدانا" ، وما هنا من ب (٤٥٨ ب) .

(٣) فى ف "قلعة نجمية وقلعة اسفندكار" ، انظر ما سبق ص ٤٢٠ .

(٤) فى ف "العزى" . انظر ما سبق ، ص ٤٢٨ .

(٥) تقدّمت الإشارة إلى الأمير خليل الطرفى فى ص ٤١٥ ، وكان قد حضر إلى القاهرة يطلب تعيينه على الأبلستين ، فولاه السلطان الناصر عليها . غير أن الجديد هنا أن أميرا من أمراء بيت دلغادر التركمانى ، وهو خليل بن لغادر ، كان وقت ذاك أيضا ، أى فى سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) ، يريد النيابة على الأبلستين ، وأنه قد استولى عليها من نائبها من قبل السلطان ، كما بالمتن . ذلك أن المعروف حسبما ورد =

بألفى إكديش ، وإقامة ثلاثين أمير طبلخاناه . فعُنى به نائب الشام حتى قدم إلى قلعة الجبل ، وخُلع عليه ، وكُتب له ثلاثون منشوراً بإمريات جماعة عيّنهم ؛ وخُلع على جميع من معه ، وسار .

وقدم الخبر بأن القان موسى لما فرّ بعد قتل على بادشاه لحقَ بخراسان ، فقام معه طغاى تمر أميرها ، وجمع له . فسار إليه الشيخ حسن [الكبير] وأولاد دمرداش ، ولقوه بالقرب (١٣٩ ب) من سلطانية ؛ فانكسر موسى وقُتل كثير من أصحابه[(١)] . فاختلّ فى هذه الفتن حال بغداد والموصل وديار بكر ، وقوى أرِتْنا[(٢)] نائب [المغل ببلاد] الروم ، لشُغل المغل عنه بما هم فيه .

وفيها بعث النشو مَنْ كَشَف[(٣)] عن أرباب دواليب القَنْد ، نوُجد لأولاد فضيل كثيراً من القند ، ومنه أربعة عشر ألف قنطار قند عملت فى هذه السنة ؛ وبلغت زراعتهم فى كل سنة ألف وخمسمائة فدان من القصب ، كانوا فيما سلف يصالحون المباشرين على أن قَنْدهم ألف قنطار يؤدّون ما عليها للديون . فلما علم النشو ذلك (١٤٠ ا) أوقع الحوطة على حواصلهم ، وحَمَل القند إلى دار القند ، وكَتب عليهم حججاً بثمانية آلاف قنطار للسلطان . فلما تخلّصوا [منه] وجدوا[(٤)] لهم حاصلا لم يظفر به النشو ، فيه عشرة آلاف قنطار قَنْد . وصادر[(٥)] [النشو] شاد دواليب الخاص بالصعيد ، وأخذ منه مائة وستين ألف درهم حملها للسلطان .

= فى (Zambaur : Op. Cit. p. 158) ، وفى (Ency. Isl. Art. Dhu - L - Kadr) أن أول أمراء هذا البيت قراجا بن دلغادر ، وأن قيام قراجا هذا على الأبلستين وغيرها يبتدىء من سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٨٩) ، حيث توجد ترجمة قصيرة للأمير خليل بن لغادر ، وقد جاء فيها أن السلطان الناصر أمّره على الأبلستين .

(١) انظر ما سبق ، ص ٤٢١ ، ٤٢٤ — ٤٢٥ .

(٢) انظر ما سبق ، ص ١٨٦ ، حاشية ٥ ، وكذلك (Howorth : Op. Cit. III pp. 639—640) ، حيث ورد أن الرحالة ابن بطوطة زار هذا الأمير التترى بمدينة سيواس ، كما زار زوجته طاغى خاتون أغا بمدينة قيصرية . انظر أيضا ابن بطوطة (تحفة النظار — Defrémery — ج ٢ ، ص ٢٨٦ — ٢٩٣) .

(٣) فى ف "انكشف" ، وما هنا من ب (٤٥٨ ب) .

(٤) فى ف "وجد" ، وما هنا من ب (٤٥٨ ب) .

(٥) فى ف "وصار" ، وما هنا من ب (٤٥٨ ب) .

وفيها أنعم السلطان فى يوم واحد على أربعة من مماليكه بمائتى ألف دينار مصرية ، وهم قوصون وألطنبغا و [ملكتمر] [١] الحجازى و بشتاك ؛ وأنعم على موسى بن مهنا بضيعة بألف ألف درهم ، و [كان] قد قدّم له (١٤٠ ب) فرساً [٢] . فشقّ ذلك على النشو ، وقال : " خاطرتُ بروحى فى تحصيل الأموال ، وهو يفرّقها " .

وفيها قدم أمير أحمد بن السلطان من الكرك باستدعاء ، و [كان] قد بلغه عنه أنه يعاشر أوباش الكرك ؛ فعَقد له [السلطان] على ابنة الأمير سيف الدين [٣] طاير بغا ، وعَقد لابنه يوسف على ابنة الأمير جنكلى بن البابا ، [وذلك] فى العشرين من ربيع الآخر . وسيّر السلطان لكل أمير بألف [٤] وخمسمائة دينار وثوب أطلس .

وفيه سعى النشو بقاضى الإسكندرية عماد الدين محمد بن إسحاق البلبيسى ، شيخ خانكاه بهاء الدين (١٤١) أرسلان ، من أجل أنه عارضه فى أخذ أموال الأيتام ؛ ورماه بأنه أخذ مالاً للأيتام اشترى بها عدة جوارى . فطُلب [البلبيسى] من الإسكندرية ، وسُلِّم إلى ابن المروانى والى القاهرة ليخلّص منه مال الأيتام ؛ فقام بأمره الأمير جنكلى ابن البابا والحاج آل ملك والأحمدى ، حتى توجه الضياء المحتسب وآقوش البريدى للكشف عنه ؛ فلم يظهر لما رُمى به صحة ، وأكثر ما عِيب عليه [أنه] مُطّرِح الاحتشام ، يمشى فى الأسواق لشراء حاجته ؛ فأُفرج عنه .

وفيه وُلِد للسلطان ابنةُ صالح من [زوجته] بنت الأمير تنكز ؛ فعَمل [السلطان] لها بشخاناه (١٤١ ب) وداير بيت ونحو ذلك بمائة ألف وأربعين ألف دينار ؛ وعَمل لها الفرح مدة أسبوع ، حضره نساء الأمراء ، وما منهنّ إلا من عبّى لها السلطان تعبية قماش على قدر رتبة زوجها . فحصل للمغانى شيء كثير ، حتى أن مغنيات القاهرة جاء قسم كل

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١١٩) .

(٢) هنا إشارة إلى ناحية من صفات السلطان الناصر محمد ، والواقع إن شغفه بالخيل كان أحد أسباب المعاملة الحسنة التى لا قاها كثير من أمراء العرب على يده . انظر ما سبق ، ص ١٤٨ ، ٢١٠ .

(٣) فى ف "ظهير الدين بغا" ، وما هنا من (Zettersteen : Op. Cit. P. 199) .

(٤) فى ف "الف" .

واحدة منهن عشرة آلاف درهم ، سوى التفاصيل الحرير والمقانع(١) والخلع . وقدم من الأمير تنكز نائب الشام لابنته مقنعة وطرحة بسبعة آلاف دينار . و [فى هذا المهمّ] استعمل السلطان للخركاه(٢) الواصلة إليه من بلاد الشرق ثوباً (١٤٢ ا) من حرير أطلس وردىّ ، ورصّعه باللؤلؤ والجواهر ، وأسبل عليها ستراً ؛ فبلغ مصروف ذلك مائة ألف دينار وإثنى عشر ألف دينار ؛ فنامت فيها النساء . وبلغ مصروف هذا المهمّ خمسمائة ألف دينار ، فكان شيئاً لم يسمع بمثله فى الدولة التركية .

وفيه اتفق عدة من أرباب الجرائم بخزانة(٣) شمايل وقتلوا السجّان ، وخرجوا بعد المغرب من باب زويلة شاهرين السكاكين . فركب الوالى فى طلبهم ، فلم يظفر منهم سوى برجل(٤) أَقْطَع ، فشنقه .

وفيها استدعى السلطان من بلاد (١٤٢ ب) الصعيد بألفى رأس من الضأن ، واستدعى من الوجه البحرى بمثلها ؛ وشرع فى عمل حوش برسمها وبرسم الأبقار البُلْق(٥) ، فوقع اختياره على موضع من قلعة الجبل مساحته أربعة أفدنة ، قد قُطعت منه الحجارة لعمارة القاعات التى بالقلعة حتى صار غوراً عظيما . وطلب [السلطان] كاتب الجيش ، ورَتّب على كل

(١) المقانع جمع مقنع — ويقال مقنعة أيضاً — ، وهى ما تغطى به المرأة رأسها ، وتكون أضيق من القناع . (محيط المحيط) . انظر أيضاً (Dozy : Supp. Dict. Ar.) حيث ورد أن القناع منديل يضعه الرجال والنساء فوق الرأس (fichu que les personnces de deux sexes posent sur la tête) أو هو النصيف الذى تضعه النساء فوق وجوههن (voile de visage dont se servent les femmes) انظر أيضاً (Dozy : Vêtements) .

(٢) تقدمت الإشارة إلى هذا اللفظ أكثر من مرة ، وقد وجد الناشر له تعريفاً وصفيا دقيقاً بالقلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٣٨) ، ونصه : "الخركاه ، وهى بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ، ويغشى بالجوخ ونحوه ، تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة المبيت فى الشتاء لوقاية البرد". انظر أيضا المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٠٠) ، حيث يوجد وصف للخركاه كجزء من كل خيمة تقام للسلطان ، ونصه : "إذا وصل [السلطان] القصورَ بسرياقوس ، أو الدهليز من المخيّم ، نزل عن فرسه ودخل إلى الشقة ، وهى خيمة مستديرة متسعة ، ثم منها إلى شقة مختصرة ، ثم منها إلى اللاجوق ، وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخل سور خركاه ، وفى صدر اللاجوق قصر صغير من خشب برسم المبيت فيه ...".

(٣) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٩٨ ؛ ص ٨٢٦ ، حاشية ٣) .

(٤) الأقطع المقطوع اليد ، ويقال للأنثى قطعاء ، وجمعه قُطْع وقُطْعان ؛ والأقطع أيضا الأصمّ ، وربما كان المعنى الثانى هو المقصود هنا . انظر محيط المحيط .

(٥) البُلق جمع أبلق ، وهو ما جمع بين الأبيض والأسود من الألوان . (قاموس المحيط) .

من الأمراء المقدَّمين مائة رجل ومائة دابة لنقل التراب ، وعلى كلٍّ من أمراء الطبلخاناه بحسبه ؛ وأقام الأمير آقبغا [عبد الواحد[١]] شادًّا ، وأن يقيم معه من جهة كلّ أمير أستاداره بعدة من جنده ؛ (١٤٣ ا) وألزم الأمراء بالعمل ؛ ورُسم لوالى القاهرة بتسخير العامة . فأقام الأمير آقبغا عبد الواحد فى خيمته على جانب الموضع ، واستدعى أستادارية الأمراء واشتدّ عليهم ؛ فلم يمض ثلاثة أيام حتى حضرت إليه رجال الأمراء من نواحيهم ، ونزل كل أستادار بخيمته ومعه دوابه ورجاله ؛ فقُسِّمت عليهم الأرض قطعاً معينة لكل واحد منهم ، فجدّوا فى العمل ليلا ونهاراً . [هذا] وآقبغا داير بفرسه عليهم يستحثهم ، ويخرق بأستادارية الأمراء ، ويضرب بعضهم ، ويضرب أكثر[٢] أجنادهم . ووُكِّل (١٤٣ب) المقدّم عنبر [السحرتى][٣] بالرجال ، وكان ظالماً غشوماً ، فعسف بهم وكلفهم السرعة فى أعمالهم ، من غير أن يوجد [لهم] رخصة[٤] ولا مكّنهم من الاستراحة . وكان الوقت صيفاً[٥] حاراً ، فهلك كثير منهم فى العمل لعجز قدرتهم عما[٦] كُلِّفوه . ومع ذلك كله والولاة تسخّر من تظفر به من العامة ، وتسوقه إلى العمل ، فينزل به من البلاء مالا قِبل له به ، ولا عَهد له بمثله . وكان أحدهم إذا [عجز و] ألقى بنفسه [إلى الأرض[٧]] ، رمى أصحابه عليه التراب فمات لوقته . هذا والسلطان يحضر كل يوم حتى يرى العمل .

وكان الأمير ألطنبغا (١٤٤ ا) الماردينى قد مرض ، وأقام بالميدان على النيل أياما حتى برىء ، وطلع إلى القلعة من باب القرافة . فاستغاث [به] الناس وسألوه أن يخلّصهم من هذا العمل ، فتوسّط لهم عند السلطان حتى أعفى السلطانُ الناسَ من السخر ؛ وأُفْرِج عمن قُبض عليه منهم . فأقام العمل ستة وثلاثين يوماً إلى أن فُرِغ منه ، وأُجريت إليه المياه ، وأقيمت به الأغنام المذكورة والأبقار البُلْق . وبُنِيت به بيوت للأوز ، فبلغ ثمن البقل المصروف

(١) انظر ما سبق ، ص ٣٧٧ ، سطر ١١ .
(٢) فى ف "كبير" ، وما هنا من ب (٤٥٩ ا) .
(٣) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق ، ص ٣٧٧ ، سطر ١٠ .
(٤) فى ف "يوجدهم رخصة" ، والرخصة هنا — فيما يظهر — النوبة فى توزيع العمل ، أو هى التيسير والتسهيل . انظر الجرجانى (كتاب التعريفات ، ص ٤٨) ، وكذلك محيط المحيط .
(٥) فى ف "ضيقا" ، وما هنا من ب (٤٥٩ ا) .
(٦) فى ف "القدرة عما كلفهم" ، وما هنا من ب (٤٥٩ ا) .
(٧) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٢٠) .

من الديوان برسم أكل فراخها فى كل يوم مائة وخمسين (١٤٤ ب) درهما[1]. وعند فراغ العمل من الحوش وترتيبه [استدعى السلطان الأمراء وعمل لهم سماطاً جليلا، وخلع على جماعة ممن باشر العمل وغيرهم[2]].

و[فيها] وصل من متجر الخاص ستمائة قطعة قطران، [طُرحت][3] على الزياتين وأصحاب المطابخ بمائتى درهم القطعة. ثم طَرح النشو أيضاً ألف مقطع شَرْب[4]، بحساب ثلاثمائة درهم المقطع، [و] قيمته ما بين[5] مائة وخمسين ومائة وستين درهماً المقطع. ثم طرح [النشو] ثياب المماليك الخلقة وأخفافهم العتيقة على أربابها بأغلى ثمن.

و[فيها] جدّ [النشو] فى السعاية بالصفى كاتب قوصون عند السلطان، وأنه يلزمه فى كل سنة للديوان عن متاجره وزراعاته نحو مائتى ألف درهم، حتى ألزم السلطان (١٤٥ ا) الأمير قوصون بمصادرته وأخذِ ماله لنفسه؛ فأوقع قوصون الحوطة على جميع ماله. وسعى [النشو] أيضاً بقطلو أستادار قوصون أنه لما توجه إلى الشام لَزِمه مال كثير بما أتلفه من مال معاصر الغَور، وعما أخذه من المباشرين حتى تلفت الأقصاب؛ فقبض عليه قوصون، وألزمه بالحمل حتى باع داره وثيابه.

ثم بعث [السلطان] إلى قضاة القضاة ألا يثبت أحد منهم محضراً باستحقاق ميراث حتى يرسم لهم بذلك. وسببه أن صدر الدين الطيبى لما ولاه النشو نظر ديوان[6] المواريث التزم

(١) أراد السلطان الناصر بذلك المشروع أن يكون لديه مكان لتربية بعض أنواع الحيوان والطيور الداجنة، كما فعل سابقاً بالخيول؛ وهذا واضح فيما أورده المقريزى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٢٩)، ومنه أن ذلك الحوش "صار مراح غنم ومربط بقر ...، وتتبع [السلطان] فى كل سنة المراحات، من عيذاب وقوص إلى ما دونهما من البلاد، حتى يؤخذ ما بهما من الأغنام المختارة، وجابها من بلاد النوبة ومن اليمن، فبلغت عدتها بعد موته ثلاثين ألف رأس سوى أتباعها ...".

(٢) ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٢١).

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٥٩ ب) فقط.

(٤) انظر ما سبق، ص ٤١٤، حاشية ٢.

(٥) فى ف "قيمته مايتين وماية وخمسين وماية وستين المقطع". وما هنا من ب (٤٥٩ ب).

(٦) سَمَّى القلقشندى (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٣) هذه الوظيفة باسم "نظر المواريث الحشرية"، واعتبرها الخامسة عشرة فى ترتيب الوظائف الإدارية الكبرى فى عصره، ثم إنه شرح عمل ناظرها بالعبارة التالية: "وموضوعها التحدّث على ديوان المواريث الحشرية، ممن يموت ولا وارث له، أو له وارث لا يستغرق ميراثه، مع التحدث فى إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم"؛ ويتبيّن من الجملة الأخيرة أن صاحب هذه الوظيفة كان هو الذى يأذن بدفن الموتى بالقاهرة، وربما شملت سلطته — من الناحية النظرية على الأقل — جميع البلاد المصرية أيضا.

له بحمل الأموال الكثيرة (١٤٥ب)، وصار يحتاط على أموال التركات، و يحملها إلى النشو من غير أن يعطى الورثة منها شيئاً؛ فإن كان للوارث جاه وكان [له] ولد معروف[١] ألزمه أن يثبت نسبه من الميت واستحقاقه لميراثه، فإذا أثبت ذلك أحاله على ما يتحصل من المواريث، فيماطل بذلك مدة ولا ينال غرضه. فلما فحش الأمر فى هذا بلغ السلطان، فأنكر على[٢] [النشو ذلك]، فدافع [عن نفسه] بأعذار قُبلت منه. ثم رسم [السلطان] للقضاة ألا يثبتوا من ذلك شيئاً إلا بمرسومه، فاشتدّ الأمر على الناس؛ وصارت التركة تنهب بحضرة الوارث (١٤٦ا) ولا يجد سبيلا إليها، فإن عجز الطيبى عن أخذ المال من التركة لقوة الوارث وشدة بأسه رماه عند النشو بأن مورثه لَقِيَ وَوَجَد لقية مال فى بيته، فيلزم الوارث بإحضار ذلك حتى يترك ميراثه.

وفيها كتب مرسوم بمسامحة ضُمّان جهات دمشق بما عليهم من البواقى للديوان، ومبلغه مائتان وثمانون ألف درهم؛ فأهملت من الحساب.

و[فيها] أنعم [السلطان] على الأمير تنكز نائب الشام بثلاث ضياع من فتوح سيس، وهى قلعة كَوَارَة وقلعة نُجَيْمَة وقلعة سِرْفَنْدَ كار[٣]؛ ورسم أن (١٤٦ ب) يحمل إليها من حماة وحمص وطرابلس عشرون ألف غرارة غلّة برسم تقاويها وتخضيرها، وعين لكل ضيعة ما يكفيها؛ وكُتبت مراسيم لكل جهة بما هو مقرّر عليها.

وفيها أوقع الأمير تنكز بعلم الدين محمد بن القطب كاتب السرّ بدمشق، وضربه وصادره، بمرافعة الأمير حمزة التركمانى؛ وأخذ منه عشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم.

وفيها أعرس أحمد ابن السلطان بابنة الأمير طاير بغا[٤] من غير عمل مهمّ. وأعرس كذلك (١٤٧ا) يوسف[٥] ابن السلطان بابنة الأمير جنكلى بن البابا.

و[فيها] أنعم على قطلوبرس أستادار بكتمر الساقى بإمرة طبلخاناه، وتسلم أميرَ أحمد

---

(١) فى ف "فان كان للوارث لو كان ولداً معروفا لزمه".
(٢) فى ف "عليه".
(٣) فى ف "قلعة كوارين وقلعة نجمية وقلعة اسفندار". انظر ما سبق، ص ٤٢٠.
(٤) فى ف "ظهير بغا". انظر ما سبق، ص ٤٣٢.
(٥) انظر ما سبق، ص ٤٣٢.

ابن السلطان وتوجّه به إلى الـكرك ؛ فتوجّه الأمير بَيْغرا[١] إلى الـكرك على النجب حتى أحضر جميع ما كان بها من المال .

وفيها اتضع سعر الغلال حتى أبيع الأردب القمح الصعيدى بعشرة دراهم ، والبحرى بثمانية دراهم ، والفول والشعير كل أردب بستة دراهم ؛ وكسدت الغلال . فـكان رزق الله أخو النشو — وهو كاتب الأمير ملـكتمر الحجازى — ، (١٤٧ب) وولى الدولة صهره — وهو كاتب المجدى — ، يطرحان القمح بزيادة درهمين الأردب ، ويأخذان ثمنه بعسف وظلم ؛ فتوقفت أحوال الجنـد لرخص السعر . وسعى النشو بالضياء المحتسب أن الدقيق والخبز سعرهما بالنسبة إلى القمح غال ؛ فرسم لوالى القاهرة أن يطلب المحتسب والطحانين ويعمل معدّل القمح عنده ، فلم يجد فى الأسعار تفاوتاً بين القمح والخبز .

وفى سابع عشر صفر قدم من بغداد الوزير نجم الدين محمود بن على بن شروان ، وحسام الدين الحسن بن محمد بن محمد الغَوْرِى[٢] محتسب (١٤٨ ا) بغداد ، [ونخر الدين[٣] محمود نائب الحلة] . وعدة من الأعيان فى خمسمائة عليقة[٤] . فقدّم الوزير للسلطان هدية سنية ، فيها حجر بلخش يزن سبعة وعشرين درهما ؛ فخُلع عليه وعلى الغورى ، وأنعم على محمود نائب الحلة بإمرة طبلخاناه بدمشـق ، وعلى وزير بغداد بإمرة طبلخاناه بديار مصر ، ثم أنعم [عليه[٥]] بتقدمة ألف بعد وفاة طاير بغا .

وكان سبب قدومهم أن نجم الدين هذا كان قد تمـكّن ببغداد وكثر ماله ؛ فلما [قدم[٦]] على بادشاه إلى بغداد ومعه القان موسى ، وصادر أهلها ، ثم جمع العساكر

(١) فى ف " سعر " ، بغير نقط البتة ، وما هنا من (Zetterstéen. Op. Cit. P. 199) .

(٢) مضبوط هكذا فى ف .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى بالصفحة التالية ، سطر ٢ . وقد ذكر (Zetterstéen. Op. Cit. pp. 195 — 196) غير هؤلاء كثيرا من ذوات العراق الذين لجأوا إلى القاهرة تلك السنة ، وفيهم نظام الدين يحيي كاتب السر ببغداد ، ونخر الدين عثمان بن البلدى صاحب الديوان ، والحاج كابك ، وأوز بكيوك ابن طاش بغا ، والوزير تاج الدين على شاه ، وولده ناصر الدين خليفة ، وحسين بن منكتوا ؛ وفيما يلى بالمتن إشارات إلى بعض أولئك الأشخاص وغيرهم من قصاد الأمراء المتنافسين على عرش إيلخانات فارس ، مما يدل على أن السلطان الناصر كان قد أصبح الفيصل بين رجال تلك الدولة .

(٤) العليقة — والجمع عليقات وعلائق — البعير . (محيط المحيط) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٦٠ ب) ، والراجح أن الضمير عائد على وزير بغداد .

(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٦٠ ب) فقط .

وخرج ، بعث[١] (١٤٨ ب) بشمس الدين السهروردى نائب بغداد ، وقد كتب له أسماء جماعة ليأخذ مالهم ، منهم نجم الدين بن شروان ، ونخر الدين محمود نائب الحلة . فلما بلغهم ذلك تواطئوا على قتله والخروج إلى مصر ، وخرجوا إلى لقائه ، واحتفوا به وساروا معه ؛ ثم بدره نجم الدين بسيفه [فضربه ضربة] حلّت[٢] عاتقه ، فسقط إلى الأرض ، وأخذت السيوف أصحابه ؛ فارتجت بغداد بأهلها . وفى الوقت نادى نجم الدين بالأمان ، "ولا يتحرك أحد ! ! فقد كان لنا غريم قتلناه" ، وأخرج هو وأصحابه حريمهم وأموالهم ، (١٤٩ ا) ومرّوا بهم على حمية من بغداد ، وكتبوا [إلى الأمير تنكز][٣] نائب الشام يستأذنونه . فبعث [تنكز] البريد إلى السلطان بخبرهم ، فأجيب بإكرامهم وتجهيزهم إلى القاهرة ؛ فحمل إليهم من الإقامات ما يليق بهم حتى قدموا عليه ، ثم سيَّرهم مكرّمين .

وفيها أنعم على آقسنقر بخبز طقجى السلاح دار ؛ وأنعم على قمارى أمير شكار بتقدمة ألف .

وفيه أنشأ السلطان قصراً للأمير يلبغا اليحياوى ، وقصراً للأمير ألطنبغا الماردينى[٤] ، تجاه حمام الملك[٥] السعيد قريباً من الرميلة تحت القلعة ؛ وأخذ [لذلك][٦] من إصطبل الأمير أيدغمش قطعة ، (١٤٩ ب) ومن إصطبل الأمير طشتمر الساقى قطعة ، ومن إصطبل الأمير قوصون قطعة ؛ ونزل بنفسه حتى قرّر أمرَه . وتقدّم [السلطان] إلى الأمير قوصون أن يشترى الأملاك المجاورة لإصطبله بالرميلة تحت القلعة ، ويضيفها إلى إصطبله ؛ و[أمر] أن يكون بابا[٧] الإصطبلين [اللذين أنشأهما أيضاً للأميرين يلبغا وألطنبغا] تجاه

(١) فى ف "ثم بعث" ، وضمير الفاعل عائد على علىّ باد شاه ، فيما يظهر .

(٢) فى ف "حل" ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم الجملة .

(٣) فى ف "وكتبوا لنايب الشام" ، وقد عدلت بالإضافة بين الحاصرتين للتوضيح .

(٤) فى ف "قصر الامير يلبغا اليحياوى وقصر الامير الطنبغا الماردينى" ، وما هنا من ب (٤٦١ ا) . وقد ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٧٢) بصدد هذين القصرين أن السلطان أنشأهما للأميرين يلبغا وألطنبغا "لتزايد رغبته فيهما ، وعظيم محبته لهما ، حتى يكونا تجاهه ، وينظر إليهما من قلعة الجبل" .

(٥) فى ف "ملك" ، وما هنا من ب (٤٦١ ا) . انظر أيضا ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٢١) .

(٦) فى ف "واخذ له" .

(٧) فى ف "باب" ، وما هنا من ب (٤٦١ ا) ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين من ابن =

حمام الملك السعيد ؛ وأقام الأمير آقبغا عبد الواحد شادًا بعمارة القصرين . فاشترى قوصون عدة أملاك وسّع بمواضعها فى إصطبله ، وطرح النشو أنقاضها بأغلى الأثمان ؛ وجعل قوصون باب إصطبله من الرميلة تجاه القلعة (١١٥٠) . وأنفق النشو على القصرين جميع ما يحتاج إليه فى عمارتهما .

وفيها قدمت عدة تجار من الشام بثياب بعلبكى كثيرة ، فختم عليها وأخذ عنها ما جرت به العادة للديوان من المكس . ثم أمر النشو بأخذها جميعها بقيمة اختارها ، ثم طرحها على تجار القاهرة بثلاثة أمثال قيمتها ، وألزم مباشرى الختم ألا يختموا قماشاً حتى يستأذنوه (١) . فقدم قَفْلٌ عقيب ذلك فيه تاجر من جهة الأمير بشتاك ، فأخِذَ قماشه فيما أُخذ ، وطُرح الجميع على التجار . فادّعى ذلك التاجر أن قماشه إنما هو للأمير (١٥٠ ب) بشتاك ، فضربه [النشو] ضربا مبرحاً ؛ فشقّ ذلك على بشتاك وشكا أمره إلى السلطان . وكان النشو قد بلّغ السلطان أن تاجراً يحضر كل سنة القماش على اسم الأمير بشتاك بغير مكس ، حتى وجب عليه للديوان مائة ألف درهم ، وقد أكسر معاملة السلطان ، وأنه قد أخذ ما أحضره من القماش ؛ فانفعل السلطان لكلامه .

وفيها عُزل قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى . وسبب ذلك ولده جمال الدين عبد الله ، وما كان عليه من كثرة اللهو والشره فى المال ، وأخذِه الرشوة (١١٥١) من القضاة ونحوهم ، وتبسّطه فى الترف ، حتى إنه قد اقتنى عدة كثيرة من الخيول ورتّب لها

= تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٢١) . ويلاحظ أن لفظ إصطبل معناه هنا مجموعة من المبانى ، يبنيها الأمير المملوكى لسكنه وسكن أسرته ومماليكه وخيوله ، ففى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٧٢) أن إصطبل قوصون المذكور هنا كان يشمل "عدة عمائر ما بين دور وإصطبلات" ، وأنه كان قصراً عظيما للغاية ، وقد ذكر ابن تغرى بردى (نفس المرجع والجزء والصفحة) أن هذا القصر صار فيما بعد البيت الرسمى المعدّ لسكن كل من صار أتابك العساكر بالديار المصرية .

(١) هنا إشارة إلى ناحية هامة من نواحى السياسة الاقتصادية بمصر فى العصور الوسطى ، إذ الواضح من الوارد بالمتن أن الدولة كانت ترقب الوارد والصادر من المتاجر ، وتضرب عليه مكوسا تختلف باختلاف الظروف والأحوال ، ثم تختمه بخاتم خاص للدلالة على استيفاء المكس ، وربما كان هناك خاتم آخر للدلالة على مصادر السلع ، حتى لا يكون ثمت سبيل إلى الغش فى بيعها . انظر ابن الحاج (المدخل ، ج ٤ ، ص ٢٩ ، ٦٥) . هذا والواضح من المتن أيضا أن "مباشرى الختم" الذين قاموا على تلك المراقبة كانوا أشبه بموظفى الجمارك فى العصر الحالى .

عدة من الأوجاقية[١] والركَّابين وسابَقَ بها . و [كان جمال الدين قد] شغف [أيضاً] بسماع الغناء ومعاشرة الأحداث من أولاد الأكابر ومماليك الأمراء ، وتجاهر بالمنكرات . فرفعت فيه قصة للسلطان تتضمَّن شعراً بما هو عليه ، فأخرجه السلطان إلى الشام ؛ ثم أعاده بسعى أبيه بعد مدة بسفارة الأمير بكتمر الساقى ، فلم يقم إلا نحو السنة ، وزاد فى قبح السيرة ؛ فأخرجه السلطان ثانياً ، وأقام (١٥١ ب) سنة . فلم يطق أبوه غيبته عنه ، وكان قد فتن به حتى أنه لشدة حبه إياه لا يكاد يصبر عنه ساعة واحدة ؛ فسأل السلطان فى عوده مشافهة ، وضمن توبته ؛ فأعاده [السلطان] إلى القاهرة ، فأنشأ بجوار بيت أبيه على النيل داراً كلّف قضاة الأعمال فيها لحمل الرخام وغيره ، واستدعى لها الصنّاع من الشام ، وبالغ فى إتقانها ، فبلغت النفقة عليها زيادة على خمسمائة ألف درهم . وبلغ السلطان ذلك ، فحدّث الأمراء بما بلغه ، وأنكر على القاضى بتمكين (١٥٢ ا) ولده من هذا ؛ فبعث الأمير عز الدين [أيدمر] الخطيرى إلى القاضى يعنّفه ويشنّع عليه ، ويلومه على إنفاق ولده هذا المال الكبير ، فاعتذر عنه بأنه اقترض[٢] ما عمر به هذه الدار ، فإن سكنى القاهرة لم توافقهم واحتاجوا إلى السكنى على النيل . ثم إنه أيضاً اشترى فى القاهرة [داراً] ، وجدّدها بما يزيد على مائتى ألف درهم ، فكثر الكلام فيه . هذا مع جفائه للناس ، وقوة نفسه ، وسوء سيرته وسيرة إخوته أيضا ، وتغافل أبيهم عنهم ، وتصاممه عن الشكوى فيهم . (١٥٢ ب) فكُتبت فى [القاضى][٣] عدة أوراق للسلطان ، ونسب فيها إلى أنه لا يولى نائبا عنه فى بلد حتى يجتمع بأولاده ، وشُنِّع فيها أن[٤] القضاة فى أيامه إنما تلِى بالبراطيل ، وتتزايد فى الولايات . وكان السلطان لا يُرْشَى ويعاقب[٥] من يَرتشى أشدّ العقوبة ، فكان يراعى القضاة لما فى نفسه من إجلالهم وتعظيمهم ، إلى أن تعاظم أمر

---

(١) تقدم التعريف بلفظ الأوجاقية — ومفرده أوجاق ، وأوشاق أيضا — فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٢٣ ، حاشية ٣) . أما لفظ الركابين — ومفرده ركاب — فقد ترجمه (Dozy : Supp. Dict. Ar.) إلى (courreur) ، أى السائس .

(٢) فى ف " اقبض " ، وما هنا من ب (٤٦١ ب) .

(٣) فى ف " فكتب فيه " ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٤) فى ف "وشنع فيها على القضاة فى ايامه" .

(٥) هنا إشارة إلى ناحية أخرى من أخلاق السلطان الناصر محمد .

أولاد القاضى جلال الدين القزوينى ، وكثرت القصص فيهم وفى مملوكه . وعمل حسن الغزى[1] الشاعر [فيهم] قصيدة شنيعة ، وأوصلها إلى (١١٥٣) شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، فقصد نكاية القزوينى ، وقال للسلطان عنها وقرأها عليه ، فأثرت فى السلطان وغيّرته على القزوينى ، [و] منها وهى طويلة :

قاضٍ على الأنام[2] سَلّ صارمًا ... بحـدّه يلتقط الدرَاهمَا
وسَنّ من أولاده لَهَا دِمًا ... جرّدهم فانتهكوا المحـارما
والشبل فى المخبر مثل الأسـد

وابنه البد [رى] خطيب جِلّقِ ... بامرأة الكامل مشغوف شق
(١٥٣ب) بادِرْه بالعـزل فليس يرتقى ... منابر الإسـلام إلا متقى
متزرٌ ثوب العفـاف مرتدِ

يا ملك الإسـلام ياذا الهمة ... أزل عن الملـة هَذى الغمة
واحلل بعبدالله سيف النقمة ... فإنه حجاج هـذى الأمة
واردعه ردعَ كلّ مفسـد

فلما حضر القضاة إلى دار العدل على العادة لم يؤذن لهم فى دخوله ، وعند ما نزلوا بعث السلطان إلى القزوينى مع الدوادار بأن نائب الشام شكا من ابن المجد (١١٥٤) قاضى دمشق ، "وقد اقتضى رأيه أن تسافر إلى دمشق قاضياً ، كما كنتَ ، فإنه استحى وجهه منك ومن الأمراء والناس ، وكلما عرّفك أن تُرجع ابنك عما هو عليه لا تُرجعه ، فإذا حضرت بدار العدل استعفِ من القضاء بحضرة الأمراء . واعلم أنى آمرُ نائبَ الشام أنه إذا رأى أولادك على سيرة غير مرضية قابلهم بما يستحقونه" .

فلما كان يوم الخميس ، وحضر [قاضى القضاة القزوينى] دار العدل ، سأل الحاجبَ أن يسأل له السلطان فى تمكينه من التوجه إلى دمشق ، فإن مصر لم توافقه ولا وافقت أهله ؛ فأذن له السلطان فى ذلك . (١٥٤ ب) ونزل [القزوينى] فأخذ فى وفاء دينه ، وكان

(١) فى ف "العزى" ، وما هنا من ب (٤٦١ ب) .

(٢) هذه الشطرة واردة بغير نقط ألبتة فى ف ، وما هنا من ب (٤٦١ ب) ، ومنه أصلحت بقية الأبيات . (٣) فى ف "خلق" ، ولعل الصحيح ما هنا ، أى أن المقصود مدينة دمشق .

عليه لجهة وقف التربة الأشرفية المجاورة لمشهد السيدة نفيسة مبلغ مائتى ألف درهم وثلاثين ألف درهم ؛ فباع أملاكه وأملاك أولاده وأثاثهم وتحفهم بربع ثمنها ، وكانت نفيسة . فباعوا من صنف الأوانى الصينى بمبلغ أربعين ألف درهم ؛ وباع عبد الله إحدى عشرة جارية ما بين ثمانية آلاف درهم الجارية إلى أربعة آلاف ، وباع من اللؤلؤ والجوهر والزركش ما قيمته زيادة على مائة وعشرين ألف درهم ، وباع داره بالقاهرة بخمسة وثلاثين ألف (١٥٥ ا) درهم ؛ وأدّوا ما عليهم من الدين للأيتام وغيرهم . وسار [قاضى القضاة] بأهله وأولاده إلى دمشق ، وصحبته ستون زوج محاير[1] على الجمال ، فى كل محارة امرأة . وتأسّف الناس على فراقه ، لمحبتهم له مع بغضهم لأولاده ؛ فإنه كان كريماً جواداً سخيا ، له صدقات ومراعاة لأرباب البيوت ، يهب الألف درهم ؛ ولم يعرف فى دولة الأتراك بمصر قاض له مثل سعادته ، ولا مثل حظوته من السلطان وقوة حرمته ؛ وكان سفره فى جمادى الآخرة .

وفى يوم الأحد ثامن عشره استُدعى عز الدين عبد العزيز (١٥٥ ب) بن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى ، وخُلع عليه ؛ واستقرّ قاضى القضاة عوضاً عن الجلال القزوينى . وكان السلطان قد[2] جمع بين يديه القضاة والفقهاء — وفيهم عز الدين — ، وحدّثهم فيمن يصلح للقضاء ، وقد تعين عندهم شمس الدين محمد بن عدلان . فلم يلتفت إليه السلطان ، وذكر لهم عز الدين فأثنوا عليه خيراً . وكان السلطان من أيام بدر الدين محمد بن جماعة يلهج بذكر ابنه [عز الدين] ، ويقول : "لولا أنه شاب لوليته القضاء" .

وخُلع فيه أيضاً على حسام الدين (١٥٦ ا) الحسن بن محمد الغورى القادم من بغداد ، واستقرّ فى قضاء [القضاة] الحنفية ، عوضاً عن برهان الدين إبراهيم بن على بن عبد الحق ؛ ونزلا فى موكب جليل . وكان سبب عزل ابن عبد الحق أولاده ، فإنهم ساروا سيرة أولاد القزوينى ؛ فكان السلطان يقول : "ولينا قضاة جياداً أفسدهم أولادهم" ؛ ورُسم بسفر ابن عبد الحق وأولاده أيضاً إلى الشام ، فسافروا .

وكانت قد وقعت الشكوى فى ابن القاضى الحنبلى من بيعه أوقاف الأيتام وأخذ أثمانها ، وإتلافه فى (١٥٦ ب) المحرمات ؛ فطُلِب والده تقى الدين أحمد بن عز الدين عمر

(١) انظر ما سبق هنا ، ص ٢٣٣ ، حاشية ٢ .

(٢) فى ف "وكان قد جمع السلطان" .

ابن محمد المقدسى ، وسُئل عن مال الأوقاف التى باعها ، فاعتذر بما لا يُقبل ، وسأل المهلة . فأمر [السلطان] متولى القاهرة بتسليمه وضربه حتى يحضر المال جميعه ، فأهانه ورسّم عليه . وأخذ السلطان يقول للأمراء : "انظروا ماذا جرى علينا من أولاد القضاة" ، وذكر ابن [القاضى] الحنبلى وما كان منه ، وهمّ أن يوقع به وبابنه المكروه ، فتلطّفوا به فى أمرهما والستر على القاضى لكبر سنّه (١١٥٧) وشهرته . فعيّن الأميرُ جنكلى بن البابا لولاية قضاء الحنابلة موفقَ الدين عبد الله [بن محمد] بن عبد الملك المقدسى ؛ فطلبه السلطان وخلع عليه مع رفيقيه .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره طلع القضاة الأربعة وقبّلوا يد السلطان ؛ واستأذن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة [الشافعى] فى عزل نواب الحكم ، فإنهم جميعهم إنما ولوا ببذلهم المال الجزيل لولد القزوينى ، وأنهم قد أفسدوا فى الأعمال فساداً كبيراً ؛ فأجابه السلطان بأن يفعل ما فيه خلاصه من الله تعالى . فنزل [ابن جماعة] وكتب بعزل قضاة الوجه القبلى و [الوجه] البحرى (١٥٧ب) بأسرهم ؛ وعزل فخر الدين محمد بن محمد بن مسكين من نيابة الحكم بمصر ، وولى عوضه بهاء الدين عبد الله بن عقيل ؛ وعيّن لقضاء الأعمال جماعة ممن وقع اختياره عليهم ، فلم يجسر أحد على معارضته ولا مخالفته ؛ واستخلف عنه فى القضاء تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى ، وضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوى ؛ وعَزل الضياء[(١)] المحتسب من نظر الأوقاف ، حتى لم يدع أحداً بالقاهرة ومصر وأعمالها ممن ولّاه القزوينى . فانكفّ عن الناس بذلك شرٌّ كبير وفساد كثير . وسار رفقاؤه[(٢)] [الحنفى والحنبلى] مثل سيرته فى النزاهة (١١٥٨) والصيانة .

و [فيها] فُوِّض نظر الوقف الشافعى للشيخ برهان الدين إبراهيم الصائغ .

وعقيب ذلك قدم البريد من الشام بألفين وخمسمائة دينار من وقف الأشرفية ، فأخذها النشو وعرّف السلطان بها ، وأنه تعوّض عنها لجهة الوقف فيما بعد ، فأخذها [السلطان] منه .

(١) مما يوجب الالتفات هنا أن قاضى القضاة الشافعى كان بيده عزل بعض موظفى الدولة عن وظائفهم ، وهذا عدا ما كان بيده من السلطة التنفيذية بصدد نواب الحكم (القضاة) التابعين لمذهبه .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٦٣ ا) فقط .

و[فيها] جمع النشو الطحانين وعرفاء الجمالة[١] ، وطرح عليهم مازرع بناحية قليوب من الفول الأخضر والبرسيم ، بحساب ثلاثمائة درهم الفدان الفول ، والبرسيم بمائتى درهم ؛ وضرب جماعة منهم بالمقارع ، لأجل شكواهم إياه للسلطان . وطرح [النشو] مبلغ مائتى ألف درهم (١٥٨ب) فلوسا [نحاساً[٢]] ضَرْب إسكندرية وتروجة وفوّة وبلاد[٣] الصعيد على التجار وأرباب المعاملات ، فوقفت الأحوال . وذلك أن الفلوس كانت تؤخذ بالعدد ، وقد كثر فيها الزغل من الرصاص[٤] ونحوه ، وصار الفلس الكبير يُقَصُّ ثلاث قطع ويَخرج بثلاثة فلوس ؛ فصارت الباعة تردّها ؛ وتحسّن سعر الغلة ثلاثة دراهم الأردب . فقام والى القاهرة فى ذلك وضرب جماعة ، ونودى أن يُرَدّ الفلس المقصوص والرصاص ، ولا يتعامل به ؛ فمشت الأحوال .

وفيه قدم البريد من الأمير تنكز نائب (١٥٩ ا) الشام ، ومعه [مبلغ] عشرين ألف دينار الذى أخذ من علم الدين بن القطب كاتب السرّ بدمشق ؛ فخلع السلطان على جمال الدين عبد الله بن الكمال محمد بن العماد إسماعيل بن الأثير ، واستقرّ فى كتابة السرّ بدمشق عوضاً عن ابن القطب .

و[فيها] اتفق بدمشق أن قاضيها شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن على الأربلى كان غير مرضىّ الطريقة ؛ فلما عُزل واستقرّ القزوينى عوضه ، ركب ابن المجد قبل أن يبلغه العزل يريد مكاناً ، فنفرت بغلته من كلب خرج عليها فى الطريق ، وألقته عن ظهرها ، (١٥٩ ب) فاندقّ عنقه ؛ وسرّ الناس بذلك .

وفيها عُزل الضياء من حسبة القاهرة ، بسعاية النشو به ورميه له بمحبة الأحداث ؛ وخُلع على الشريف شرف الدين على بن حسين بن محمد نقيب الأشراف ، واستقرّ عوضه ، بعد ما أقامت القاهرة أياما بغير محتسب .

---

(١) كذا فى ف ، وفى ب (٤٦٣ ا) "عرفاء الحمالة" .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٦٣ ا) فقط .

(٣) يلاحظ القارئ أن المقريزى قد ذكر هنا عددا من الأماكن التى كانت تضرب بها النقود فى مصر فى عصر المماليك .

(٤) هنا إشارة واضحة لما كان يستعمل فى غش النقود من المعادن الدنيئة فى ذلك العصر .

و [فيها] أفرج عن الأمير آقسنقر شاد العمائر من حبسه بحلب ، وأنعم عليه بطبلخاناه فى دمشق ، بعناية الأمير قوصون .

و [فيها] قدم البريد بأن جبّار[1] بن مهنا توجه فى جماعته إلى بلاد الشرق ، وصار فى جملة الشيخ حسن [الكبير[2]] ، بسبب أنه لما قدم بهديته إلى السلطان لم (١٦٠ ا) يجد منه إقبالا ؛ فكتب إلى إخوته بترجيعه إلى البلاد .

و [فيها] قدم البريد بأن الشيخ حسن [الكبير[3]] قد جمع العساكر لمحاربة أرتنا صاحب[4] بلاد الروم ، وأن جبّار بن مهنا التزم له بجمع[5] العرب ، وأنه كتب له تقليداً بالإمرة على العرب . فقدم بعد ذلك كتاب أرتنا ومعه هدية ، [و] يسأل فيه أن يكون نائب السلطان فى بلاد الروم ، وأنه يضرب السكة باسمه ، ويقيم دعوته على منابره . فخلع على رسله ، وأُنعم عليهم ، وكُتب له تقليد بنيابة الروم من إنشاء الشريف شهاب الدين الحسين ابن قاضى العسكر . و [كان] الحامل لابن أرتنا على ذلك (١٦٠ ب) أنه عظم شأنه ببلاد الروم ، وكثف جمعه حتى خافه الشيخ حسن [الكبير[6]] أن ينفرد بمملكة الروم ، فأخذ

---

(١) بغير نقط فى ف ، وما هنا من القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠٧) ، وسيدأب الناشر على تصحيحه هذا الاسم بهذه الصيغة فيما يلى بغير تعليق .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب (٤٦٣ ب) " وصار فى جملة الشيخ حسن واولاد دمرداش " ، وقد حذف اللفظان الأخيران وأضيف ما بين الحاصرتين اعتمادا على المراجع المذكورة فى آخر هذه الحاشية ، وعلى ما يلى بالمتن هنا أيضا (سطر ٦ بهذه الصفحة) . ومنشأ خطأ المقريزى — أو ناسخه — أنه كان يوجد بدولة إيلخانات فارس فى ذلك الوقت أميران اسم كل منهما حسن ، وهما الشيخ حسن الكبير (بزرج) الجلائرى الذى تقدّمت الإشارة إليه هنا أكثر من مرة (انظر ما سبق ، ص ٣١٠ ، ٣٩٨ ، ٤٠٨ ، ٤١٨) ، والشيخ حسن الصغير (كجك) بن دمرداش بن جوبان ، وهو يعرف أيضا باسم الشيخ حسن الجوبانى . وقد عمل كل من هذين الأميرين فى حوادث دولة إيلخانات فارس من بعد وفاة أبى سعيد ، وتدخّل كل منهما فى منازعات أرباكاؤن وموسى ومحمد بن عنبرجى . غير أنه لا يوجد بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى ما يدل على أى الحسنين كان جبار بن مهنا قد صار فى جملته سوى ما يلى بالمتن ، ومنه يتضح أن جبارا انضم إلى الشيخ حسن الكبير . انظر (Browne : Op. Cit. III. p. 170, et seq) ، وكذلك (Howorth : Op. Cit. III. . Ency. Isl. Arts. Hasan Buzrug, Djalair) . pp. 631 - 648)

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة (Howorth : Op. Cit. III. P. 649) .

(٤) كان الأمير أرتنا هذا قد استقل بمدينة سيواس وما حولها من بلاد الروم (آسيا الصغرى) عن دولة إيلخانات فارس . انظر ما سبق ، ص ٤٣١ .

(٥) فى ف "بجميع" ، وما هنا من ب (٤٦٣ ب) .

(٦) انظر حاشية ٣ بهذه الصفحة .

فى التأهب لمحاربته . وكان ابن دلغادر قد تمكّن بأراضى أبلستين ، وكثرت زراعاته[١] بها ، وأخذ يتخطف من أطراف الروم ؛ نخشى أرتنا منه أن ينازعه فى مملـكة الروم ، أو يكون مع الشيخ حسن [الـكبير] ، فرأى الاتجاه[٢] إلى السلطان أقوى [له] وأسلم ، فإنه إما يمدّه بعسكر يتقوّى به على أهل الشرق ، أو يأوى إلى بلاده إن انهزم .

وفيها بلغ النشو أن الناس يجتمعون إلى الوعاظ بالجامع الأزهر وجامع الحاكم وغير (١٦١ أ) ذلك ، ويدعون الله عليه . فلم يزل [النشو] بالسلطان حتى منع الوعاظ بأجمعهم من الوعظ ، وأخرج رجلا كرديا كان للناس فيه اعتقاد إلى الشام .

وفيها قدم المجد السلامى من الشرق صحبة رسل الشيخ حسن [الـكبير] باستدعاء السلطان له ؛ وقد كلفه الشيخ [أن يقوم[٣]] له بالصلح بينه وبين السلطان ، وجهز معه هدية جليلة .

وفيهـا قدم ناصر الدين خليفة بن خواجا على شاه وزير أبى سعيد ، فأكرمه السلطان وأنعم عليه ، وأجرى له راتباً بدمشق ؛ ثم أنعم عليه بتقدمة ألف بها ، عوضاً عن بَرْسُبُغا[٤] العادلى ، وأنعم على برسبغا (١٦١ ب) بتقدمة آقول الحاجب بعد موته .

وفيها ندب النشو أحد مباشرى العمائر السلطانية لمرافعة الأمير آقبغا عبد الواحد ، فأنهى للسلطان عنه أنه عمّر [جميع] عمائره من مال السلطان ، وثبت لمحاققته ؛ فلم يجد آقبغا جوابا .

وفيها استقرّ الأمير أخو ظُلُظَيْه[٥] فى كشف الوجه البحرى ، عوضاً عن الأمير سيف الدين أبى بكر بن سليمان البابيرى[٦] ؛ وأخرج البابيرى إلى دمشق بطلب الأمير تنكز له ؛ وكانت إقامته فى كشف الوجه البحرى سنة ، سار فيها سيرة سيئة .

وفى ليلة الاثنين ثانى عشرى ربيع الآخر سقط بمصر والقاهرة مطر عظيم (١٦٢ أ)

(١) فى ف "زراعاتها به" ، وما هنا من ب (٤٦٣ ب) .

(٢) فى ف "التجاه" ، وما هنا من ب (٤٦٣ ب) .

(٣) فى ف "وقد كلفه الشيخ له ورام الصلح بينه وبين السلطان" .

(٤) فى ف "سربغا" ، أكثر من مرة بهذه الصفحة ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 195, etc) .

(٥) فى ف "ضلديه" . انظر ما سبق ، ص ٣٠١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ .

(٦) بغير نقط فى ف ، انظر ما سبق ، ٤١٠ ، وكذلك ابن الوردى (تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣١٩) حيث ورد هذا الاسم برسم "النايبرى" .

مدة ستة أيام ، فتهدّم منه عدة أماكن ، وَسَال الجبل . وأعقب المطرُ رياحا عاصفة ؛ واشتدّ البرد بخلاف العادة ، وسقط الثلج بسبخة بردويل [(١)] حتى جهات الطريق ، وسقط بمصر ثلج كثير وحصا فيه ما يزن ستة عشر درهماً وأكثر إلى ثمانية وعشرين درهماً . واشتدّ الريح بناحيـة دمياط فى بحر الملح حتى غلب على النيل ، ووصل [الماء] إلى شار مساح وفارس كور .

وفيها كثر تسخير الناس للعمل فى عمائر السلطان بالقلعـة ، وقُبض عليهم من بين القصرين وهم نيام ، ومن أبواب الجوامع عند خروجهم من صلاة الصبح ؛ فابتلى الناس من ذلك ببلاء (١٦٢ ب) عظيم ، وكثرت الغاثة [(٢)] ، فلم يجسر أحد من الأمراء يكلم السلطان فيه .

وفى يوم الاثنين رابعه خُلع على علاء الدين على بن محيي الدين يحيي بن فضـل الله ، واستقرّ فى كتابة السرّ عوضاً عن أبيه بعد وفاته ؛ وركب معه الحاجب أمير مسعود والدوادار طاجار [(٣)] إلى داره .

وفى ثانى عشرى رمضان قدمت الحرّة بنت السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج ، ومعها [جمع [(٤)] كبير و] هدية جليلة إلى الغاية ، نزل لحملها من الإصطبل السلطانى ثلاثون قطاراً من بغال (١٦٣ ا) النقل سوى الجمال ؛ [و] كان من جملتها أربعمائة فرس — منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل ، [و] جميعها بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة ، وبعضها سروجها وركبها من الذهب وكذلك لجمها ؛ و[كان من جملتها [(٥)] أيضا أبقار] عدتها اثنان وأربعون رأساً ؛ [و] منها سرجان من ذهب مرصّع بجوهر ، وفيها اثنان وثلاثون بازاً ، وفيها سيف قرابه من ذهب مرصّع ، وحياصة ذهب مرصّع ، وفيهـا ستمائة كساء وغير ذلك من القماش الغالى . وكان قد خرج

(١) تقع سبخة بردويل فى الجنوب الغربى من مدينـة العريش على الحدود المصرية الفلسطينية . راجع ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٣ ، حاشية ١) .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٤١٣ ، سطر ٢ .

(٣) فى ف "طاجا" . انظر ابن حجر (الدرر الـكامنة ، ج ٢ ، ص ٢١٣) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى بالصفحة التالية ، سطر ١ .

(٥) أضاف الناشر ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

المهمندار إلى لقائهم ، وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح ، وهم جمعٌ (١٦٣ ب) كبير جداً . وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة ، ففرّق السلطان الهدية على الأمراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها ، سوى الجوهر واللؤلؤ ، فإنه اختصّ به ؛ فقدّرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار .

ثم نُقلت الحرّة إلى الميدان بمن معها ، ورُتّب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية ما عمّهم (١) وفضل عنهم . فكان مرتبهم فى كل يوم عدة ثلاثين رأساً من الغنم ، ونصف أردب أرزاً ، وقنطار حب رمان ، وربع (١٦٤ ا) قنطار سكراً ، وثمانى فانوسيات (٢) شمع ، وتوابل الطعام . وحُمل إليها برسم النفقة [مبلغ] خمسة وسبعين ألف درهم ، و[كانت] أجرة حمل أثقال رَكْبِها (٣) قد بلغت ستين ألف درهم . ثم خُلع على جميع من قدم مع الحرّة ، فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين [خلعة] على قدر طبقاتهم ، حتى على الرجال الذين قادوا الخيول . وحُمل إلى الحرّة من الكسوة ما يجلّ قدره ؛ وقيل لها أن تملى ما تحتاج إليه ، [فقالت (٤) " إنه] لا يعوزها شىء ، وإنما تريد عناية السلطان بإكرامها وإكرام من معها حيث كانوا " .

فتقدّم السلطان إلى النشو وإلى الأمير (١٦٤ ب) آقبغا بتجهيزها اللائق بها ، فقاما بذلك ؛ واستخدما لها السقائين والضوية ، وهيّآ كلّ ما تحتاج إليه فى سفرها من أصناف الحلوى والسكر والدقيق والبشماط ، وطلبا الجمالة لحمل جهازها وأزودتها . ونَدب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة ، وأمره أن يرحل بها فى ركب لها بمفردها قدّام المحمل ، ويمتثل كل ما تأمره به ؛ وكَتب لأميرى مكة والمدينة بخدمتها أتمّ خدمة .

وفيه تجهّز الأمير بشتاك ، والأمير الطنبغا الماردينى ، وخوند طغاى زوجة (٥) السلطان ،

---

(١) فى ف " فاعمهم " ، وما هنا من ب (٤٦٤ ب) .

(٢) الفانوسيات جمع فانوسية ، وهى حسبما جاء فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) كمية معينة من شمع الفوانيس (semble designer une certaine quantité de bougies) ، والظاهر أن تلك الكمية كانت قدر ما يكفى للفانوس الواحد ، والفانوس لفظة يونانية معربة .

(٣) فى ف " واجرة حمل اثقالهم تبلغ ستين الف درهم " ، وقد عدلت الجملة إلى الصيغة المثبتة بالمتن لتستقيم من بقية العبارة .

(٤) فى ف " وقيل لها ان تملى ما تحتاج اليه ولا يعوزها شىء " .

(٥) فى ف " جهه " ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 202) ، وخوند طغاى هذه أم سيف الدين آنوك الذى أراد السلطان الناصر توليته من بعده كما سيلى .

وست حدق ، (١٦٥ ا) وعدة من الدور[١] ومن الخدّام ، لسفر الحجاز .

وفيه قرّر الأمير علم الدين سنجر الجاولى شهاب الدين أحمد العسجدى فى تدريس الحديث بالقبة المنصورية بين القصرين ، بعد وفاة زين الدين عمر بن الـكتانى . فتعصّب عليه القضاة وجماعة من شيوخ العلم ، وطعنوا فى أهليته ، ورفعوا قصة للسلطان بالقدح فيه . فلما قرئت على السلطان بدار العدل سأل السلطان من القضاة عنه ، فثلبه قاضى القضاة عز الدين [عبد العزيز] بن جماعة ؛ فقام الجاولى بمعارضة القاضى وأثنى عليه ؛ (١٦٥ب) فرسم السلطان أن يُعقد له مجلس ويُطالع بأمره . فاجتمع القضاة وكثير من الفقهاء بالمدرسة المنصورية ، وجَبَهَ بعضهم الجاولى بالغضّ من العسجدى ، ورماه ركن الدين محمد بن محمد ابن القريع بأنه لحن فى قراءة الفاتحة ثلاث مرات . فقام قاضى القضاة حسام الدين الغورى فى نصرة العسجدى وأثنى عليه ، وقال : "أنا أحكم بأهليته لهذه الوظيفة" ، فدار بينه وبين ابن جماعة مقاولة فيها فُحْش ؛ وانفضّوا على ذلك . فأعلم الغورى طاجار[٢] الدوادار بأن القوم تعصّبوا على العسجدى ، وأنه يحكم (١٦٦ ا) بأهليته ، فبلّغ السلطان ذلك . فلما حضروا بدار العدل سأل السلطانُ عما جرى فى المجلس من ابن جماعة والجاولى ، فتفاوضا وعارض كل منهما الآخر ؛ فمال السلطان إلى قول ابن جماعة ، ومَنَع العسجدى [من التدريس] . فشقّ ذلك على الجاولى ، وهمّ بعزل نفسه من نظر المارستان ، فحذّره الأمراء عاقبة ذلك .

وفيها عمل جسر بالنيل على حكر ابن الأثير[٣] . وسببه أن النيل قوى على ناحية بولاق خارج القاهرة ، وهدم جامع الخطيرى حتى احتيج إلى تجديده ، وحتى احتيج إلى أن رسم السلطان للسكان على شاطئ النيل بعمل الزرابى[٤] لجميع تلك (١٦٦ ب) الدور ، وألاّ يؤخذ عليها حكر . فبنى صاحب كل دار زريبة تجاه داره[٥] ، فلم يفد ذلك شيئاً .

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤٦٥ ا) ، ولعلّ المقصود بهذا اللفظ جماعة الخدام الذين يدورون على سادتهم للقيام بالخدمة .

(٢) فى ف "لاجا" ، وماهنا من ب (٤٦٥ ا) . انظر ما سبق ، ص ٤٠٢ .

(٣) كذا فى ف ، وفى ب (٤٦٥ ب) أيضاً ، وهو فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٢٤) جسر ابن الأثير .

(٤، ٥) انظر ما سبق ، ص ٢٥١ ، حاشية ٣ .

فكتب بإحضار مهندسى البلاد القبلية[١] وبلاد الوجه البحرى ؛ فلما تكاملوا ركب السلطان النيل وهم معه ، وكشف البحر . فاتفق الرأى على أن يُحفر الرمل الذى بالجزيرة حتى يصير خليجاً يجرى فيه الماء ، ويُعمل جسر فى وسط النيل يكون سدًّا يتصل بالجزيرة ، فإذا كانت زيادة النيل جرى الماء فى الخليج الذى حُفر ، وكان قدّامه سدّ عالٍ يرد الماء إليه حتى يتراجع النيل عن سدّ القاهرة إلى [برّ] ناحية منبابة[٢] ؛ وعاد [السلطان] إلى القلعة . وخرجت البُرُد من (١٦٧ ا) الغد إلى الأعمال بإحضار الرجال للعمل صحبة المشدّين ، وطُلبت الحجارون بأجمعهم لقطع الحجارة من الجبل — ، و [كانت تلك الحجارة] تحمل[٣] إلى الساحل وتملأ بها المراكب ، وتغرّق [المراكب] وهى ملآنة بالحجارة حيث يعمل الجسر — . فلم يمض غير عشرة أيام حتى قدمت الرجال من النواحى ، فتسلمهم الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير برسبغا الحاجب . ورُسم لوالى القاهرة ووالى مصر بتسخير العامة للعمل ، فركبا وقبضا على عدة كثيرة منهم ، وزادا فى ذلك حتى صارت الناس تؤخذ من المساجد والجوامع فى السحر ، ومن الأسواق ؛ فتستّر الناس ببيوتهم خوفاً من السخرة .

ووقع (١٦٧ ب) الاجتهاد فى العمل ، واشتدّ الاستحثاث فيه حتى إن الرجل كان يخرّ إلى الأرض وهو يعمل لعجزه عن الحركة ، فتردم عليه رفقته الرمال ، فيموت من ساعته . واتفق هذا لخلائق كثيرة جداً ، وآقبغا راكب فى الحراقة[٤] يستعجل المراكب المشحونة بالحجارة ، والسلطان ينزل إليهم ويباشرهم ، ويغلظ على آقبغا ويحمله على السرعة واستنهاض العمل حتى أُكمِل فى مدة شهرين . وغُرّق فيه اثنا عشر مركبا ، وَسْقُ كلّ مركب ألف أردب . وكانت عدة المراكب التى أشحنت بالحجارة المقطوعة من الجبل — ورميت فى البحر حتى صار جسراً (١٦٨) يُمشى عليه — ثلاثة وعشرين ألف مركب

(١) فى ف "الفراتية" ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٢٥) .
(٢) المقصود بناحية منبابة بلدة إمبابة الحالية بمديرية الجيزة . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٦ ، ص ٣٨٠) .
(٣) فى ف "ثم تحمل الى الساحل..." ، وقد عدلت وأضيف إليها ما بين الحاصرتين للتوضيح .
(٤) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، حاشية ٣) .

حجر ، سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسَّرْياقات[١] والحلفاء ونحو ذلك . وحُفر الخليج بالجزيرة ، فلما زاد النيل جرى فى الخليج الذى حُفر ، وتراجع الماء حتى قوى على برّ منبابة وبرّ بولاق التكرور ؛ فسرّ السلطان بذلك .

وفيها استأذن الأميرُ ملكتمر الحجازى والأمير يلبغا اليحياوى السلطان فى المسير إلى الإسكندرية بطيور السلطان الجوارح ، ليتصيّدا فى البرية . فرُسم للنشو بتجهيزهما ، فخاف من دخولهما إلى الإسكندرية أن يبلغهما عنه من أعدائه ما إذا نقلاه (١٦٨ ب) للسلطان تغيّر عليه . فعرّف [النشوُ] السلطانَ أن مراكب التجار قد وصلت ، وأنه يحتاج إلى السفر حتى يأخذ ما عليها للديوان[٢] ، ويقوم أيضاً بخدمة الأميرين ؛ فأذن له فى السفر ، فسافر من ليلته . وبدا للسلطان أن يبعث الأمير بشتاك بالطيور — ومعه الأمير قمارى أمير شكار ، والأمير ألطنبغا الماردينى — ، ويعوّض يلبغا والحجازى بركوب النيل فى عيد الشهيد[٣] ؛ فسافر الأمراء الثلاثة . وكان عيد الشهيد بعد يومين ، فركب يلبغا والحجازى

---

(١) السرياقات جمع سرياقة ، ومعناها هنا الحبل الغليظ (corde, câble) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وكذلك ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٢٨ ، حاشية ٢) .

(٢) المقصود بهذا الديوان هنا ديوان الخاص الذى أنشأه السلطان الناصر محمد عند ما أبطل الوزارة ووزع أعمالها بين ناظر المال وناظر الخاص وكاتب السرّ . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) . وقد شرح خليل بن شاهين (زبدة كشف الممالك ، ص ١٠٧ — ١٠٨) جهات المتحصل من ذلك الديوان ، ومن جملتها "متحصل ثغر الإسكندرية المحروسة من واردى الفرنج" . وكان هذا المتحصل حسبما ورد فى (Heyd : Op. Cit. II. pp. 429—440, 451) على أنواع : وهى مكس السماح (droit d'admission) ومبلغها قطعة ذهبية (ducat) — أو قطعتان — يدفعها كل تاجر عن نفسه ، ثم مكس الدخول (droit d'entrée) ، ويدفعها كل تاجر عن النقود التى معه بنسبة اثنين فى المائة منها ، ثم مكس البضائع ، ويدفعها كل تاجر عما أحضره من السلع بنسبة تتراوح بين عشرين وعشرة من قيمتها نقدا (ad valorem) ، وهو ما كان يعبّر عنه باسم الخمس . وكان يقوم على ذلك وغيره من الإجراءات المتبعة بصدد المراكب الواردة من مختلف البلاد الأجنبية موظفو "الجرك" ، وهؤلاء كانوا فيما يظهر تابعين لديوان الخاص مباشرة . انظر أيضا (Demombynes : Op. Cit. pp. XLIII, LXVI) .

(٣) شرح المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٦٨) هذا العيد وأصله ، وذكر أنه كان يقام كل سنة بضاحية شبرا ، وأنه كان قد أبطل منذ ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) ، لكثرة ما كان يقع به من المفاسد ، ثم أمر السلطان الناصر بإحيائه سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) ، لسبب يشرح بعض أخلاق هذا السلطان ، وهو أنه أراد أن يلهى به الأميرين يلبغا اليحياوى والطنبغا الماردينى عن السفر إلى الاسكندرية "لشدة غرامه بهما ، وتهتكه فى محبتهما" . انظر أيضاً المقريزى المواعظ والاعتبار — Wiet — ، ج ١ ، ص ٢٩٣ ، وما بعدها) .

المراكب فى النيل للفرجة ؛ وخرجت مغانى القاهرة ومصر بأسرها ، وتهتكوا بما كان خافياً مستوراً من (١٦٩ ا) أنواع اللهو ؛ وقد حُشر النـاس للفرجة من كل جهة . وأتى الأمراء للناس فى مراكبهم من أنواع الأشربة والحلاوات وغيرها ما يتجاوز الوصف ، فمرّت ثلاث ليال بأيامها كان فيها من اللذات وأنواع المسرّات ما لا يمكن شرحه .

ولما قدم الأمراء بالطيور إلى ظاهر الإسكندرية أخرج النشو إلى لقائهم عامة أهلها بالعدد والآلات الحربية ، وركب إليهم حتى عبروا المدينة ، فـكان يوماً مشهوداً . ثم خرجوا بعد يومين ، وقد قدم النشو لهم من الأسمطة وأنواع القماش ما يليق بهم . وأخذ النشو فى (١٦٩ ب) مصادرة أهل[١] [الإسكندرية] ، وطَلب عشرة آلاف دينار من الصيارفة قرضاً فى ذمته ، وطَلب من ثلاثة تجار عشرة آلاف دينار ؛ ثم إنه[٢] غرّم ابن الربعى المحتسب[٣] [بها] خمسة آلاف دينار ؛ سوى ما ضَرَبَ عليه الحوطة من موجوده ؛ وضربه ضرباً مبرحاً وسجنه ، فمات بعد قليل فى السجن ؛ ثم عاد [النشو] إلى القاهرة .

وقدم الخبر من ماردين بكثرة جمع الشيخ حسن [الصغير[٤]] وأولاد دمرداش ، وأنهم على حركة لحرب طغاى بن سُوتَناى[٥] بديار بكر ، فإذا بلغوا مرادهم منه عدوا الفرات إلى أخذ حلب .

وفيها طلب الأمير طرغاى الطباخى ، واستقرّ فى نيابة حلب عوضاً عن ألطنبغا .

و [فى يوم[٦] الثلاثاء ثامن عشرى شوال] قدم موسى بن (١١٧٠) مهنا طائعاً ، وقدّم عدة خيول ؛ وورد صحبته طائفة من عرب البحرين بخيول قوّمت بمبلغ خمسمائة ألف وستين ألف درهم . [وقُوِّمت[٧] خيل موسى بخمسمائة ألف درهم ، سوى ماجرت العادة به من

(١) فى ف "اهلها" ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٢) فى ف "وغرم بن الربعى" ، وقد عدلت للتوضيح .

(٣) يتضح من المتن هنا أنه كان للإسكندرية محتسب خاص بها ، فى ذلك العهد على الأقل . انظر ما سبق ، ص ٤٠٨ ، حاشية ٥ ؛ ص ٤١٤ ، حاشية ٦ .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة (Howorth : Op, Cit. III. pp. 640 et. seq.) ، وقد تقدّمت الإشارة إلى هذا الأمير المغولى فيما سبق هنا ، ص ٤٤٥ ، حاشية ٢ .

(٥) انظر ما سبق ، ص ٣٩٧ ، حاشية ٥ .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 197) .

(٧) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٦٦ ب) فقط .

الإنعام عليه ؛ وأنعم عليه بعشرين ألف دينار أيضا] . وقُوِّمت خيل من جهة أهل برقة بأربعمائة ألف درهم ، وقُوِّمت مماليك وجوارى قَدِم بها التجار بستمائة ألف درهم . [وكانت] جملة ذلك [كله ، ماعدا ما أنعم به على[1] موسى بن مهنا] ألفا ألف[2] درهم وستون ألف درهم ، عنها مائة ألف دينار مصرية ونيف وعشرين ألف دينار ؛ [و] أحيل الجميع بذلك على النشو .

ولما كمل قصر يلبغا وقصر الماردينى جاءا فى أحسن هيئة ، فإن السلطان كان ينزل إليهما بنفسه ويرتّب عمارتهما . فعَمِل أساس قصر يلبغا أربعين ذراعاً (١٧٠ ب) وبَسَطه حصيراً واحداً ، فجاء مصروفه أربعمائة ألف درهم . وكان جملة المصروف على [هذا] القصر أربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم ، من ذلك لازَوَرْدٌ خاصة بمائة ألف درهم . فركب السلطان إليه يوم فراغه وأعجب به ، وأنعم على يلبغا بتقدمة طرغاى[3] [الطباخى] نائب حلب ، وفيها عشرة أزواج بسط — منها زوج بسط حرير — ، وعدة أوانى بلّور وغيره ، وعدة خيول ، وجمال بخاتى . وتقدّم [السلطان] إلى الأمير آقبغا عبد الواحد بعمل سماط فى قصر يلبغا ، فنزل إليه ونزل النشو أيضاً حتى تهيأ [ذلك] ؛ وحضر الأمراء كلهم ، فأكلوا وشربوا يومهم إلى العصر . ثم خلع [السلطان] على (١٧١ ا) أحد عشر أميراً أحد عشر تشريفاً أطلس ، وأركبوا الخيول بسروج الذهب ؛ وخَلع على بقية الأمراء ما بين خلع كاملة وأقبية ، وأركبوا أيضاً الخيول المثمنة بسروج الذهب والفضة على قدر مراتبهم . وتولى السلطان تعبية ذلك بنفسه ، فكان مُهِمًّا عظيما : ذُبح فيه ستمائة رأس من الغنم ، وأربعون رأساً من البقر ، وعشرون فرساً[4] ؛ وعُمل فيه برسم المشروب ثلاثمائة قنطار من السكر .

وفى يوم الاثنين سابع عشرى رمضان هبّت ريح سوداء معتمة بناحية الغربية ، أظلم

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم جملة هذا المبلغ الجسيم مع مفرداته .

(٢) كذا فى ف ، وفى نسخة ب (٤٦٦ ب) "الف الف" .

(٣) فى ف "طوغاى" . انظر ما سبق ، ص ٤٥٢ ، سطر ١٥ ، وكذلك ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢١٦) .

(٤) هذه الإشارة الثالثة إلى ذبح الخيل وأكل لحمها فى الولائم الكبرى فى عهد المماليك . انظر ما سبق ، ص ٢٨٨ حاشية ٥ ؛ ٣٤٦ ، حاشية ٤ .

الجو منها؛ وسقطت دور كثيرة. ثم سقط بَرَد أسود مُرّ الطعم، جاءت به (١٧١ ب) الريح من نحو البحر حتى ملأ الطرقات، ووُزنت منه واحدة فكانت مائة وثمانين درهماً؛ ووجد فيه واحدة على قدر النارنجة، وعلى قدر بيض النعام، وما دون ذلك [إلى قدر البندقة] [١].

وكان الزرع قد قرب حصاده، فرمى سنبله، وحَصد كثير [٢] منه من أصله، وهلكت منه أغنام كثيرة. ورؤيت شجرة جميز فى غاية الكبر وقد سقط فى وسطها بردة على هيئة الرغيف — وهى سوداء —، فشقّتها نصفين كما يشقّ المنشار؛ ووُجدت بقرة مطروحة قد قطع ظهرها ببردة شقته نصفين. وتلفت زروع ثمانية وعشرين بلداً، فجمع زرعها وحمل إلى السلطان مع فلاحيها، واستغاثوا بالسلطان؛ فرسم لمتولى (١٧٢ ا) الغربية أن يكشف تلك النواحى، ويحرر ما أصابته الجائحة منها، ويحطّ خراجه عن الفلاحين؛ فامتثل ذلك.

و[فيه] قدم البريد من قوص بأن السماء احمرّت فى شهر رمضان هذا حتى ظهرت النجوم متلونة، فكانت تحمرّ ساعة وتسودّ ساعة وتبيضّ ساعة، إلى أن طلع الفجر؛ فجاء مطر لم يعهد مثله فى تلك البلاد. و[قدم البريد أيضاً] بأنه [٣] هبت ريح بأسوان ألقت عامة البيوت وكثيراً من النخل؛ وهبت أيضاً بعرب [٤] قمولة، فألقت ألفين وخمسمائة نخلة مثمرة؛ وقدم بذلك محضر ثابت على قاضيها.

وخرج ببلاد منفلوط فأر عظيم جداً، فحصد الزرع حصداً، وأتلف جرون الغلال [٥]، بحيث كان يذهب (١٧٢ ب) ربع الجرن [٦] فى ليلة واحدة. فصار الناس يبيتون بالمشاعِل على طول الليل، وهم يقتلون الفأر، ثم يتولى أمر النهار طائفة أخرى، وهم لا يفترون عن قتله؛ ثم يُحمل ما قتل منه فى شِبَاك، ويحرق بالنار على بُعد؛ وفيهم من يلقيه إلى النيل؛ فأقاموا مدة شهرين يحملون فى الشِّبَاك كل يوم نحو مائة حمل. وشوهد منه عجب: وهو أن جمعاً عظيما من فيران بيض خرجوا حتى ملأوا الأرض، فخرج مقابلهم فيران سود،

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٦٧ ا) فقط.

(٢) فى ف "حصد كثيرا". والمقصود هنا أن الزرع كان قد مات. انظر محيط المحيط.

(٣) فى ف "وانه هبت ريح باسوان".

(٤) انظر ما سبق، ص ٨٤، حاشية ١.

(٥) فى ف "الهلال"، وما هنا من ب (٤٦٧ ا).

(٦) فى ف "المخزن"، وما هنا من ب (٤٦٧ ا).

واصطفوا صفين فى أرض مساحتها فدانان ، ثم تصايحوا وحمل بعضهم على بعض ، واقتتلوا ساعة ؛ وانكسرت الفيران السود ، وتبعهم البيض يقتلونهم (١٧٣ ا) حتى مزّقوهم فى تلك الأراضى ؛ وكان ذلك بمحضر عالم كبير من الناس . فكُتب بذلك إلى السلطان والأمراء ، فانكسر للسلطان بناحية منفلوط بسبب الفأر نحو ستين ألف أردب فول .

وفيها رفعت قصة إلى السلطان تتضمّن أن الأمير ماكتمر الحجازى يركب النيل ومعه أرباب الملاهى فى عدة من المماليك السلطانية ، وأنهم يفعلون كل فاحشة و يأخذون حُرَم الناس . فاشتدّ غضب السلطان ، وطلب الحجازى وأخرق به ، وهدّده بالقتل إن عاد يركب النيل ؛ وأخرج [السلطان] ممن كان يعاشره من المماليك ستة وثلاثين رجلا إلى البلاد (١٧٣ ب) الشامية على البريد من يومهم ، وأخرج من الغد أربعين مملوكا من أصحابه بسبب شربهم الخمر .

و[فيها] تقدّم [السلطان] إلى والى القلعة ألا يمكّن أميراً من النزول إلا بمرسوم ، وأمر نقيب الجيش فدار على الأمراء كلهم وأعلمهم ألا ينزل أحد منهم من القلعة إلا بمرسوم السلطان ، ومَنْ نزل فلا يبيت إلا بالقلعة . وركب أمير مسعود الحاجب — ومعه والى القاهرة — ، وهدم مرامى النشاب التى بناها الأمراء لرمى النشاب خارج القاهرة ، وطلب جميع صناع النشاب ومنعهم من عمل النشاب الميدانى و بيعه لسائر الناس ، وأمر بدكاكين (١٧٤ ا) البندقانيين فغلّقت ، ومنع من عمل أقواس البندق و بيعها . وقصد [السلطان] بذلك كفّ أسباب اللهو ، فإنه كان يكره من يلعب و يلهو عن شغله وخدمته[1] .

وفيها شفع الأمير موسى بن مهنا فى لؤلؤ وغيره من المصادَرين ، فرسم [السلطان] لشاد الدواوين بكتابة أسمائهم — وكانوا خمسة وثلاثين رجلا ، ومنهم قرموط وأولاد التاج — ، فأفرج عنهم ما خلا قرموط وأولاد التاج .

وفيها أنشأ الأمير آقبغا عبد الواحد مدرسة بجوار الجامع الأزهر ، وكان موضعها دار الأمير ابن الحلى ؛ وألزم الصناع بالعمائر السلطانية (١٧٤ ب) أن يعملوا فيها يوماً من الأسبوع بغير أجرة ؛ فكان يجتمع فى كل أسبوع بها كل صانع بالقاهرة ومصر ،

(١) هنا إشارة إلى ناحية من أخلاق السلطان الناصر محمد .

ويعملون نهارهم . وحمل لها [آقبغا] جميع ما يحتاج إليه من عمائر السلطان ، وأقام بها من مماليكه شادًّا لم يُرَ أظلم منه ، فعسف الصناع وضربهم .

وفيها توقفت زيادة النيل عند ما قرب الوفاء ، ثم نقص ؛ فارتفع سعر الغلال حتى بلغ القمح عشرين درهما الأردب . ثم تراجع [النيل] ووَفَّى ستة عشر ذراعا ، بعد ما زاد ثلاثة أيام متوالية أربعة أذرع (١١٧٥) ونصف ذراع . وتلفت بسبب ذلك غلال كثيرة كانت فى الأجران ، فإنه زاد زيادة متتابعة على حين غفلة . وكانت سنة شديدة ، اتفق فيها من الأمطار والفأر والمصادرات وغير ذلك عدة محن .

ومات فيها من الأعيان مجد الدين إبراهيم بن الأجلّ أبى هاشم على بن الصدر الأديب أبى طالب محمد بن محمد الفامغار[1] — المعروف بابن الخيمى — ، فى سادس عشر جمادى الأولى ؛ ومولده سنة تسع وأربعين وستمائة ؛ وحدّث عن أبيه والرشيد العطار (١٧٥ ب) وغيره . و[مات] الأمير إبراهيم بن السلطان فى رابع عشرى ذى القعدة ، ودفن بتربة عمه الصالح على بن قلاون ، بالقرب من المشهد النفيسى . و[توفى] الطبيب الأديب شهاب الدين أحمد بن يوسف بن هلال الصفدى ، بالقاهرة عن سبع وسبعين سنة ؛ وله نظم جيد . و[توفى] الشيخ زين الدين عمر بن الجمال أبى الحزم[2] بن عبد الرحمن ابن يونس — المعروف بابن الكتانى — الدمشقى الشافعى ، شيخ الشافعية ، بالقاهرة فى يوم الأربعاء سادس عشر رمضان . و[توفى] قاضى القضاة الشافعى (١١٧٦) بدمشق شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن على الأربلى الشافعى ، بعد ما ألقته بَغْلته بأسبوع ، فى جمادى الأولى بدمشق . و[توفى] الشيخ زكى الدين محمد بن محمد ابن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل — المعروف بابن القوبع[3] — القرشى التونسى المالكى ، صاحب الفنون الكثيرة ، بالقاهرة عن أربع وسبعين سنة .

(١) فى ف "القاسعار" ، بغير ضبط ، وهو فى ب (٤٦٨ ا) برسم "القامغار" ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٨ — ٤٩) .

(٢) فى ف ، وفى ب (٤٦٨ ب) "الحرام" ، وما هنا من ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١١٧) حيث ورد أن أبا هذا الشيخ كان تاجراً يبيع الكتان ، ولذا عرف بابن الكتانى .

(٣) كذا فى ف ، وفى ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ١٨١) .

و[توفى] شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن النقجوانى(١) فى حادى عشرى المحرم ، ودفن بالقرافة . و[توفى] شيخ الإسلام شرف الدين (١٧٦ ب) هبة الله بن قاضى حماة نجم الدين عبـد الرحيم بن أبى الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد — المعروف بابن البارزى — الشافعى ، قاضى حماة ، فى نصف ذى القعدة ؛ ومولده فى خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة . و[مات] الأمير طغجى . و[مات] الأمير آقول الحاجب . و[مات] الأمير ظُلُظَيْه(٢) كاشف الوجه القبلى . و[توفى] كاتب السر محيى الدين ابن يحيى بن فضل الله بن مجلى العمرى ، فى يوم الأربعاء تاسع رمضان . و[توفى] جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن جملة ؛ وكان قد ولى قضاء دمشق بعد علم الدين (١٧٧ أ) الأخنائى ، ثم عُزل(٣) .

***

سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . [فى أول(٤) المحرم] قبض على امرأة خنّاقة(٥) ، وقُتلت .

و[فيها] قدم رسل الملك [أزبك صحبة(٦) الأمير سَرْ] طَقْطاى [مقدم البريدية]

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٤٢٧ ، سطر ٧ .

(٢) انظر ما سيق ، ص ٤٤٦ ، سطر ١٦ .

(٣) ذكر ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٨٠) فى أخبار هـذه السنة ، وهى سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) أن السلطان الناصر أمر " بتسفير على ومحمد بنى داود بن سليمان بن داود بن العاضد ، آخر خلفاء الفاطميين ، إلى الفيوم يقيمون به " ، وفى هذا ما يضيف إلى المعروف عن أواخر الفاطميين ، إذ المتواتر فى الكتب أنهم انقرضوا تماما فى عهد السلطان الظاهر بيبرس . (انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٦٩) ، والمقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٨٤ — ٣٨٥ ، ٤٩٦ — ٤٩٧) ، وابن واصل (مفرج الكروب — مخطوطة كمبردج — ١٢٧ — ١٢٨) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٦٨ ب) فقط .

(٥) فى ف ، وفى ب (٤٦٨ ب) أيضاً "الخفاقة" ، ولعل الصحيح ما بالمتن ، فإن الخفافة المرأة الخميصة البطن ، وقد شرحها (Dozy : Supp. Dict. Ar.) بأنها المرأة المتزوجة التى تستيقظ كل صباح لتطلب أنواعا من الطعام (en parlant d'une femme marieé, est celle qui, ayant faim le matin, demande différents mets) ، وليس من المعقول أن يكون مثل هذه المرأة معرضا لعقوبة القتل . هذا ويظهر أن المراد هنا لفظ "خناقة" ، ويوجد بالمقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢١٤) امرأة اسمها غازية الخناقة ، وقد قبض عليها وقتلت ، وكان ذلك فى زمن الأيوبين .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها من (Zattersteen : Op. Cit. p. 200) .

بهدية وكتاب يطلب فيه مصاهرة السلطان ؛ فجهزت إليه هدية ، وأنعم على رسله وأعيدوا . [وكان سر طقطاى قد توجّه رسولا إلى أزبك سنة سبع وثلاثين وسبعمائة] .

و [فيها] قدم الخبر بأن القان الكبير[١] عزم على المسير إلى العراقين ، وقدّم أمامه عسكراً ليسير إذا أخذ العراق إلى الشام . فسار ثمانى مراحل ، و بعث الله على ذلك العسكر ريحاً سوداء ، ثم صارت زرقاء تشتعل ناراً ، فيسقط الفارس وفرسه ميتين عند هبوبها ؛ (١٧٧ ب) وتمادى هبوبها يومين ، وكانوا زيادة على مائة ألف فارس ، فلم يرجع منهم إلى القان إلا نحو عشرة آلاف وهلك باقيهم . فسرّ السلطان بذلك .

و [فيها] قدم الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل صاحب حماة باستدعاء [السلطان] ، وقد كثرت شكاية الناس له من شغفه باللهو وأخذه أموال الرعية ، وقد شفع فيه الأمير تنكز نائب الشام . فقدّم [الأفضل] للسلطان والأمراء تقادم جليلة ، ثم سافر إلى بلده بعد ما وصّاه السلطان بحضرة القضاة ، وعدّد ذنوبه ، وأخبره أنه قبل فيه شفاعة نائب (١٧٨ ا) الشام ، ثم خلع عليه وسفّره .

وفيها اشترى بدر الدين أمين الحكم ملكا لبعض الأيتام ، فحضر إليه العلم القراريطى شاد القراريط[٢] يطلب منه موجب الديوان عن الملك المذكور ؛ فأفضى الحال بينهما إلى مفاوضة بمجلس قاضى القضاة عز الدين بن جماعة ، أطلق فيها العلم لسانه بما أوجب تعزيره ؛ فانصرف إلى النشو وعرّفه أنه لما طالب أمين الحكم بالقراريط[٣] عزّره ابن [جماعة] وكشف رأسه . فحرّك ذلك منه كامناً كان فى نفسه من ابن جماعة ، و بلغ السلطان ذلك ،

(١) المقصود بالقان الكبير سلطان الدولة المغولية الكبرى التى أسسها جنكزخان ، والتى تفرعت عليها الدول المغولية بفارس وبلاد القبجاق الشرقى والغربى وشبه جزيرة القرم وغيرها . وكانت تلك الدولة الكبرى قد ضاعت هيبتها ومساحتها فى أواسط القرن الثامن الهجرى ، وكان ملكها هذه السنة طوغان تيمور (٧٣٢ — ٧٧١ هـ) . انظر (Zambaur : Op. Cit. p. 242) .

(٢) فى ف "القرار" ، أكثر من مرة بهذه الصفحة والتى تليها من مخطوطة ف ، وهو فى ب (٤٦٨ ب) "القرايط" ، والصحيح ما هنا بالمتن . والقراريط مكس من المكوس السلطانية التى بقيت بمصر إلى ما بعد عهد السلطان الناصر ، وقد عرفه المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٦) بالآتى : "وأما ضمان القراريط فإنه كان يؤخذ من كل من باع ملكا ، عن كل ألف درهم عشرون درهما ..." . وقد ألغى هذا المكس مع ضمان الأغانى سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٦ م) ، فى عهد السلطان الملك الأشرف شعبان .

(٣) فى ف "القرار" . انظر الحاشية السابقة .

وشنّع عليه بأن أمين الحكم لما امتنع من دفع (١٧٨ ب) القراريط[١] عن الملك أخرج إليه العلم مرسوم السلطان وعليه "محمد بن قلاون"، فأخذه منه ورماه بالأرض عند النعال، وقال: "تجعل فى مجلس الحكم الباطلَ حقّا لتأخذ أموال الأيتام؟"، ثم كشف رأسه وضرب به بالدِّرّة[٢]. فغضب السلطان وطلب أمين الحكم، وأمر طاجار[٣] الدوادار [بضربه]؛ فضربه على باب القصر بالقلعة — والنشو جالس — ضربا مؤلما، وقطع أكمامه؛ وشهّره بالقلعة ونودى عليه: "هذا جزاء من يمنع الحقوق السلطانية"؛ وأُلزم بحمل عشرين ألف درهم، ورسِّم عليه، فقام منها بخمسة عشر ألف درهم.

وفى شهر (١٧٩ ا) ربيع الأول قبض على أوحد الدين شيخ خانكاه بيبرس — وهو بالروضة تجاه مصر —، على حال غير مرضى؛ وأخرج إلى القدس منفيا.

و[فيها] قدم الخبر بأن ابن دلغادر استولى على قلعة طُرَنْدَة[٤] من بلاد الروم، وأخذ ما فيها من الأموال، وأن الأمير تنكز بعث إليها الأمير علاء الدين على بن صبح. فسرّ السلطان بذلك، وبعث بتشريف لابن دلغادر، وشكره وأثنى عليه.

و[فيه] استقرّ الأمير بكتمر العلائى الأستادار[٥] فى نيابة حمص، بعد وفاة الأمير جركتمر.

و[فيه] أُخرج الأمير منكلى بغا الفخرى إلى دمشق؛ [واستقرّ[٦] من مقدمى الألوف بها].

و[فيه] أنعم على كل من قطليجا الحموى (١٧٩ ب) وطاجار[٧] الدوادار بإمرة طبلخاناه.

وفى ربيع الآخر قدم الأمير ألطنبغا[٨] نائب حلب، [وصحبته تقدمة جليلة؛ وأُخلع

(١) كذا فى ف، انظر الحاشية السابقة. (٢) الدرة السوط يضرب به. (قاموس المحيط).

(٣) فى ف "طاشار". انظر ما سبق، ص ٤٠٢.

(٤) بغير ضبط فى ف، وهى بلدة على مسافة ثلاث مراحل من ملطية بأطراف آسيا الصغرى (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٣٤).

(٥) فى ف "استادار" وقد عدل بالتعريف بعد مراجعة (Zetterstéen : Op. Cit. p. 198).

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 199).

(٧) فى ف "طاشار". انظر حاشية ٣ بهذه الصفحة.

(٨) فى ف "اطنبغا"، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 199)، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها.

عليه عند وصوله ، وعُزل عن نيابة حلب ، واستقرّ من كبار الأمراء بالديار المصرية] .

وفى تاسعه سارت الحرّة المغربية عائدة إلى بلادها ، بعد قضاء حجّها .

وفى حادى عشر جمادى الأولى قدم الأمير تنكز نائب الشام . وذلك أن ابنته التى تحت السلطان قرب وضع حملها ، فكتب [السلطان] يستدعيه — ومعه أهله وأولاده — لأجل مهمّ ابنته . وتقدّم [السلطان] إلى النشو بعمل بشخاناه وداير بيت من حرير مخمل ، ويزر كشهما بمائة ألف دينار ؛ و[أمره أن] يجهز خمسين تشريفاً للأمراء ، منها ثلاثة وعشرون تشريفاً أطلس (١٨٠ ا) بحوائص ذهب كاملة ، وبقيتها ما بين طرد [وحش] ومصمط ؛ و[طلب إليه أيضاً أن] يجهز ما تحتاج إليه النفساء ، وما يُحتاج إليه من السروج ونحوها ، وما يُحتاج إليه المهمّ مما يبلغ زيادة على ثلاثمائة ألف دينار .

فأخذ النشو فى التدبير لذلك ، ورتّب جهاته من ثمن سكر وعسل وقَنْد وقماش وخشب يطرحه على الناس ، وعمل أوراقاً بمظالم اقترحها بلغت جملتها خمسمائة ألف دينار ومائة ألف أردب غلة ، وأعلم بها السلطان من الغد . وطرح [النشو] ما عنده من البضائع على الناس بمصر والقاهرة ، حتى زلزلها بكثرة العقوبة ، ولم يراع أحداً . فخنق من ذلك الأمير (١٨٠ ب) الحاج آل ملك ، وبلّغ السلطان ما نزل بالرعية من الظلم ، فلولا ما كان من ملاطفة الأمراء [فى] الحال لكان له وللسلطان شأن غير مرضى .

فلما قدم البريد بتوجه الأمير تنكز من غزة إلى القاهرة ، بعث السلطان بالأمير قوصون إلى لقائه ومعه المطبخ ؛ وركب السلطان إلى قصوره بسرياقوس ومعه أولاده . فنزل قوصون السعيدية[1] ، وهيأ الأسمطة الجليلة ؛ وتلقّى الأمير تنكز وترجّل إليه ، فنزل الأمير تنكز أيضاً ، ومشيا خطوات حتى تعانقا ، وركبا إلى الخيمة[2] التى نصبها السلطان للأمير تنكز (١١٨١) . فلما انقضى السماط ركب تنكز ، [فتلقاه أوّلاً] أولاد السلطان ، فترجّل لهم ؛ ثم سار وهم معه ، فتلقاه السلطان وأكرمه غاية الكرامة . ثم سار

---

(١) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٧٤ ، حاشية ٢ ؛ ص ٥٧١ ، حاشية ٥) .

(٢) فى ف "وركبا الى الخام الذى نصبه السلطان" ، وقد تقدم لفظ "الخام" كثيرا بمعنى الخيمة — أو الخيام — ، ودأب الناشر على تصحيحه بغير تعليق .

[السلطان] من الغد وطلع قلعة الجبل ، وخلع عليه وعلى أولاده وأمرّهم ، فدخلوا وأهليهم إلى الدور .

وفيه رُسم بخروج الأمير ألطنبغا نائب حلب إلى نيابة غزة وخُلع عليه ، فاتُّهم الأمير تنكز بأنه حمل السلطان على ذلك .

ونزل الأمير تنكز من القلعة إلى بيته (١) بخط الكافورى من القاهرة ، وجهّز (٢) به تقادم السلطان وتقادم الأمراء ، وحملها من الغد ؛ وكانت شيئاً يجلّ عن (١٨١ ب) الوصف : فيها من صنف الجوهر ما قيمته ثلاثون ألف دينار ، ومن الزركش عشرون ألف دينار ، ومن أوانى البلّور وتعابى القماش والخيل والسروج والجمال البخاتى ما قيمته مائتان وعشرون ألف دينار . فلما انقضت نوبة التقادم أدخله السلطان إلى الدور حتى رأى ابنته ، وقبّلت يده . ثم أخرج السلطان إليه جميع بناته وأمرهنّ بتقبيل يده ، وهو يقول لهنّ واحدة بعد واحدة : "بوسى يد عمك" ؛ ثم عيّن منهنّ اثنتين لولدى تنكز . فقبّل [تنكز] الأرض ، وخرج والسلطان (١٨٢ ا) يحادثه .

وتقدّم السلطان إلى النشو (٣) بتجهيز تنكز إلى الصعيد للصيد ، ثم ركب وتوجه إلى بلاد الصعيد وتنكز معه ؛ فكان من إكرامه له فى هذه السفرة مالا عُهد من ملك مثله . فلما عاد السلطان أمر النشوَ بتجهيز كلفة عقد ابنى تنكز على ابنتيه ، وكلفة سفر تنكز إلى الشام . فأخذ [النشو] أموال التجار وغيرهم ، وجمع أربعة عشر ألف دينار ، حُمل منهما برسم المهر أربعة آلاف دينار ؛ وجُهّز الأمير تنكز باثنى عشر ألف دينار . وعُقِد لولدى تنكز على ابنتى السلطان فى بيت الأمير قوصون ، بحضرة القضاة والأمراء .

ثم ولدت ابنة تنكز (١٨٢ ب) من السلطان بنتا ، فسجد [تنكز] لله شكراً بحضرة السلطان ، وقال : "والله ! يا خوند ! كنتُ أتمنى أن تكون المولودة بنتا ، فإنها لو وضعت

(١) ذكر محمد رمزى بك أن هذا البيت الذى عرفه المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٤) بأنه كان من أجلّ دور القاهرة وأعظمها ، قد صار فى مكانه اليوم بيت آل البكرى بخط الخرنفش . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٢٩ ، حاشية ١ — ٢) .

(٢) فى ف "تجهز" .

(٣) فى ف "فتقدم بتجهيزه الى الصعيد ..." ، وقد عدلت إلى المثبت هنا للتوضيح .

ذكراً كنتُ أخشى من كمال السعادة . فإن السلطان تصدّق علىّ بما غمرنى به من السعادة ، نخشيت من كمالها " .

وأخذ السلطان [مع النشو] فى تجهيز تنكز على عادته ، و [أمره] أن يضاعف له ما جرت به عادته من الخيل والتعابى ؛ ورتّب [السلطان] ذلك بنفسه ، فكانت قيمته مائة وخمسين ألف دينار عيناً ؛ وكان (١) تنكز قد أقام مدة شهرين ، وراتبه السلطانى فى كل يوم أربعة (١٨٣ ا) آلاف درهم .

فلما ودع [تنكزُ] السلطانَ سأله فى إعفاء الأمير جِكِن من الخدمة ، وأن ينعم عليه بسفر لؤلؤ الحلبى إلى الشام ليستقر فى شدّ عِدَاد الأغنام ، وأن يُنْقَل الأمير بيبرس الحاجب من حلب إلى دمشق ، وأن ينعم على قرمشى بإمرة ويستقرّ حاجبا بدمشق عوضا عن علاء الدين بن صبح . فأجابه [السلطان] إلى ذلك كله ، وكَتب له تقليدا بتفويض الحكم فى جميع الممالك الشامية (٢) بأسرها ، وأن جميع نوابها تكاتبه بأحوالها ، وأن تكون مكاتبته : " أعز الله أنصار المقر الشريف " ، بعد ما كانت " أعز الله (١٨٣ ب) أنصار الجناب " ، وأن يزاد فى ألقابه : " الزاهدى العابدى العالمى كافل الإسلام أتابك الجيوش " . وأنعم [السلطان] على مغنية قَدِمت معه من دمشق بعشرة آلاف درهم ؛ وحَصل لها من الدور ثلاث بدلات زركش ، وثلاثون تعبية قماش ، وأربع بدلات مقانع (٣) ، وخمسمائة دينار ؛ فبلغ متحصلها نحو سبعين ألف درهم . ثم [كان] آخرُ ما قال له السلطان : " أيش بقى لك حاجة ؟ أو فى نفسك شىء أقضيه قبل سفرك ؟ " ؛ فقبّل [تنكز] الأرض ، وقال : " والله ! ياخوند ! ما بقى فى نفسى شىء أطلبه إلا أن أموت فى أيامك " ؛ فقال السلطان : (١٨٤ ا) " لا ! إن شاء الله يا أمير تعيش أنت وأكون أنا فداك ، أو أكون بعدك بقليل " . فقبّل [تنكز] الأرض وانصرف ، وقد حسده جميع الأمراء ، وكثر حديثهم فيما حصل له من الكرامة والمعزّة . واتفق ما قاله السلطان ، فإنه لم يقم بعد موت [تنكز] إلا قليل ، ومات كما سيأتى ذكره .

---

(١) فى ف " واقام تنكز مدة شهرين راتبه السلطانى ... " ، وقد عدلت للتوضيح .
(٢) هنا تغيير هام فى نظام الحكم بنيابات الشام بالدولة المملوكية فى عهد السلطان الناصر .
(٣) انظر ما سبق ، ص ٤٣٣ ، حاشية ١ .

وفيها أنعم على الأمير يلبغا اليحياوى بالمنزلة من أعمال أشموم ، فركب إليها النشو وحفر لها ترعة ، وأخرق بمتولى أشموم ، وألزم آقبغا [السيفى (١)] متولى الغربية بمائة ألف درهم .

وفيه استقرّ علاء الدين على بن الـكورانى فى ولاية (١٨٤ ب) الغربية ، [عوضا عن آقبغا (٢) السيفى] ؛ و[استقرّ شهاب الدين] بن الأزكشى فى [ولاية] الأشمونين ، [عوضا عن ابن الـكورانى ؛ واستقرّ نجم الدين أيوب فى ولاية الشرقية ، عوضا عن ابن الأزكشى] .

وفى مستهلّ جمادى الأولى صُلِّى صلاة الغائب بمصر والقاهرة على قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى ، فاستقرّ عوضه الشيخ تقى الدين على بن السبكى .

وفيه أُخرج آقوش الزينى إلى حلب .

و[فيه] أُخرج الأمير [عز الدين] أيدمر (٣) العمرى إلى صهيون ، وأنعم بإقطاعه على ولده أبى بكر ؛ فأحاط النشو بموجوده ، وأخذ له ثمانين ألف دينار .

و[فيه] قدم البريد بأن التركمان ساقوا إلى دمشق عشرين ألف رأس من الغنم ليبيعوها بالقاهرة ، فلما حضرت رُسم ألا يؤخذ (١٨٥ ا) منهم المقرّر — وهو أربعة دراهم الرأس — ، بل يؤخذ عن كل مائة درهم خمسة دراهم (٤) . و[كان التركمان قد] شكوا من أزدمر والى بهنسا ، فـكُشف عنه فوُجد أنه كثر ظلمُه وأخذُه لأموال الرعية ، فأحيط بضياعه وأمواله ، وأنعم ببعض ضياعه على الأمير تنكز نائب الشام ، وَوُقِف بعضها على قلعة طرندة ببلاد الروم .

وفيها قدم الشريف مبارك بن عطيفة بخيله ، فسجن مع أبيه ، لـكثرة إفساده بالحجاز .

و[فيها] اتفق موت ابنة الأمير الـكبير شمس الدين (٥) إلدكز المنصورى — زوجة الأمير

---

(١) انظر الحاشية التالية .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 200) .

(٣) فى ف "اسندمر" ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 199) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٤) هنا إشارة إلى ضريبة من ضرائب الواردات فى الدولة المملوكية فى العصور الوسطى .

(٥) فى ف "ابنه الـكبير الامير شمس الدين ..." ، ولعل الصحيح ما هنا .

ناصر الدين بن المحسنى (١٨٥ ب) — ، بعد عودها من طرابلس ، عن بنت وأخت وزوج ؛ فأخذ النشو جميع مخلفها ، وكان شيئا كثيرا .

و[فيها] مات بعض الكتّاب وترك بيتا على الخليج ، فلم يجسر أحد يشتريه إلى أن قلّبته ابنة الأمير قطز بن الفارقانى لتشتريه فلم يعجبها ؛ فألزمها النشو أن تشتريه بمائة ألف درهم ، فما زالت به حتى صالحها على شىء حملته وتركها .

و[فيها] هلك بطريق النصارى[1] [الأقباط] ، فنزل النشو إلى الكنيسة وأخذ كل ما فيها من حاصل ذهب وفضة وشمع وغيره .

و[فيها] ماتت امرأةُ طُُلُطَيْه[2] الكاشف ، وقد تزوجت بعده وخلّفت ولدا ذكرا ؛ (١٨٦ ا) فأخذ النشو موجودها كله بحجة أن طُُلُطَيْه[3] أخذ مال السلطان وتركه بعد موته عندها .

وفيها ظفر النشو بحلى لنساء أمين الدين قرموط ، فأغرى به السلطان حتى سلّم ولده وصهره وأهله لوالى القاهرة .

و[فيها] جدّد [النشو] الطلبَ على أولاد التاج إسحاق ، وعوقب نساؤهم حتى مات بعضهنّ من العقوبة .

و[فيها] طلب [النشو] المال الحاصل بالمارستان المنصورى ، فقام الأمير سنجر الجاولى فى ذلك ، حتى أن ابتيع للوقف من أراضى بهتيت[4] من الضواحى مائتان وخمسون فدانا بأربعمائة ألف درهم ؛ [و] حُملت إلى النشو .

(١٨٦ ب) وفيها قبض على شهاب الدين أحمد بن محيى الدين بن يحيى بن فضل الله ،

---

(١) فى ف "الفضلا" ، وما هنا من ب (٤٧٠ ب) ، وكان بطريق الأقباط المتوفى تلك السنة بنيامين الثانى (Benjamin II) . انظر (Butcher. Op. Cit. II. pp. 201, 204) .

(٢، ٣) فى ف "صلطيه" . انظر ما سبق ، ص ٤٤٦ .

(٤) فى ف "بهت من الطواحى" ، والرسم المثبت هنا من ب (٤٧١ ا) . انظر أيضاً ابن الجيعان (التحفة السنية ، ص ٦) ، حيث وردت هذه البلدة مع بلدة الأميرية ضمن الحبس الشرقى — أو الحبس الجيوشى — من ضواحى القاهرة ، وأنها كانت فى زمنه وقفا على المارستان المنصورى خاصة . وقد أورد المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٢٩) هذه البلدة باسم "بهتين" ، وذكر محمد رمزى بك أنها حرفت إلى "بهتيم" فى العهد العثمانى . انظر أيضاً مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٩٨ — ٩٩) ؛ وفهرس مواقع الأمكنة ، ص ٥٠ .

فى رابع عشرى شعبان. وسببه أن الأمير تنكز لما سأل السلطان أن يولى علم الدين محمد ابن القطب أحمد بن مفضل كاتب السرّ بدمشق، وأجابه [السلطان] وخلع عليه، حدّث شهابُ الدين السلطانَ فى أمره، وقال: "هذا رجل قبطى لا يدرى هذه الصناعة!"، فلم يعبأ بقوله. ثم رسم [السلطان] أن تُكثر ألقاب(١) [علم الدين] ويُزاد فى معلومه، فامتنع شهاب الدين من ذلك واحتدّ خلقه، وفاجأ السلطان بقوله: "كيف يكون رجل أسلمى تعمله (١٨٧ ا) كاتب السرّ، وتزيد فى جامكيته؟ مايفلح من يخدمك، وخدمتك علىّ حرام"؛ ونهض من بين يدى السلطان قائما. فما شكّ الأمراء فى أن السلطان يضرب عنقه، فرعى فيه حق أبيه ولم يؤاخذه. ودخل شهاب الدين على أبيه [محيى الدين] وعرّفه ما كان منه، فخاف خوفا شديدا، وقام مع الأمراء فى ترقيع هذا الخرق، ودخل إلى السلطان فقبّل الأرض وطلب العفو؛ فعرّفه السلطان أنه لأجله حَلُم عليه وصَفَح عنه، ورَسَم أن يدخل ابنه علاء الدين علىّ فى المباشرة عنه، عوضا عن شهاب الدين. فاعتذر [محيى الدين] بأن [ابنه علاء الدين(٢)] صغير لا ينهض أن (١٨٧ ب) يقوم بأعباء الوظيفة، فقال السلطان: "أنا أربيه كما أعرف". فباشر علاء الدين عن أبيه إلى أن مات أبوه، وشهاب الدين منقطع بداره طول تلك المدة من الغبن.

فلما كان فى هذه السنة شكا قاضى القضاة عز الدين بن جماعة أنه كُتِب توقيع لابن الأنصارى برجوعه إلى مباشرته، ورماه بقوادح. فطلب السلطان الأمير طاجار(٣)، وأنكر عليه، فأحال على علاء الدين بن فضل الله أنه أعطاه قصته. فطلب [السلطان] علاء الدين وأنكر عليه، فاعتذر بأن أخاه شهاب الدين بعث بها (١٨٨ ا) إليه فاستقبح ردّها عليه. فقال له [السلطان]: "لا تكن تسمع من أخيك، فإنه نحس وما يقعد حتى أفعل به وأفعل به". فلم تمض إلا أيام حتى رفع شهاب الدين قصة يشكو فيها كثرة كلفه، ويطلب الإذن بالتوجه إلى دمشق؛ فذكّر [السلطان] بنفسه، وأمر به فقُبض عليه، وحُمل إلى القلعة. ورسم [السلطان] لطاجار الدوادار أن يعرّيه فى قاعة الصاحب،

(١) فى ف "القابه"، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح.
(٢) فى ف "فاعتذر بانه صغير"، وقد عدّلت العبارة بالإضافة بين الحاصرتين للتوضيح.
(٣) فى ف "طاجا". انظر ما سبق، ص ٤٠٢.

ويضرب به حتى يلتزم بحمل عشرة آلاف دينار ، [أو يموت تحت (١) العقوبة ؛ فعندما عرّاه طاجار رَجَف فؤاده وارتعدت مفاصله ، فإنه كان تَرِفاً ذا نعمة لم تمرّ به شدّة قط ؛ فكتب خطه بعشرة آلاف دينار] . ووقعت الحوطة على موجوده ، وأخذ له نحو خمسين ألف درهم ؛ وباع قماشه وأثاثه وأملاكه بدمشق حتى حمل مائة وأربعين ألف (١٨٨ ب) درهم ؛ وسكن الطلب منه .

وفيها وشى النشو بالأمير آقبغا عبد الواحد أن له خمسة آلاف رأس من الغنم ، قَدِمت من بلاد الصعيد ورعت براسيم الجيزة ، ومضت إلى الغربية فرعت الزرع . فطلبه السلطان وأخرق به ، فلولا شاء الله أن يتلطف الأمير بشتاك فى أمره وإلا أُوقع به المكروه .

وفيها خُلع على الأمير عز الدين أيدمر كاشف الوجه القبلى ، واستقرّ فى كشف الوجه البحرى .

وفيها أنشأ السلطان القناطر بجسر شيبين . وذلك أن بلاد الشرقية كانت لا تروى إلا من بحر أبى المنجا ، وفى أكثر السنين (١٨٩ ا) تشرق بلاد العلو منها ، مثل مرصفا وسنيت (٢) . وكان للأمير بشتاك بها ناحية شرقت ، فركب السلطان للنظر فى ذلك وصحبته المهندسون ، وكشف عدة مواضع ؛ وكان له بصر جيد وحدس صحيح (٣) ، فوقع اختياره على عمل جسر من شيبين إلى بنها العسل ، وتُعمر عليه قناطر لتحبس الماء ، فإذا فُتح بحر أبى المنجا وامتلأت المخازن رجع الماء إلى هذا الجسر ووقف عليه ؛ فوافقه المهندسون على ذلك . ورجع [السلطان إلى القاهرة] ، فكتب إلى الأعمال بجمع اثنى عشر ألف راجل وتجهيز مائتى قطعة جراريف . فلم تمض إلا أيام حتى قدم مشدّو البلاد بما عليهم من الرجال ، (١٨٩ ب) وشرعوا فى العمل حتى تمّ فى ثلاثة أشهر ؛ [و] كان يصرف فى كل يوم أجرة رجالٍ و [ثمن] كلفٍ مبلغ أربعين ألف درهم من مال النواحى التى للأجناد . فلما كانت

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٧١ ب) فقط .

(٢) كذا فى "ف" ، وقد كانت هذه البلدة من أعمال الشرقية كما بالمتن حتى زمن ابن الجيعان (التحفة السنية ، ص ٣٣) ، وهى الآن إحدى قرى مركز بنها من مديرية القليوبية . وقد ذكر محمد رمزى بك أنها سميت باسم "أسنيت" فى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ، وعرفت بتلك التسمية منذ تلك السنة . انظر فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٥ .

(٣) هنا إشارة إلى صفة من صفات السلطان الناصر محمد .

أيام النيل أبطل السلطان فتح سدّ بحر أبى المنجا ، وفتح عوضه سـد شيبين ؛ فرُويت البلاد كلّها ، ورُوى ما لم يكن يُروى قبل ذلك ؛ واستبحرت[(١)] عدة أماكن .

وفيها قدم أمير أحمد ابن السلطان من الـكرك باستدعاء ، للعبه وشغفه ببعض شباب أهل الـكرك ، وإسرافه فى العطاء لواحد[(٢)] [منهم اسمه الشهيب ، وكان جميل الصورة ، وقد هام به أمير أحمد غراماً وتهتّك فيه] . فلم يخرج أحد من الأمراء إلى لقائه ، فطلع مع بكتاش (١٩٠ ا) النقيب وحده ؛ فتلقاه طاجار من باب القـلّة ، ودخل به حتى قبّل الأرض ، ووقف ساعة ؛ ثم رُسِم له بتقبيل اليد ، ومضى إلى الدور[(٣)] من غير أن يقبل [السلطان] عليه . وأمر [السلطان] بعقوبة الشاب الذى كان يهواه حتى يحضر المال الذى وهبه له ؛ فبعث أحمد إلى الأمراء بسببه حتى عفى عنه ، وما زال يجدّ فى أمره إلى أن أذن له [أن يدخل[(٤)] عليه] و يقيم عنده .

وفيها أنعم [السلطان] على الأمير ملـكتمر الحجازى بإقطاع بهادر المعزى[(٥)] بعد موته ، وزاده النَّحْراوية[(٦)] ، [وكانت عبرتها] فى الشهر سبعين ألف درهم .

وفيها توجه الأمير تنكز نائب الشام من دمشق (١٩٠ ب) يريد بلاد سيس ، لكشف البلاد التى أُنعم بها عليه ؛ فمرّ على حماة ، ونادى بها ألا يقف أحد لملك الأمراء[(٧)] بقصة ، ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة ؛ وخَلَع على صاحب حماة . ومضى [تنكز] إلى حلب ، ودخل بلاد سيس ؛ فأهدى إليه تـكفور هدية سنية مع أخيه[(٨)] ، فقبلها وخلع

(١) فى ف "واستحر" ، وما هنا من ب (٤٧٢ ا) .

(٢) فى ف ، وفى ب (٤٧٢ ا) أيضا ، "للعبه وشغفه ببعض شباب اهل الـكرك واسرف فى العطا له" ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الـكامنة ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ، وما بعدها) ، حيث توجد قصة الأمير أحمد وهذا الغلام بتفصيل ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٣) المقصود بالدور هنا الآدر السلطانية بالقلعة . انظر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٧١ — ٢٧٢) ، وخليل بن شاهين (زبدة كشف الممالك ، ص ١٢١ — ١٢٢) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى ب(٤٧٢ ا) فقط .

(٥) فى ف "المغربى" ، وماهنا من ب (٤٧٢ا) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op Cit. p. 201) .

(٦) فى ف "النحريرية" ، وما هنا مما سبق ، ص ٤٠٢ . انظر أيضا المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٥٠) .

(٧) المقصود بذلك الأمير تنكز نفسه ، وكان كل نائب من نواب السلطنة المملوكية بالشام يلقب بهذا اللقب . انظر (Poliak : Feudalism in Egypt etc. pp 26,55) .

(٨) فى ف "اخيها" ، وما هنا من ب (٤٧٢ ا) .

عليه ؛ وعمّر [تنكز] تلك الضياع بالرجال والأبقار والغلال ، وعاد .

وفيها عملت أوراق بما على الدولة من الـكلف ، [فبلغت نحو مائتين (١) وثمانين ألف درهم فى الشهر ، فوفّر السلطان منها مايصرف] للمباشرين والأمراء من التوابل ، ووفّر (٢) شيئاً من مصروف العمائر ، ووفّر الدجاج المرتّب برسم السماط والمخافى (٣) الخاصة بالسلطان ، والمخافى (١٩١ ا) التى تحمل [الطيور المطبوخة ؟] كلّ يوم إلى الأمراء وعدّتها سبعمائة طائر فى كلّ يوم ؛ فكانت جملة ما توفّر فى كلّ شهر مبلغ تسعين ألف درهم . واتّفق بعد ذلك أن السلطان طلب أربعة أطيار دجاج ، فـكتب بها وُصول من بيت المال ؛ فاستقبح الناس ذلك ، ونسب توفير ما توفّر إلى النشو .

وفيها التزم النشو بتدبير الدولة ، على أن يتسلّم الجهات (٤) ، فأجيب إلى ذلك . فطلب [السلطانُ] الشمسَ نصر الله وخَلع عليه ، واستقرّ به فى نظر الجهات (٥) ، [عوضاً (٦) عن .... (٧) ؛ وخَلع على تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام ، واستقرّ به فى نظر الدولة ، عوضا عن العلم بن فخر الدولة ؛ وولى استيفاء الصحبة (٨) كريم

(١) مابين الحاصرتين وارد فى ب (٤٧٢ ا) فقط .

(٢) فى ف "وقريبا من مصروف العمايز" ، وما هنا من ب (٤٧٢ ا) .

(٣) فى ف "المخاصى" ، وما هنا من ب (٤٧٢ ا) . والمخافى جمع مخفية ، وهى طبق واسع كبير العمق ، يشبه فى شكله ما كان يعرف من الآنية فى العصور الوسطى باسم "طيفور" (plat creux) ، أو ما هو معروف الآن باسم سلطانية أو زبدية (écuelle) ، والشبه مع الفارق فى الحجم والسعة . وكانت توضع بالمخفية كميات كبيرة من أنواع اللحم والطعام فى الموائد الـكبرى ، وللرواتب المقررة للأمراء وأضرابهم عند السلطان . وقد ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٢٩) ، فى ترجمة الأمير بكتمر الساقى ، عبارة تشرح استخدام هذه المخافى وأحجامها ، ونصها : "وكان مما له على السلطان من المرتب فى كل يوم مخفيتان ، يأخذ عنهما من بيت المال فى كل يوم سبعمائة درهم ، عن كل مخفية ثلاثمائة وخمسون درهما" . انظر أيضاً (G-Demombynes : Masalik el Absar d'Ibn Fadl Allah Al-Omari. p. 208. Ns. 4,5) ، وكذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، والمقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٦٨) .

(٤) المقصود بلفظ الجهات هنا الحاصلات السلطانية . انظر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣) .

(٥) فى ف "نظر الدولة" ، وما هنا من ب (٤٧٢ ا) . وكان ناظر الجهات يعرف أيضا باسم ناظر الحاصلات ، وموضوع وظيفته ، حسبما ورد فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣) النظر "فى أموال جهات الوزارة من متحصّل ومصروف ، أو حمل لبيت المال وغيره" .

(٦) أضيف مابين الحاصرتين من ب ٤٧٢ (ا - ب) . راجع أيضا (Zetterstéen : Op. Cit. p. 202) .

(٧) بياض هكذا فى ب (٤٧٢ ا) . انظر الحاشية السابقة .

(٨) شرح القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩) وظيفة استيفاء الصحبة بالآتى ، ونصه "وصاحبها يتحدث فى جميع المملـكة مصرا وشاما ، ويكتب مراسيم يعـلّم السلطانُ عليها ، تارة تـكون بما يعمل فى البلاد ، وتارة بإطلاق ، وتارة باستخدامات كبار فى صغار الأعمال ، وما يجرى مجراه" .

الدين أخو تاج الدين المذكور] . وجلس [النشو] فى قاعة الصاحب بالقلعة ، وضَرب يعقوب مستوفى الجهات بالمقارع ، وألزمه بمال كثير ؛ وألزم جميع مباشرى الدولة من (١٩١ ب) الـكتّاب والشهود والشادّين بحمل معاليمهم المقرّرة لهم عن أربعة أشهر ، واحتجّ عليهم بأنهم أهملوا مَالَ السلطان ؛ فاستعاد من الجميع جوامك أربعة أشهر ؛ وقطع عليق جميع الأمراء والدواوين و بعض الخاصكية ؛ وطلب أرباب الأموال من أهل النواحى ، وأوقع الحوطة على موجودهم ؛ ولم يدع من يشار إليه بغنى أو زراعة إلا وألزمه بمـال ، حتى مشى على والى المحلة ، فإنه بلغه عنه أنه جمع مالا كثيراً ، فعاقبه وأخذ منه ثلاثين ألف درهم . وكتب [النشو] لجميع الولاة بشراء الشعير ، ودفع عنه ثلاثة دراهم الأردب ، وعن الحمل التبن درهما . فشكا (١٩٢ ا) الجند ذلك ، فلم يلتفت السلطان إليهم .

وفيها استقرّ المخلص أخو النشو مباشرَ ديوان الأمير آنوك بن السلطان ، وخُلع عليه تشريف من الخزانة بألف وستمائة درهم ؛ وجُهِّز له حمار بألف درهم ، وعدّته بخمسمائة درهم .

وفيها كانت وقعة بين ابن دلغادر نائب أبلستين و بين نائب الروم [(١)] ، قُتل فيها خمسمائة نفس ؛ ونَهب [ابن دلغادر] من أموال الروم شيئاً كثيرا ، ردّ منه بعد ما اصطلحا نحو عشرين ألف رأس ما بين غنم وخيل وجمال .

وفيها كثرت مصادرة النشو للناس من أهل مصر والقاهرة والوجه (١٩٢ ب) القبلى و[الوجه] البحرى ، حتى خرج فى ذلك عن الحدّ ، وادّغر [(٢)] الناس على اختلاف طبقاتهم .

وفيها استقرّ زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلفيائى [(٣)] فى قضاء القضاة الشافعية بحلب ، عوضا عن فخر الدين عثمان بن على بن عثمان — المعروف بابن خطيب جبرين .

و[فيها] استقرّ شهاب الدين أحمد بن فخر الدين أحمد بن قطب الدين إسماعيل بن يحيى الأنصارى المصرى فى كتابة السرّ بحلب ، عوضا عن تاج الدين محمد بن الزين خضر .

---

(١) المقصود بنائب الروم هنا الأمير أرتنا المغولى حاكم آسيا الصغرى . انظر ماسبق، ص ٤٤٥ .

(٢) فى ف "وادعو" ، وما هنا من ب (٤٧٢ ب) ، والمقصود بذلك أن النشو دغر الناس ، أى ضغطهم وأساء إليهم حتى استسلموا وانقادوا له . انظر محيط المحيط .

(٣) فى ف "البلفاى" ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الـكامنة ، ج ٣ ، ص ١٨٦) .

وفيها حدثت زلزلة بطرابلس فى رجب ، هلك فيها ستون إنسانا .

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ستة عشر ذراعا (١٩٣ ا) وعشر أصابع ، فلم تُرْوَ الأراضى كلّها ، وشرق كثير منها . وتحسّنت أسعار الغلال ، وكانت سنة كثيرة الحوادث .

ومات فيها من الأعيان جمال الدين أحمد بن شرف الدين هبة الله بن المسكين الإسنائى الفقيه الشافعى بإسنا — وقد جاوز السبعين — ، فى شوال . و[توفى] الأديب أبو المعالى خضر بن إبراهيم بن عمر بن محمد بن يحيى الرفا الخفاجى المصرى ، عن تسع وسبعين سنة . و [توفى] خطيب القدس زين الدين عبد الرحيم بن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الشافعى . و [توفى] قاضى (١٩٣ ب) الشافعية بحلب فخر الدين عثمان بن زين الدين على بن عثمان — المعروف بابن خطيب جبرين — الفقيه الشافعى ، بالقاهرة فى المحرم ؛ وله مصنّفات فى الفقه والأصول . و [توفى] علاء الدين على بن بلبان الفارسى الجندى الفقيه الحنفى ، بالقاهرة عن أربع وستين سنة . و [مات] أمير على بن أمير حاجب ؛ [كان] والى مصر ، وأحد أمراء العشرات ؛ [وكانت وفاته] وهو معزول ؛ و[قد] عنى بجمع القصائد النبوية ، حتى كمل عنده منها خمسة وسبعون مجلدا . و [مات] الأمير سيف الدين بهادر المعزى أحد أمراء الألوف ، فى ليلة الجمعة تاسع شعبان ؛ وبلغت تركته مائة ألف دينار ، أخذها (١٩٤ ا) النشو . و [مات] علم الدين عبد الله بن كريم الدين الكبير . و[مات] ناظر الجيش بدمشق فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله بن نجم الدين أحمد بن على — المعروف بابن الحلى — بالقدس ، و [كان] قد قدم[1] إليها ؛ فولى عوضه نظر الجيش بدمشق جمال الدين سليمان بن ريان[2] الحلبى . و [توفى] قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم القزوينى الشافعى ، بدمشق فى [يوم الأحد[3]] خامس عشر جمادى الآخرة ؛ ومولده بالموصل فى سنة ست وستين وستمائة . و [مات] الحافظ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد

(١) فى ف "قام" ، وماهنا من ب (٤٧٣ ا) .

(٢) فى ف "ديان" . وماهنا من ب (٤٧٣ ا) . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٤٥) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٧٣ ا) فقط .

البِرْزالى(١) (١٩٤ب) بخليص وهو مُحْرِم ، فى رابع ذى الحجة ، عن أربع وسبعين سنة . و [مات] الأمير علم الدين بن هلال الدولة بقلعة شيزر ، بعد ما ولى بالقاهرة شدّ الخاص وشد الأوقاف وشدّ المارستان [وشدّ الدواوين(٢)] ، وصار يضاهى الوزراء . و [مات] السعيد بن الكردوش ، وأخذ له النشو بعد موته خمسة عشر ألف دينار . و [مات] الأمير بدر الدين بيليك المحسنى بطرابلس ، بعد ما كان والى القاهرة ، و [توفى] المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبى بكر(٣) الجزرى الدمشقى ، عن إحدى وثمانين سنة . و [توفى] بدر الدين محمد بن عز الدين محمد بن عبد القادر ابن الصائغ الأنصارى (١١٩٥) الدمشقى الشافعى .

***

سنة أربعين وسبعمائة : فى يوم السبت مستهلّ المحرم قدم رسول الأمير يوسف ابن أتابك الكردى — صاحب الجبال وَوَطاة نصيبين — يخبر بكثرة جموعه من الأكراد ، وأنه رغب فى الانتماء إلى السلطان وضربِ السكة فى بلاده باسمه ؛ وطَلَبَ نجدته بعسكر يتسلّم ما بيده من البلاد ليكون نائب السلطنة بها ، وأن يُشرَّف بصناجق سلطانية عليها اسم السلطان لتعينه فى غاراته . فأجيب بالشكر ، وجُهزت له هدية وخيول وسلاح .

و [فيه] قدم الخبر بكثرة الفتن والغارات والاختلاف (١٩٥ ب) ببلاد المشرق ، من نحو الصين و بلاد الخطا إلى ديار بكر .

وفيه قدم مبشر و الحاج برخاء الأسعار وسلامة الحاج .

وفى يوم الأحد ثانيه(٤) قدم الأمير بشتاك من الحج ، وطلع القلعة بعد الظهر فى اثنى عشر رجلا — منهم أربعة نجابة — ، وصحبته الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بكتمر

(١) كان هذا الرجل مؤرخا مشهوراً ، وقد أخذ منه الكثيرون ممن يتداول الناشر أسماء كتبهم بهذه الحواشى ، ومنهم ابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية . انظر (Ency. Isl. Art. Ibn Kathir) . وللبرزالى كتاب تاريخ مصر ودمشق ، وهو ذيل على كتاب الروضتين لأبى شامة ، وله أيضاً كتاب مختصر المائة السابعة ، وكلاهما مخطوط . انظر (Ency. Isl. Art. al-Birzālī) .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (١٤٧٣) فقط .

(٣) لهذا المؤرخ كتاب كبير اسمه جواهر السلوك فى الخلفاء والملوك ، وهو مخطوط ، ويوجد منه بدار الكتب المصرية ثلاثة مجلدات يبتدىء أولها بسنة ٧٢٦ هـ ، وينتهى آخرها بسنة وفاة المؤلف . (انظر فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية ، ج ٥ ، ص ٨٠) .

(٤) الضمير عائد على شهر المحرم . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 203) .

الحاجب. وكان السلطان والأمراء والنواب قد قدّموا له عند سفره شيئًا يجلّ عن الوصف، فبعث السلطان له مائتى ألف درهم ومائة هجين وأربعين بختيا وستين جملا. فلما قدم[1] مكة فرّق فى الأمراء مالاً كثيراً، (١٩٦ ا) فبعث إلى كلٍّ من الأمراء المقدمين ألف دينار، وإلى كلٍّ من أمراء الطبلخاناه خمسمائة دينار؛ وفرّق فى الأجناد، وبعث إلى بيوت الأمراء بمال كثير. ثم استدعى المجاورين جميعهم والأشراف وغيرهم من أهل مكة والزيالعة[2]، وفرّق فيهم المال، ولم يبق بمكة أحد حتى أسدى إليه معروفاً. فكان جملة ما فرّق [بشتاك] ثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم، سوى ما وصل إليه فى المراكب من الغلال. فلما قدم [بشتاك] المدينة النبوية بعد قضاء نسكه فعل بها خيراً كثيرا؛ ومضى منها إلى (١٩٦ ب) الكرك، فتلقاه الأمير شطى [بن عبية أمير[3] آل عقبة] فى أربعمائة فارس من عربه وأضافه؛ ثم سار[4] [بشتاك ومعه الأمير شطى ومَن معه من العرب] إلى العقبة؛ وقدم إلى القاهرة [ثانى المحرم كما تقدّم].

وفى رابع عشريه قدم ركب الحاج.

وفيه انقطع مَقْطَع[5] بالقناطر التى أنشأها السلطان على جسر شيبين؛ فركب إليه الأمير برسبغا الحاجب، وجمع له من النواحى أربعة آلاف رجل، واستدعى بالأخشاب والصوارى من [دار] الصناعة[6] بمصر، وغرّق فيه عدة مراكب. فأقام [برسبغا] اثنين وعشرين يوماً حتى سدّ المقطع؛ وبلغ المصروف عليه فى ثمن مراكب غرقت وثمن صوارى وحجارة وجير وجبس وحلفا وأجرة رجال (١٩٧ ا) ثلاثين ألف دينار، غير سُخَر البلاد.

وفيها قدم زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلفيائى[7] قاضى حلب باستدعاء،

(١) فى ف "قدم من"، وهو خطأ يصححه مايلى. (٢) انظر ما سبق، ص ٥، حاشية ١.

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٨٩)، حيث ورد أن بيوت آل عقبة كانت ممتدة من البلقاء والكرك إلى تخوم الحجاز.

(٤) فى ف "ثم ساروا"، وقد عدلت بالإضافة بين الحاصرتين للتوضيح.

(٥) المقطع هنا الموضع الذى يُعبر فيه على الأنهار. (محيط المحيط).

(٦) فى ف "الصناع"، وما هنا من ب (٣٧٤ ب).

(٧) فى ف "البلفماى"، وما هنا من ابن الوردى (تتمة المختصر، ج ٢، ص ٣٢٨). انظر أيضا ما سبق، ص ٤٦٩، وكذلك ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٨٦).

فولى عوضه برهان الدين إبراهيم بن خليل بن إبراهيم الرسعنى[١] .

وفى هذا الشهر[٢] وضعت الست طولو قرطقا زوجة الأمير يلبغا اليحياوى — وأخت خوند زادو زوجة السلطان — ؛ فعمل لها السلطان مهمّا عظيما ، أقامت الأفراح سبعة أيام بلياليها ؛ ولم يبق أحد من الأمراء إلا و بعث بزوجته ، ففرّق السلطان فى نساء الأمراء جميعهن ما بين خمسمائة دينار إلى أربعمائة دينار إلى ثلاثمائة (١٩٧ ب) الواحدة . وكان [السلطان] قد عمل للنفساء قبل ولادتها داير بيت و بشخاناه ونحو ذلك بعشرين ألف دينار ، [وعمل لها[٣] عصابة مرصّعة بأنواع الجواهر قوّمت بخمسين ألف دينار] ؛ وأنعم على زوجها بثلاثة آلاف دينار .

وفى يوم الاثنين ثانى صفر قُبض على النشو ، وعلى أخيه شرف الدين رزق الله ، وعلى أخيه[٤] المخلص ، ورفيقه مجد الدين ، [وعلى صهره ولىّ الدولة] . وسبب ذلك أنه لما أسرف [النشو] فى الظلم بحيث قلّ الجالب للبضائع ، وذهب أكثر أموال التجار لطرح الأصناف عليهم بأغلى الأثمان ، وطَلَبُ السلطان منه يتزايد ، خافَ [النشو] العجز ، فرجع عن ظلم العامة (١٩٨ ا) إلى التعرّض إلى الخاصة ؛ ورتّب مع أصحابه ذلك .

وكانت عادته فى كل ليلة أن يجمع إخوته وصهره ومن يثق به للنظر فيما يحدثه من المظالم ، فيدلّه كلّ منهم على آبِدة[٥] ، ثم يفترقون وقد أُبرم للناس بلاء يعذّبهم الله به من الغد على يده . فكان مما اقترحه أن رتّب أوراقاً تشتمل على فصول يتحصّل فيها ألف ألف دينار عيناً ، وقرأها على السلطان : ومنها التقاوى السلطانية المخلّدة بالنواحى من الدولة الظاهرية بيبرس والمنصورية قلاون فى إقطاعات (١٩٨ ب) الأمراء والأجناد ، وجملتها مائة ألف وستون ألف أردب ، سوى ما فى بلاد السلطان من التقاوى ؛ ومنها الرِّزَق

(١) فى ف " الرسعى " ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٢٥) ، والنسبة إلى بلدة رأس العين . (٢) فى ف " وفيها " ، وما هنا من ب (٤٧٤ ا) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٧٤ ا) فقط .

(٤) فى ف "وعلى اخيه المخلص ومقدمى الخاص خلص ورفيقه مجد الدين" ، وقد صححت وأضيف ما بين الحاصرتين من (Zettersteen : Op, Cit. p. 203) . انظر أيضا ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٩ ، ص ١٣١) .

(٥) بغير نقط أو ضبط فى ف ، والآبدة الداهية يبقى ذكرها أبداً . (قاموس المحيط) .

الأحباسية على الجوامع والمساجد والزوايا وغير ذلك ، وهى مائة ألف فدان [وثلاثون ألف[1] فدان] — وقرّر [النشو] مع السلطان أن يأخذ التقاوى السلطانية المذكورة ، بأن يلزم متولى كل إقليم باستخراجها وحملها ، وأن يقيم شادًّا يختاره لكشف الرِّزَق الأحباسية ، فما كان منها على موضع عامر بذكر الله يعطيه نصف ما هو وقف عليه ، ويأخذ من مزارعه عن النصف الآخر بحساب مائة (١٩٩ ا) درهم الفدان ، ويلزمه بخراج ثلاث سنين ، وما كان من الرِّزَق على موضع خراب أو على[2] أهل الأرياف من الخطباء الجهال ونحوهم أخذ واستخرج من مزارعه خراج ثلاث سنين من حساب مائة درهم الفدان — ؛ ومنها أراضى الروضة تجاه [مدينة] مصر ، فإنها بيد أولاد الملوك[3] ، ويستأجرها منهم الدواوين وينشئون بها سواقى الأقصاب[4] ونحوها مما بلغ قيمة الفدان منه ألف درهم ، ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان — وقرر [النشو] مع السلطان أخذ أراضى الروضة للخاص ، وأن يقاس (١٩٩ ب) ما أبيع منها ، ويُؤخذ ممن هى بيده تفاوت قيمتها ، أو تجدّد عليه إجارة للسلطان بالقيمة — ؛ ومنها أرباب الرواتب السلطانية ، فإن أكثرهم عبيد الدواوين وغلمانهم ونساؤهم ، ويكتبونها باسم زيد وعمرو ؛ ومنها ما هو مرتّب لجماعة من النصارى والرهبان سكان الديارات — وقرّر [النشو] مع السلطان عَرْضَ جميع أرباب الرواتب والنظرَ فى تواقيعهم ، وإبقاء أرباب البيوت ومن يستحقّ على ما بيده ، وأَخْذَ تواقيع من عداهم وإلزامه بحمل جميع ما استأداه من تاريخ توقيعه إلى آخر وقت — ؛ (١٢٠٠) ومنها ذكر حواصل الأمير آقبغا عبد الواحد ، وتفصيل ماله من أملاك وأراضى ومتاجر ومرتّبات ورسوم على أرباب الوظائف السلطانية وعلى صناع العمائر ، وتفصيل ما حُمل إليه من العمائر السلطانية من الأصناف — وذكر [النشو] العمائر التى عمرها [آقبغا] من ديوان السلطان

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٧٤ ب) فقط . انظر أيضا ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٣١) .

(٢) فى ف "فى موضع خراب اولا على اهل الارياف" . وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٣١) .

(٣) لم يستطع الناشر أن يجد تعريفا لهذه التسمية فيما لديه من المراجع المتداولة فى هذه الحواشى ، وربما كان المقصود بها أولاد السلاطين المتوفين ، أو أولاد ملوك الأيوبيين ، فقد كان من أولئك بقايا مبعثرة فى ثنايا عصر المماليك بمصر والشام .

(٤) فى ف "الاقطاعات" ، وما هنا من ب (٤٧٤ ب) . انظر أيضا ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٣٢) .

وما له ببلاد الشام ، وجملتها وحدها خمسمائة ألف دينار ، سوى ما له بديار مصر ؛ ومنها ذكر ما أخذه الأمير طاجار الدوادار من البلاد الشامية ومن أهل مصر على قضاء أشغالهم ، وتفصيل أملاكه . وقرر [النشو] مع السلطان (٢٠٠ ب) القبض على آقبغا وطاجار ، فوافقه السلطان على ذلك .

وكان أول ما بدأ به [النشو] أن ندب جماعة لقياس الروضة جميعها مزدرعها وأراضى دورها ؛ وألزم أرباب الدور التى بها بإحضار كتب دورهم ، وأن يقوموا عن أراضيها بقيمتها من تاريخ شرائها ؛ ووكّل ابن صابر باستخراج ذلك منهم ، وأخذ عن البروز فى الدور خاصة مائة ألف وعشرين ألف درهم . وأمر [النشو] مباشرى الجوالى بقطع ما عليها من المرتبات عن جوامك القضاة والشهود ومشايخ العلم ونحوهم ؛ وكتب إلى جميع الأعمال (٢٠١ ا) بحمل مال الجوالى إلى خزانة الخاص ، ومن تعجّل منها شيًّا يستعاد منه ؛ فجمع من ذلك مالا كبيراً .

فانزعج الناس كلّهم ، ولم يتجاسر أحد من الأمراء على السلطان فى الحديث معه فى ذلك ، حتى ذكر [السلطانُ ؟] لهم أن له نحو المائتى ألف أردب غلّة فى البلاد وأنه يريد أخذها ؛ فتلطّف به الحاج آل ملك وبيبرس الأحمدى وجنكلى بن البابا حتى سمح بأن يتمهّل [بطلبها] حتى يفرغ الحرث ويقبض المغلّ .

فلما فرغ النشو من قياس الروضة ألزم أرباب الرواتب أن يحضروا إلى القلعة ومعهم تواقيعهم ، وألزم (٢٠١ ب) المباشرين بعملِ الحساب وحملِ ما تحت أيديهم من ذلك ، وألزم جميع أرباب الرِّزَق الأحباسية [بإحضار (١) تواقيعهم ؛ وبعث البريد إلى الأعمال بذلك ، وألزم ديوان الأحباس] بكتابة الرِّزَق كلها . فزلزل أرض مصر قبليها وبحريها ، ولم يقبل لأحد شفاعة حتى الأميرين بشتاك وقوصون ، فإنهما كانا إذا بعثا إليه فى شفاعة ردّ عليها ردًّا جافياً وأغلظ على رسلهما .

فاتفق الخاصكية جميعا عليه ، وندبوا للحديث مع السلطان الأمير يلبغا اليحياوى والأمير ملكتمر الحجازى وغيرهما ، فصار كل منهم يُسمع السلطان قبح سيرة النشو وهو

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٧٥ ا) فقط .

يتغافل ، إلى أن حدَّثه يلبغا وهو يومئذ (١٢٠٢ ا) أخصّ الخاصكية عنده ، وقال عنه : "ياخوند ! والله ! النشو يضرّك أكثر ما ينفعك" ، فتخيّل [السلطان] من كلامه. واتفق وصول الأمير قرمجى الحاجب من دمشق ، فأعاده [السلطان] سريعا ليستشير الأمير تنكز نائب الشام فى أمر النشو ، وأنه قد بغضه أهل الدولة كلّهم ، "مع كثرة نفعه لى".

ثم وجد[1] السلطان عدة أوراق فى حق النشو قد رُميت له من غير أن يعرف رافعها ، منهـا رقعة فيها :

أيا ملـكا أصبح فى نشوةٍ　　من نشوة الظالم فى نشـيه
أنشيته فلتنشئن ضغائنـا　　سترى(٢٠٢ب)غباوتهابصحبة غيّه
حكّمته فحـكمتَ[2] أمراً فاسداً　　وتوحّشت كلّ القـلوب لفحشه
سـترى بوارقها إذا ما أظلمت　　وتحكّمت أيدى الزمان ببطشه
ولتندمَنّ ندامة كُسَعِيَّة[3]　　يوماً إذا ذبح الخروف بكبشه

فلمـا قرأها السلطان تغيّر لونه ومزّقها . ووجد [السلطان ورقة] أخرى فيها :

أمعنتَ[4] فى الظلم وأكثرته　　وزدتَ يا نشو على العالم
ترى مَن الظالم فيكم لنـا　　فلعنـــة الله على الظالم

(١٢٠٣) وعن قريب عاد قرمجى فى سادس عشرى المحرم ، [وأخبر] عن نائب الشام "بأنه قد استفيض ما ذكره السلطان من بغض مماليكه للنشو ، وأن التجار وأرباب الأموال فى خوف شـديد من ظُلمه ، ورأىُ السلطان فيه أعلى" . وكان يوم وصوله بالقلعة منظراً مهولا ، فإنه اجتمع بهـا أرباب الرواتب والصـدقات ، وفيهم الأرامل والأيتام والزمناء والعميان ، وصاروا فى بكاء ونحيب ؛ فتقطّعت القلوب حسرات رحمة لهم . وشغل الله النشو عنهم بنفسه ، فحدث له قولنج وهو بخزانة الخاص .

فأمر [السلطان] الناس أن ينصرفوا[5] ويحضروا أول الشهر ، (٢٠٣ ب) ومَنْ تأخر

---

(١) فى ف "فوجد" ، وقد عدلت للتوضيح .

(٢) فى ف "حكمت" ، وكذلك فى ب (٤٧٥ ب) .

(٣) الإشارة هنا إلى "الكسعى" الوارد اسمه فى البيت المشهور للفرزدق الشاعر .

(٤) فى ف "امنعت" .

(٥) فى ف "فاقر الناس ان يصرفوا" ، وما هنا من ب (٤٧٥ ب) .

شَطَب على اسمه. فنزلوا بعد الظهر من القلعة، وتفرّقوا تلك الليلة بالجوامع فى القاهرة ومصر، وهى ليلة سابع عشرى المحرم، للدعاء بسبب توقّف النيل عن الزيادة، فإنه كان قد توقّف توقفاً زائداً، فلما قرب الوفاء نقص واستمرّ على نقصه أياماً؛ فصرفوا دعاءهم على النشو طول ليلتهم، وكانوا جموعاً كثيرة إلى الغاية. فأصبح النشو مريضاً، وانقطع بداره حتى فرغ[1] المحرم؛ فحذره الفاضل شمس الدين محمد بن الأكفانى من قَطْعٍ[2] مخوف فى أول صفر، يخشى منه إراقة دمه.

فلما كان (٢٠٤ ا) يوم الأحد أول صفر ركب النشو إلى القلعة، وبه أثر المرض فى وجهه؛ فقرّر مع السلطان إيقاع الحوطة على آقبغا عبد الواحد من الغد. فتقرّر الحال على أنه يجلس على باب الخزانة، فإذا خرج الأمير بشتاك من الخدمة جلس معه على باب الخزانة، ثم قاما إلى بيت آقبغا وأحاطا بموجوده كله.

فلما عاد [النشو] إلى داره عبر إلى الحمام ليلة الاثنين، ومعه ابن الأكفانى؛ فأمر بعض عبيده السود أن يحلق رأسه ويجرحه بحيث يسيل الدم على جسمه، ليكون ذلك حظه من القَطْع[3] [المخوف]؛ فَفُعل به ذلك، وتباشروا بما (٢٠٤ ب) دفع الله عنهم بهذا، وباتوا ليلتهم فى لذّات ومسرّات.

هذا وقد كان الأمير يلبغا اليحياوى قد وعك جسمه، فقلق السلطان لمرضه، وأقام عنده لكثرة شغفه به. فقال له [يلبغا] فيما قال: "يا خوند! قد عظم إحسانك لى، ووجب نصحك علىّ، والمصلحة القبض على النشو، وإلا دخل عليك الدخيل، فإنه ما عندك أحد من مماليكك إلا وهو يترقب غفلة منك؛ وقد عرّفتك ونصحتك قبل أن أموت"؛ وبكى. فبكى السلطان لبكائه؛ وقام وهو لا يعقل لكثرة ما داخله من الوهم لثقته بيلبغا، وطلب بشتاك وعرّفه (٢٠٥ ا) أن الناس قد كرهوا النشو، وأنه عزم على الإيقاع به؛ فخاف بشتاك أن يكون ذلك امتحاناً من السلطان، فوجد عزمه قويا فى القبض. واقتضى الحال إحضار الأمير قوصون أيضاً، فقوّى عزم السلطان على ذلك، وما زال به حتى قرّر معهما أخذه.

(١) فى ف "افرغ".

(٣،٢) ف "قاطع"، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٣٣).

وأصبح النشو يوم الاثنين ثانى صفر — وفى ذهنه أن القَطْعَ[1] الذى خُوِّف منه قد زال عنه بما دبّره له ابن الأكفانى من إسالة الدم، فعلّق عليه عدة من العقود والطلسمات والحروز —؛ وركب إلى القلعة. وجلس [النشو] بين يدى السلطان على عادته، وأخذ معه فى القبض على آقبغا عبد الواحد كما (٢٠٥ ب) قرّره؛ فأمره السلطان أن يجلس على باب خزانة القصر حتى يخرج إليه الأمير بشتاك، ثم يمضيا لإيقاع الحوطة على موجوده؛ فقام.

وطلب السلطان المقدّم ابن صابر، وأسرّ إليه أن يقف بجماعته على باب القلعة وباب القرافة، ولا يَدَعُوا أحداً من حواشى النشو وأقاربه وإخوته أن ينزلوا، وأن يقبضوا عليهم كلّهم. وأمر [السلطان] الأمير بشتاك والأمير برسبغا الحاجب أن يمضيا إلى النشو، ويقبضا عليه وعلى أقاربه. فخرج بشتاك وجلس على باب الخزانة، وطلب النشوَ من داخلها؛ فظنّ [النشو] أنه جاء لميعاده مع السلطان حتى يحتاطا على موجود آقبغا [عبد الواحد]؛ فساعة (٢٠٦ ا) ما وقع بصره عليه أمر مماليكه بأخذه إلى بيته من القلعة، وبعث إلى الأمير ملكتمر الحجازى فأخذ أخاه رزق الله وأخذ أخاه المخلص وسائر أقاربه. فطار الخبر إلى القاهرة ومصر، فخرج الناس كأنهم جراد منتشر. وركب الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير طيبغا المجدى والأمير بَيْغَرا[2] والأمير برسبغا لإيقاع الحوطة على بيوت النشو وأقاربه وحواشيه، ومعهم جمال الكفاة كاتب الأمير بشتاك، وشهود الخزانة.

وأخذ السلطان يقول للأمراء: "وكم تقولون النشو نهب أموال الناس! الساعة ننظر المال الذى عنده"؛ (٢٠٦ ب) وكان السلطان يظنّ أنه يؤديه الأمانة، وأنه لا مال له. فندم الأمراء على تحسينهم مسك النشو خوفاً من أن لا يظهر له مال، سيما قوصون وبشتاك من أجل أنهما كانا قد بالغا فى الحطّ عليه وإغراء السلطان به، فكثر قلقهما ولم يأكلا طعاماً، وبعثا فى الكشف عن الخبر.

فلما أوقع الأمراء الحوطة على دور المسوكين بلغهم أن حريم النشو فى بستان بجزيرة الفيل، فساروا إليه وهجموه، فوجدوا ستين جارية وأم النشو وامرأته وأخته وولديه وسائر

(١) فى ف "القاطع". انظر الحاشية السابقة.

(٢) فى ف "بغر"، وما هنا من (Zetterséen : Op. Cit. p. 183,etc).

أهله ، وعندهم مائتا جَنْبَة[1] عنب وقَنْد كثير ومعاصر ، (١٢٠٧) وهم فى عَصْرِ العنب . فختموا على الدور والحواصل ، ولم يتهيأ لهم نقل شىء منها .

هذا وقد غلّقت أسواق القاهرة ومصر ، واجتمع الناس بالرميلة تحت القلعة ومعهم النساء والأطفال ، وقد أشعلوا الشموع ، ورفعوا [على رؤوسهم[2]] المصاحف ، ونشروا الأعلام ، وهم يضجّون ويصيحون استبشاراً وفرحا بقبض النشو ؛ والأمراء تشير لهم أن يكثروا مما هم فيه ؛ واستمرّوا ليلة الثلاثاء على ذلك .

فلما أصبحوا وقع الصوت داخل باب القلّة من القلعة بأن رزق الله أخو النشو قد ذبح نفسه . وذلك أنه لما قُبض عليه تسلّمه الأمير قوصون ، ووكّل به أمير شكار ؛ (٢٠٧ ب) فسجنه [أمير شكار] فى بعض خزائن بيته ، وبات يحرسه حتى طلع الفجر ؛ [ثم] قام أمير شكار للصلاة ، فاستغفله رزق الله وأخذ من حياصته سكيناً ووضعها فى نحره حتى نفذت منه وقطعت وريده ؛ فلم يشعر أمير شكار إلا وهو يشخر وقد تلف . فصاح [أمير شكار] حتى بلغ [صياحه] قوصون ، فانزعج لذلك وضرب أمير شكار ضربا مبرحا إلى أن علم السلطان بالخبر ؛ فلم يكترث به .

وفى يوم الاثنين المذكور أفرج عن الصاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وأخيه ، ونزلا من القلعة إلى الجامع الجديد خارج مصر ؛ فقال الكمال جعفر (١٢٠٨) الأدفوى [فى يوم الإثنين هذا ، وفى معنى[3] مسك النشو وغيره هذه الأبيات] :

إن يوم الاثنين يومٌ سعيد فيه لا شكّ للبريّة عيد
أخذ الله فيه فرعون جهراً وغدا النيل فى رُباه يزيد

وقال شمس الدين محمد بن الصائغ المصرى [فى معنى مسك[4] النشو ، والإفراج عن شمس الدين موسى ، وزيادة النيل ، هذه الأبيات] :

لقد ظهرتْ فى يوم الاثنين آية أزالت بنعماها عن العالم البوسا
تزايد بحر النيل فيه وأُغرقت به آل فرعونٍ وفيه نجا موسى

(١) الجنبة هنا الكيس من الجلد المتخذ من جنب البعير . (قاموس المحيط ، ومحيط المحيط) .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٧٦ ب) فقط .

(٣،٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٣٦) .

وفيه زاد النيل بعد توقّفه ، فقال فى ذلك علاء الدين علىّ بن فضل الله كاتب السرّ :

في يوم الاثنين ثانى الشهر من صفرٍ
نادى البشير إلى أن أسمع (٢٠٨ ب) الفلكا
يا أهل مصرٍ نجا موسى ونيلكمُ
طغا وفرعونُ وهو النشوُ قد هلكا

وذلك أنه كان قد نَقص ، فلما قُبض على النشو زاد ست أصابع ثم ثمانى أصابع .

وفى يوم الثلاثاء ثالث صفر نودى بالقاهرة ومصر : "بيعوا واشتروا واحمدوا الله على خلاصكم من النشو" .

وفيه أخرج رزق الله أخو النشو فى هيئة تابوت امرأة حتى دفن فى مقابر النصارى ، خوفاً عليه من العامة .

وفيه أُدخل الأمير بشتاك على السلطان وطلب الإعفاء من تسليم النشو [إليه] ، خشية مما جرى على أخيه . فأمره [السلطان] أن يهدّده على إخراج (٢٠٩ ا) المال ، ثم يسلّمه لابن صابر . فأوقفه [بشتاك] وأهانه ، فالتزم أنه إن أُفرج عنه جمع للسلطان من أقاربه خزانة مال ، فسبّه ثم سلّمه لابن صابر . فأخذه [ابن صابر] ليمضى به إلى قاعة الصاحب ، فتكاثرت العامة تريد رجمه حتى طردهم نقيب الجيش ؛ وأخرجه [ابن صابر] فى زنجير (١) بعنقه حتى أدخله قاعة الصاحب ، والعامة تحمل عليه حملة بعد حملة ، والنقباء تطردهم .

وفيه طلب [السلطانُ] جمالَ الكفاة إبراهيم كاتب الأمير بشتاك ، وخلع عليه ، واستقرّ فى نظر الخاص عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله — المعروف بالنشو — ، بعد تمنّعه . ورُسم (٢٠٩ ب) له أن ينزل للحوطة على النشو وأقاربه ، ومعه الأمير آقبغا والأمير برسبغا وشهود الخزانة . فنزل [جمال الكفاة] بتشريفه ، وركب بغلة النشو ، حتى أخرج حواصله . وقد أغلق الناس الأسواق وتجمّعوا من كل موضع ، ومعهم الطبول والشموع وأنواع الملاهى وأرباب (٢) الخيال ، بحيث لم يوجد حانوت مفتوح

(١) فى ف "جنزير" ، وهو صيغة عامية للفظ الفارسى الأصل "زنجير" ، ومعناه السلسلة من حلقات الحديد الغليظة . (محيط المحيط) .

(٢) شرح (Lane : Modern Egyptians, P. 359) هذا النوع من الملهى شرحا قصيرا ، وهو ما يعرف فى الإنجليزية باسم (Chinese Shadows) .

نهارهم كله . ثم ساروا مع الأمراء على حالهم إلى تحت القلعة ، وصاحوا صيحة واحدة حتى انزعج السلطان ، وأمر الأمير أيدغمش بطردهم .

ودخل الأمراء على السلطان بما وجدوه للنشو ، وهو من العين خمسة عشر ألف دينار مصرية ، وألفان[١] (١٢١٠) وخمسمائة حبة لؤلؤ قيمة كل حبة ما بين ألفى درهم إلى ألف [درهم] ، وسبعون[٢] فصّ بلخش قيمة كل فصّ ما بين خمسة آلاف درهم إلى ألفين ، وقطعتان[٣] زمرّد فاخر زنتهما رطل ونيف ، وستون[٤] حبلا من لؤلؤ كبار زنة ذلك أربعمائة مثقال ، ومائة وسبعون خاتم ذهب وفضة بفصوص مثمّنة ، وكفّ مريم مرصّع بجوهر ، وصليب ذهب مرصّع ، وعدة قطع زركش ، سوى حواصل لم تُفتح . فخجل السلطان لما رأى ذلك ، وقال للأمراء : "لعن الله القبط ومن يأمنهم أو يصدّقهم" .

وذلك أن النشو كان يظهر الفاقة ، بحيث يقترض الخمسين درهما (٢١٠ ب) والثلاثين درهما حتى ينفقها . وبعث فى بعض الليالى إلى جمال الدين إبراهيم بن المغربى رئيس الأطباء يطلب منه مائة درهم ، ويذكر له أنه طرقه ضيف ولم يجد ما يعشّيه به ، وقصد بذلك أن يكون له شاهداً بما يدّعيه من الفقر . فلما كان فى بعض الأيام شكا [النشو] للسلطان الفاقة وابن المغربى حاضر ، فذكر أنه اقترض منه فى ليلة كذا مائة درهم ؛ فمشى ذلك على السلطان ، وتقرّر فى ذهنه أنه فقير لا مال له ؛ وصار [السلطان] يذكر ذلك كلّ قليل للأمراء .

واستمرّ الأمراء ينزلون كل يوم لإخراج حواصل النشو ، فوُجد له من الأوانى (١٢١١) الصينى والبلّور والتحف السنية شىء كثير .

وفيه ولى الموفق نظر البيوت[٥] .

و [فيه ولى] المجد بن المعتمد ديوان[٦] الأمير ملكتمر الحجازى .

---

(١) فى ف "الفا" ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٣٨) .

(٢) فى ف "سبعين" . (٣) فى ف "وقطعتين" . (٤) فى ف "وستين حبل" .

(٥) سمّى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣١) هذه الوظيفة باسم "نظر البيوت والحاشية" ، واعتبرها السابعة فى ترتيب الوظائف السلطانية الكبرى ، وذكر أن متوليها كان يشارك الأستادار فى جميع أعماله .

(٦) الواضح من المتن أنه كان للأمير المملوكى ديوان يقوم على شؤونه ، وربما كان ذلك أشبه بما يسمى "الدائرة" فى العصر الحاضر . والواقع إن الكبير من أمراء المماليك كان على حدّ قول القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٦٠) سلطانا مختصرا ، ويوجد فى نفس المرجع والجزء (ص ٦٠ — ٦٣) وصف واف لديوان الأمير المملوكى وموظفيه وهيئة الأمير نفسه فى المجتمع المملوكى .

وفى يوم الخميس خامسه زُيِّنت القاهرة ومصر زينة عظيمة مدة سبعة أيام ، وعُملت بها أفراح كثيرة ، ونَظم فيه العامة عدة أزجال و بلاليق[١] ، وأظهروا من الخيال[٢] واللهو ما يجلّ وصفه .

ووُجدت مآكل كثيرة فى حواصل النشو : منها نحو مائتى مَطَر[٣] [مملوءة] ملوحة[٤] ، وثمانين مَطَر جُبْنٍ ، وأحمال كثيرة من سُوَّاقة[٥] الشام ، ولحم كثير من لحم الخنزير ، وأربعة آلاف جرّة خمر ، سوى ما نُهب . ووُجد له أربعمائة (٢١١ ب) بدلة قماش جُدَد ، وثمانون بدلة مستعملة ، وزراكش ومفرّجات[٦] كثيرة . ووُجد له ستون بغلطاق نسائى[٧] مزركش ، ومناديل زركش عدة كثيرة . ووُجِد له عدة صناديق بها قماش سكندرى مما عُمل برسم الحرّة[٨] جهة ملك المغرب قد اختلسه ، وكثيرٌ من قماش الأمراء الذين ماتوا والذين قُبض عليهم . ووُجد له مملوك تركى ، [وكان النشو] قد خَصَاه هو واثنين معه ماتا ؛ و[كان قد] خَصَى أيضا أربعة عبيد فماتوا . فطُلِب الذى خصاهم ، وضُرب بالمقارع وجرّس . وتُتُبِّعت أصحاب النشو ، وضُرب منهم جماعة وشُهِّروا .

وفى يوم الاثنين تاسعه خلع على نجم الدين أيوب الكردى (١٢١٢) أستادار الأكز[٩] — وهو يومئذ والى الشرقية — ، واستقرّ والى القاهرة[١٠] عوضا عن علاء الدين على بن المروانى ؛ وأحيط بموجود[١١] [ابن المروانى] وصودر .

[وفيه] خلع أيضا على عز الدين ممدود بن علاء الدين على بن السكورانى ، واستقرّ فى ولاية مصر .

---

(١) البلاليق جمع بليق ، وهو الأغنية الشعبية ، وتكون عادة هزلية الألفاظ والمعانى (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

(٢) انظر ما سبق ، ص ٤٨٠ ، حاشية ٢ .

(٣) تقدم التعريف بهذا اللفظ فى ص ، ٢٤٣ ، حاشية ٦ .

(٤) الملوحة تسمية مصرية لنوع من السمك المملح .

(٥) ربما كان المقصود بذلك البضاعة التى اشتريت شيئا فشيئا ، على أن هذه تسمى فى محيط المحيط باسم "المسواق" .

(٦) فى ف "مفترجات" . انظر ما سبق ، ص ٣٣٦ ، حاشية ٣ .

(٧) فى ف "نساوى" . (٨) انظر ما سبق ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ — ٤٤٩ .

(٩) فى ف "الاكواز" . انظر ما سبق ، ص ٣٨١ ، حاشية ٢ .

(١٠) فى ف "وهو يوميذ والى القاهرة واستقر والى الشرقية" ، وما هنا من ب (٤٧٨ أ) . انظر أيضا (Zetterstéen : Op. Cit. p. 204) .

(١١) فى ف "بموجوده" ، وقد حذف الضمير وأثبت العائد للتوضيح .

و[فيه] خرج البريد بطلبِ الصاحب أمين الدين وزير الشام من دمشق .

و[فيه] وُجد لإخوة النشو ذخائر نفيسة : منها لصهره ولىّ الدولة صندوق فيه مائة وسبعون فصّ بلخش ، وستة وثلاثون مِرْمَلة[1] مكلَّلة بالجواهر الرائعة ، وإحدى عشرة عنبرية مكلّلة بلؤلؤ كبار ، وعشرون طراز زركش (٢١٢ ب) ، وغير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم وزمرّد ، وكوافى زركش ؛ قُوِّم الجميع بأربعة وعشرين ألف دينار .

و[فيه] ضُرب المخلّص أخو النشو ومُفلح عبده بالمقارع ، فأظهر المخلص الإسلام .

وفى يوم الأربعاء رابعه — وثالث عشرى مسرى — وفّى وفاء النيل ستة عشر ذراعا ؛ وفُتح الخليج من الغد على العادة .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره قدم أمين الدين من دمشق على البريد ، وطلع إلى بين يدى السلطان من الغد . وأجلسه [السلطان] وحادثه ، وخلع عليه خلعة الوزارة ، بطرحة خلعة القدوم ؛ فنزل [أمين الدين] إلى داره ، وتردّد الناس إليه .

و[فيه] أفرج عن (٢١٣ ا) الصفى كاتب الأمير قوصون ، وأعيد إلى ديوان قوصون عوضا عن علاء الدين ابن الحرّانى .

و[فيه] خُلع على ابن الحرّانى ، واستقرّ فى نظر الشام ، عوضا عن أمين الدين[2] .

وفى هـذه السنة لم يركب السلطان إلى الميدان للعب الأكرة ، فإن الأمراء لما تأخَّرت عقوبة النشو تنكّروا للسلطان وتنكّر لهم .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرى ربيع الأول وُجِدَت ورقة بين فرش السلطان ، فيها : " المملوك بيرَم الناصح للسلطان يقبّل الأرض ، وينهى أننى أكلتُ رزقك ، وأنت قوام المسلمين ، ويجب على كلّ (٢١٣ ب) أحد نصحك ، وأن بشتاك وآقبغا قد اتفقا على قتلك مع جماعة من المماليك ، فاحترس على نفسك " .

وكان الأمير بشتاك فى هذا اليوم قد توجه بكرة النهار إلى جهة الصعيد ، فطلب

(١) المرملة ظرف يوضع به الرمل الذى كان الكتّاب يستعملونه لتجفيف الكتابة ، وقد أفرد القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ ، ٤٨٠) للمرملة وأشكالها ، والرمل اللازم لها وأنواعه ، وصفاً طويلا ضمن ما أورده بصدد أدوات الكتابة ، كالدواة والقلم والملواق والمنشاة والمرملة وغيرها .

(٢) فى ف "امين الملك" . انظر ماسبق ، بهذه الصفحة ، وكذلك ص ١٠٦ ، حاشية ٣ .

السلطانُ الأميرَ قوصون والأمير آقبغا ، وأوقفهما على الورقة . فكاد عقل آقبغا أن يختلط من شدّة الرعب ؛ وأخذ قوصون يعرّف السلطان أن هذا فِعل من يريد التشويش على السلطان وتغيير خاطره على مماليكه . فأخرج السلطان البريد فى الحال لردّ الأمير بشتاك ، فأدركه بإطفيح وقد مدّ سماطه ، فقام ولم يمدّ يده (١٢١٤) إلى شىء منه ؛ وجدّ فى سيره حتى دخل على السلطان . فأوقفه | السلطان | على الورقة ، فتنصّل مما رُمى به كما تنصّل آقبغا ، ! واستسلم[1] وقال : "هذه نفسى ومالى بين يدى السلطان ! وإنما حَمَل من رمانى بذلك الحسد على قربى من السلطان وعظيم إحسانه إلىّ" ، ونحو هذا حتى رقّ له السلطان ، وأمره أن يعود إلى طُلبه ويتوجه إلى جهة قصده ؛ فسار .

ثم[2] طلب [السلطان] ديوان[3] الجيش ، ورسم له أن يكتب كلّ مَنْ اسمه بيرم ويحضره إلى الأمير آقبغا . فارتجّت القلعة والقاهرة لطلب المذكورين وعرضِهم وتهديدِهم وأخْذِ خطوطهم ، (٢١٤ ب) ليقابل بها كتابة الورقة . فلما أعيا آقبغا الظفر بالغريم وهو يراجع السلطان فى أمرهم ، اتّهم النشوَ أنها من مكايده . واشتدّ قلق السلطان وكثر انزعاجه ، بحيث لم يستطع أن يَقرّ بمكان واحد .

ثم[4] طلب [السلطان] والى القاهرة فى يوم الأربعاء ثالث عشريه ، وأمره أن يهدم ما بالقاهرة من حوانيت صناع النشّاب ، وينادى "مَنْ عَمِل نشّابا شنِق" ؛ فامتثل ذلك . وخُرِّبت[5] أيضا جميع مرامى النشّاب ، وغُلّقت حوانيت القوّاسين . ونزل الأمير برسبغا الحاجب إلى الأمراء جميعهم ، وعرّفهم عن السلطان أنّ مَنْ رمى بالنشّاب من مماليكهم (١٢١٥) أو حمل قوسا كان أستاذه عوضا عنه فى التلاف ، وألا يركب أحد من الأمراء بسلاح ولا تركاش نشّاب .

وبينا الناس فى هذا الهول الشديد ، إذ دخل شخص يعرف بابن الأزرق — كان

---

(١) المعنى أن الأمير بشتاك سلّم نفسه لرحمة السلطان .

(٢) فى ف "وطلب" .

(٣) الديوان هنا الموظف الذى يقوم بعمل من أعمال الدواوين السلطانية ، وهو فيما يظهر غير ناظر الجيش . انظر ما سبق ، ص ٢٤ ، حاشية ٣ .

(٤) فى ف "وطلب" .

(٥) فى "وخرب" .

أبوه ممن مات فى عقوبة النشو له عند مصادرته لجمال[1] الكفاة —، وطلب الورقة ليعرّفهم مَنْ كتبها. فقام [والى القاهرة ؟] إلى السلطان ومعه الرجل، فلما وقف عليها قال: "يا خوند! هذه خطّ محمد الخطّابى، وهو رجل عند ولىّ الدولة صهر النشو، يلعب معه النرد و يعاقره الخمر". فَطُلب المذكور، وحاققه الرجل محاققة (٢١٥ب) طويلة، فلم يعترف؛ فعوقب عقوبات مؤلمة إلى أن أقرّ بأن ولىّ الدولة أمره بكتابتها؛ فجُمع بينه و بين ولىّ الدولة، فأنكر ذلك. وطَلب [ولى الدولة] أن يرى الورقة، فلما رآها حلف جهد أيمانه أنها خطّ ابن الأزرق لينال[2] غرضه من أجل أن النشو قتل أباه، وحاققه على ذلك. فاقتضى الحال عقوبة ابن الأزرق، فاعترف أنها كتابته، وأنه أراد أن يأخذ بثأر أبيه من النشو وأهله. فعفا السلطان عن ابن الأزرق، وأمر بحبس الخطّابى.

ورَسم [السلطان] لبرسبغا الحاجب وابن صابر المقدّم أن يعاقبا النشو وأهله حتى يموتوا، وأذن للأجناد فى حمل النشّاب (٢١٦ا) فى السفر لا غيره.

ويقال إن سبب عقوبة النشو أن أمراء المشورة تحدّثوا مع السلطان فى يوم الخميس رابع عشريه فى أمر النشو، فابتدأ الأمير علم الدين سنجر الجاولى وقبّل الأرض، وقال: "حاشا مولانا السلطان من شُغل الخاطر وضيق الصدر!". فقال السلطان: "يا أمراء! هؤلاء مماليكى أنشأتهم وأعطيتهم العطاء الجزيل، وقد بلغنى عنهم ما لا يليق". فقال الجاولى: "حاشا لله أن يبدو من مماليك السلطان شىء من هذا! غير أن عِلم مولانا السلطان محيط بأن مُلك الخلفاء ما زال إلا بسبب الكتّاب، وغالب السلاطين ما دخل عليهم الدخيل إلا من (٢١٦ ب) جهة الوزراء. ومولانا السلطان ما يحتاج فى هذا إلى أن[3] يعرّفه أحد بما جرى لهم، ومن المصلحة قتل هذا الكلب وإراحة الناس منه"؛ فوافقه الجميع على ذلك. فضُرب فى هذا اليوم المخلّص أخو النشو بالمقارع مع ليلة الجمعة، حتى هلك يوم الجمعة العصر؛ ودفن بمقابر اليهود؛ ثم ماتت أمه عقيبه. وقُتل بعدها ولىّ

(١) فى ف "على جمال الكفاة"، انظر ما سبق، ص ٤٠١.
(٢) فى ف "لينال منه".
(٣) فى ف "من"، وما هنا من ب (٤٧٩).

الدولة عامل المَتْجَر[١] ، ورُمى إلى الـكلاب . هذا والعقوبة تتنوّع للنشو حتى هلك فى يوم الأر بعاء ثانى ر بيع الآخر، فوُجد بغير ختان . و كُتب به محضر، ودُفن فى مقابر اليهود بكفن قيمته أر بعة دراهم ؛ ووكِّل بقبره (١٢١٧) مَنْ يحرسه مدة أسبوع خوفا من العامة أن تخرجه وتحرقه . فكانت مدة ولايته وجوره سبع سنين وسبعة أشهر .

ثم أُحضر ولىّ الدولة صهر النشو ليعاقب ، [وهو بخلاف[٢] ولىّ الدولة عامل المتجر الذى تقدّم] ، فدلّ على ذخائر للنشو ما بين ذهب وأوانى [فى صندوق[٣] كبير] . وطُلبت جماعة بسبب ودائع اتُّهموا بها عندهم للنشو ، وشمل الضرر غير واحد منهم . وكان موجود النشو سوى الصندوق المذكور شيئاً كثيراً ، عُمل لمبيعه تسع وعشرون حلقة[٤] ، آخرها حلقة لا يوجد[٥] لها مِثل ، [إذ] بلغت خمسا وسبعين ألف درهم ؛ فكان جملة ما أخذ منه سوى الصـندوق نحو مائتى ألف دينار . ووُجد لولىّ الدولة عامل المتجر (٢١٧ ب) ما قيمته خمسون ألف دينار ، ولولىّ الدولة صهر النشو زيادة على ثمانين ألف دينار . و بيعت للنشو دور بمائتى ألف درهم .

(١) المقصود بلفظ "المتجر" ما يتجر فيه السلطان من البضائع لحسابه الخـاص (انظر ما سبق ، ص ٤٣٥) ، وكان يقوم بذلك موظف من موظفى السلطان كما بالمتن . ولقد أورد ابن ممّاتى (قوانين الدواوين ، ص ٢٣) بصـدد المتجر السلطانى عبارة تشتمل على كثير من دخائل ومصطلحات السياسة الاقتصادية المتبعة فى مصر فى العصور الوسطى ، وهى تدلّ على أحوال المتجر السلطانى فى زمن ابن مماتى على الأقل ، أى عهد الأيوبيين ، ونصها : "المتجر عبارة عما يبتاع للديوان [السلطانى] من بضايع هؤلاء التجار الواردين [على ثغر الإسكندرية] ، مما تدعو الحاجة إليه وتقتضيه المصلحة فى طلب الفائدة . فإذ زاد ثمن المبتاع من تاجر الشب [مثلا] عما يجب عليه من الخُـمس أعطى به شبّـا بحق الثلثين وذهبا بحق الثلث ، ويُـورَّد ثمن هـذا الشب من جملة ارتفاع المتجر ، على عادة جَـرَت وقاعدة استقرّت . والذى يُشترى المتجر الخشب والحديد وحجارة الطواحين والبياض ، فأما غيره فلم تجر العادة به إلا أن يؤمر المستخدمون به . وحُـكم ما يجرى فى دمياط وتينس (كذا والمراد تنيس) يندرج تحت الإسكندرية فيما عُـيّن وبُـيّن ، إلا أن الضرائب فيها مايزيد وينقص . ورشيد ليس فيها خُـمس ، وإنما ذكرت لأنها من جملة الثغور المصرية ، وربما ألجأت الريح المراكب إلى دخولها ، وصعب إخراجه (كذا والصحيح إخراجها) منها ، فيندب المستخدمون بالثغر ماينوب عنهم فى توجيب ما عليها ، وأخذ ما يجب فيها . فأما ثغر عيذاب فآخر ما استقرّ فيه الزكاة وواجب الذمة لا غير" .

(٢) أضيف مابين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٤٢) .

(٣) أضيف مابين الحاصرتين مما يلى بهذه الصفحة ، سطر ٨ .

(٤) المراد بالحلقة هنا البيع بالمزايدة (Encan, vente publique à l'enchére) . انظر : (Dozy . Supp. Dict. Ar.)

(٥) فى ف "لا يوبه لها" ، وماهنا من ب (٤٧٩ ب) .

ثم(١) ركب الأمير آقبغا إلى دور آل النشو بالمصاصة(٢) من مصر ومعه الأسرى، وخرّبها كلها حتى سوّى بها الأرض، وحرثها بالمحاريث فى طلب الخبايا؛ وحُملت أنقاضها ورخامها، فلم يوجد بها من الخبايا إلا القليل.

وفى ثالث عشره أفرج عن القاضى شهاب الدين أحمد بن [يحيى(٣) بن] فضل الله [العُمَرى] من سجنه بقلعة الجبل، بعد ما أقام مسجونا سبعة أشهر وثمانية عشر يوما. وسبب(٤) الإفراج عنه أنه كان فى السجن كاتبٌ [قد سُجن] على تزوير خط السلطان، (١٢١٨) [وكان] قد قُبض عليه فى أيام مباشرة [شهاب الدين لوظيفة كاتب السرّ]، ورسم السلطان بقطع يده(٥)؛ فما زال شهاب الدين يتلطّف فى أمره حتى عُفِى من قطع يده وسُجن. فاتفق فى هذا الوقت أنه رَفع قصة ينهى فيها توبته، ويسأل العفو عنه، فلم يتذكّر السلطان شيئاً من خبره، فقيل له إن شهاب الدين [يعرف] خبره، فبعث إليه فى ذلك وطالعه بأمره، فأفرِج عن الكاتب وعن شهاب الدين؛ ونزل [شهاب الدين] إلى داره.

وفيه خُلع على الأمير عز الدين أيدمر الزّراق، واستقرّ فى ولاية ثغر الإسكندرية عوضاً عن بيبرس [الجمدار](٦) الركنى.

و[فيه] توجه جمال الكفاة (٢١٨ ب) ناظر الخاص، والأمير نجم الدين وزير بغداد، والأمير بيغرا، والأمير طيبغا المجدى، لإيقاع الحوطة على موجوده(٧). وذلك أن

(١) فى ف "وركب".

(٢) انظر ما سبق، ص ٢١٩، حاشية ٤.

(٣) تقدّمت الإشارة هنا إلى بعض أخبار هذا القاضى (ص ٤٦٤ — ٤٦٦)، وهو القاضى ابن فضل الله العمرى المشهور بمؤلفاته الهامة فى تاريخ النظم المملوكية، وهى كتاب "مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار"، وكتاب "التعريف بالمصطلح الشريف"، وقد أفرد له ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٣١ — ٣٣٣) ترجمة وافية، ومنه أضيف مابين الحاصرتين. انظر أيضا ابن العماد الحنبلى (شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٦٠).

(٤، ٥) ما بين الرقين وارد فى ف كالآتى: "وسبب الافراج عنه انه كان فى السجن كاتب على تزوير خط السلطان قد قبض عليه فى ايام مباشرة لناءل ورسم السلطان بقطع يده"، وقد صححت العبارة وأضيف إليها مابين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٣٣).

(٦) أضيف مابين الحاصرتين من (Zettersteen : Op. Cit. p. 205).

(٧) الضمير عائد على الأمير بيبرس الجمدار الركنى المعزول. انظر (Zettersteen : Op. Cit. p. 205).

ابن الصاوى شادّ معدن الزمرّد رفع فيه أن يربح فى سنة من صنف الخمر وحده ثلاثين ألف دينار ، وأن له بالإسكندرية عقارا كثيرا ، من جملته ثلاثون بستاناً أقلها بألف دينار . فوُجد أكثر ما قيل عنه صحيح ، فحمل إلى القاهرة ؛ وتعصب له عدة من الأمراء حتى تقرّر عليه حمل عشرين ألف دينار ، فحملها وأفرج عنه .

وفيه نودى بالقاهرة أن يكون صرف الدينار بخمسة وعشرين درهما (١٢١٩) ، بعدما كان بعشرين [درهما] . وسبب ذلك أن جمال الكفاة ناظر الخاص عمل أوراقاً بما على السلطان للتجار ، فكان مبلغ ألف ألف دينار . فأجاب السلطان بأن النشو ذكر أنه وفّى التجار مالهم ، وقصد ألا يعطيهم شيئاً ؛ فأشار عليه جمال الكفاة بوفاء جماعة منهم ، وأن يحسب عليهم الدينار بخمسة وعشرين درهما ، وماعدا هذه الجماعة لا يُدفع لهم شىء ؛ فتوقفت أحوال الناس لزيادة سعر الذهب . ولما نزل جمال الكفاة إلى دار القَنْد بمصر ابتهج الناس به ، فطرح السكر بأقل مما كان يطرحه النشو على السكريين بعشرة دراهم (٢١٩ ب) القنطار .

ووقع ببلاد البحيرة والغربية مطر عظيم فيه بَرَدٌ كبار ، تلف به عدة مزارع وكثير من الأغنام ؛ وهبّت مع ذلك رياح عاصفة ألقت النخل .

وفيها فرغت مدرسة الأمير آقبغا عبد الواحد ، بجوار الجامع الأزهر . وبُلى الناس فى عمارتها ببلايا كثيرة : منها أن الصنّاع كان قد قرّر عليهم آقبغا أن يعملوا بهذه المدرسة يوما فى الأسبوع بغير أجرة ، فكانوا يتناوبون بها العمل سخرة ؛ و[منها أنه] حمل لها الأصناف من الناس ومن العمائر السلطانية ؛ فكانت ما بين غصب وسرقة . ومع[(١)] ذلك فإنه ما نزلها قط إلا وضرب [فيها من الصنّاع عدّة ضربا مؤلما ، فيصير ذلك الضرب] (١٢٢٠) زيادة على شدّة عسف مملوكه الذى أقامه شادّا بها[(٢)] . فلما تمّت جمع بها القضاة

(١، ٢) ما بين الرقمين فى ف كالآتى : "ومع ذلك فا ما نزلها الا وضرب بها احد زيادة على شدة عسف مملوكه الذى اقامه شادا بها" . وقد عدلت العبارة وأضيف إليها ما بين الحاصرتين من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ — ٣٨٥) ، حيث ورد فى ترجمة الأمير آقبغا أنه كان من كبار المرابين فى عصره ، إذ "أقام جماعة من أهل الشرّ لتتبع أولاد الأمراء وتعرّف أحوال من افتقر منهم أو احتاج إلى شىء ، فلا يزالون به حتى يعطوه مالا على سبيل القرض بفائدة جزيلة إلى أجل ، فإذا استحق المال أعسفه [آقبغا] فى الطلب ، وألجأه إلى بيع ماله من الأملاك ، وحلّها إن كانت وقفاً بعنايته به . وعين لعمل هذه الحيل شخصا يعرف بابن القاهرى" .

والفقهاء ، ولم يولِّ بها أحدا ؛ وكان الشريف المحتسب قد عمل لها بسطا بنحو ستة آلاف درهم ، على أن يلى تدريسها ، فلم يتمّ له ذلك .

وفيه قدم رسول الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين (١) سبط القان أرغون أبغا بن هولاكو بن طولى بن جنكز خان متولى العراق ، بكتابه يتضمَّن طلب عسكر يتسلّم بغداد والموصل وعراق العجم ، ليقام بها الدعوة للسلطان ؛ وسأل أن يبعث السلطان إلى طغاى بن سونتاى (٢) فى الصلح بينه و بين الشيخ (٢٢٠ ب) حسن ، فأجيب إلى ذلك ، ووُعد بتجهيز العسكر . وركب أمير أحمد قريب السلطان إلى طغاى ، ومعه هدية لينظم الصلح بينه و بين الشيخ حسن .

وفيه فرغت عمارة الخان الذى أنشأه الأمير طاجار الدوادار بجينين من طريق الشام ، وعمل به حوض ماء للسبيل يجرى إليه الماء ، وعمل به حماما وعدة حوانيت يُباع بها ما يحتاج إليه المسافر ؛ فكثر النفع به .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرى ربيع الآخر ركب السلطان إلى قصوره بسرياقوس ، ومضى إلى خانكاته ، وقد تقدّمه إليها الشيخ شمس الدين محمد (٢٢١ ا) الأصفهانى والقوام الكرمانى وجماعة من صوفية (٣) سعيد السعداء . فوقف السلطان على الباب بفرسه ، وخرج إليه جميع صوفيتها (٤) ، ووقفو بين يديه ؛ فسألهم من يختاروه شيخا لهم بعد وفاة الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى ، فلم يعيّنوا أحدا . فولّى السلطان مشيخة الشيوخ بها الركن الملطى خادم (٥) المجد الأقصرائى .

---

(١) فى ف "املكان" ، وفى ب (٤٨٠ ب) "ايلكان" . والشيخ حسن هذا هو حسن بك الكبير — بزرج — الجلايرى ، الذى تقدمت الإشارة إليه هنا أكثر من مرة (ص ٣٩٨ ، ٤٠٧ ، ٤١٨ ، وغيرها) ؛ وكان قد أصبح بيده تبريز وبغداد عاصمتا دولة إيلخانات فارس ، وذلك منذ سنة ٧٣٧ هـ (١٧٣٧ م) . غير أن الأمور لم تستقم له تماما حتى كانت ٧٤٤ هـ ، إذ تبقى عليه إخضاع بعض العناصر المناوئة له ، كما هنا بالمتن . انظر (Browne : Op. Cit. III. p. 172) .

(٢) فى ف "سوتاى" انظر ماسبق ، ص ٣٩٧ ، ٤٥٢ ، وغيرها .

(٣) فى ف "صوفة" .

(٤) فى ف "صوفتها" .

(٥) فى ف ، وكذلك ب (٤٨٠ ب) "حام" ، ولعل الصحيح ما هنا . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٤٥) .

و[فيها] قدم الخبر بأن أرتنا[١] لم يقم الخطبة ببلاد الروم للسلطان ، ولا ضرب السكة ؛ فكُتب بالغارة على أطراف بلاده . فقدم رسوله بهدية فيها خركاه[٢] كسوتها من داخلها ، ومن خارجها حرير أطلس ، ودايرها فرو سمور ، و بسطها حرير ، (٢٢١ ب) قوّمت بثلاثين ألف درهم ؛ ومعها ثلاثون إكديشا ، وأربعة سناقر ، وعشرة بزاة ، وعشرة صقورة ، وستون تفصيلة حرير ؛ ومع ذلك كتاب يتضمّن الشكوى من غارة التركمان على أطراف بلاده . فأجيب بأن ذلك بسبب أنه لم يقم الخطبة ولا ضربَ السكة باسم السلطان فى بلاده ، كما أُخبر به .

و[فيها] انقطع السلطان عن الخروج إلى دار العدل نحو عشرين يوما ، لشغل خاطره بمرض الأمير يلبغا اليَحياوى وملازمته له .

وفيها ادّعى صلاح الدين يوسف بن المغربى[٣] الحكيم على أولاد[٤] الملوك بمبلغ عشرة آلاف درهم عند (١٢٢٢) قاضى القضاة حسام الدين الغورى ، تعجّلوها منه عن أرض بروضة مصر . وكان النشو قد أخذها منهم وأدخلها فى ديوان الخاص ، فوجب حقّه على أولاد الملوك . فلم يوافق القاضى على سجنهم ، وجرت بينه وبين ابن المغربى مفاوضة جرى فيها على عادته من السفه ، فلم يترخّص[٥] له ابن المغربى . وآل الأمر إلى أن خرج الغورى من [المدرسة ؟] الصالحية ماشيا ، وجمع الحنفية ليطلعوا إلى السلطان ويشكوا من ابن المغربى . ومشى [الغورى] بالشارع وبيده عكاز — وكان يوماً مطيرا — ، والعامة تنظر به وبجماعته ؛ وقد سبقه ابن المغربى وشكاه إلى (٢٢٢ ب) السلطان . فبعث [السلطان] إليه الأمير طاجار ، فوجده قد طلع إلى القلعة ماشياً ليمينٍ حلف بها ، فبلغه [طاجار] الرسالة ، وأراده أن يرجع ، فأبى أن ينصرف حتى يجتمع بالسلطان . فلم يمكّنه السلطان من ذلك ، وواعده إلى دار العدل ؛ فلما لم يجد سبيلا إلى الاجتماع به عاد ، وطلع يوم الخدمة إلى دار العدل .

---

(١) انظر ماسبق ، ص ٤٣١ ، ٤٤٥ .

(٢) هنا وصف دقيق للخركاه ، وقد تقدّم التعريف بها فى ص ٢٠٧ ، حاشية ٤ ؛ ٤٣٣ ، حاشية ٢ .

(٣) فى ف "المعرى" ، وماهنا مما يلى . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٤٦٤) .

(٤) انظر ماسبق هنا ، ص ٤٧٤ ، حاشية ٣ .

(٥) المقصود بذلك أن ابن المغربى لم يستعمل الرخصة ، أى أنه لم يتساهل أو يسكت على ما خاطبه به القاضى من الكلام .

واستدعى السلطان أولاد الملوك[١] ، وادّعى عليهم ابن المغربى فألزمهم بالمال ؛ وتسلّمهم برسبغا الحاجب ، حتى أدّوه لابن المغربى بعد إخراق وإهانة بالغة .

وفيه عُمل سماط جليل بالميدان لعافية الأمير يلبغا اليحياوى ، (١٢٢٣) فيه من الأطعمة والأشربة والحلاوات ومشروب السكر ما يجلّ وصفه . واستدعى [السلطان] لحضوره جميع صوفية الخوانك والزوايا وأهل الخير وسائر الطوائف ؛ وأخرج من الخزانة السلطانية ثلاثين ألف درهم أفرج بها عن المسجونين على دين ؛ وأخرج للأمير يلبغا ثلاث حجورة بمائة ألف درهم ، وحياصة ذهب مرصّعة بالجواهر ؛ وأفرج عن شعبان قريب ألماس .

وفيه خُلع على الأمير علاء الدين على بن السكورانى والى الغربية ، واستقرّ كاشف الوجه القبلى عوضاً عن أخى ظُلُظَيه[٢] ، لشكوى الجندمنه . واستقرّ أسندمر مملوك القلنجقى[٣] (٢٢٣ ب) فى ولاية الغربية عوضاً عن ابن السكورانى ، بتعيين الأمير برسبغا الحاجب .

و[فيها] جُهِّزت التعابى من الخزانة لنائب الشام ونائب حلب ونائب حماة ونائب طرابلس ، على العادة فى كل سنة . ورُسم بتجهيز تعبئة للأمير ألطنبغا نائب غزة ، وأُنعم عليه من مال دمشق بخمسين ألف درهم وألف غرارة من غلة ، وحُمل إليه ألف دينار وتعبئة قماش وتشريف كامل .

وفيها خُلع على الأمير تَكْبَيه[٤] البريدى متولى قطيا ، واستقرّ فى ولاية الإسكندرية عوضا عن الزرّاق لاستعفائه منها .

وفيه قدم أمير أحمد من بلاد الشرق ، وقد عقد (١٢٢٤) الصلح بين طغاى [بن سونتاى[٥]] وبين الشيخ حسن [الكبير] .

وفيها طُلبت النساء المغانى ، وصُودِرْنَ ما بين ثلاثة آلاف درهم وألفى درهم الواحدة ، وسجِنّ بالحجرة[٦] أياما حتى تاب بعضهن عن الغناء ، وتزوّج بقيتهن . وسبب ذلك أن

(١) انظر الصفحة السابقة ، حاشية ٤ .

(٢) فى ف "ضلطية" . انظر ما سبق ، ص ٤٤٦ . (٣) انظر ماسبق ، ص ٢٥٠ .

(٤) فى ف "نكباى" ، بغير ضبط . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 205) .

(٥) أضيف مابين الحاصرتين بهذه الفقرة مما سبق ، ص ٤٨٩ .

(٦) يفهم مما هنا أنه كان بالقاهرة مكان معين بهذا الاسم ، وأنه كان يستخدم لما يشبه الحبس أو الاعتقال لتلك الطبقة من النساء فى مصر فى العصور الوسطى .

الأمير آنوك بن السلطان كان يركب إلى جهة بركة الحبش ، وعمر له بها حوشا لطيوره وموضعا يتنزه به ؛ وأحضر إليه مغنية تعرف بالزهرة ، فشغف بها حتى بلغ السلطان ذلك . فأسرّ [السلطان] للأمير آقبغا عبد الواحد أن يُلزم شادّ[1] المغانى والضامنة[2] بالإنكار على المغانى حضورهن مجالس الخمر و إقامة الفتن (٢٢٤ ب) ، و إلزامهن بمال يقُمْن به عقوبة لهنّ على ذلك ؛ وأكّد عليه فى أن يكون ذلك من غير أن يُنسب إلى السلطان أنه أمر به رعاية لآنوك .

فلما وقع ذلك شقّ على آنوك امتناع الزهرة عنه عدّة أيام ، وما زال حتى أتته سرّا ، ولهِىَ بها عن زوجته ابنة الأمير بكتمر الساقى ، حتى علمت أمه بذلك ، فلشفقتها عليه ترخّصت له ، وأمكنته من هواه . نخاف آنوك من السلطان ، ودبّر هو و بعض مماليكه حيلة أشغل بال السلطان عنه ، وكتب ورقة يخيّله فيها من الأمير بشتاك والأمير آقبغا ، وألقيت إلى السلطان . فنمّ بعض مماليكه (٢٢٥آ) للأمير آقبغا [بذلك] ، فبلّغه السلطان ، فدخل إلى الدور واستدعى آنوك وهمّ بقتله بالسيف ؛ فمنعته أمه وجواريه . فأرعد [آنوك] من الخوف ، ولزم الفراش ؛ وتغيّر السلطان على لالاه أرغون العلائى ، وأقام طيبغا المجدى عوضه ، ورسم ببيع الدار التى عمرها [آنوك] ببركة الحبش .

وفيه قدم أبو بكر بن السلطان من الكرك باستدعاء ، ومعه هدية قيمتها نحو مائتى ألف درهم ، بعد ما أخذ أموال الناس بها على سبيل القرض ؛ و[كان] يقتل من يمتنع عليه و يصادره ، فمات جماعة من الناس تحت العقوبة .

---

(١) يفهم مما هنا أيضاً أنه كان لما يسمى باسم المغانى من النساء ديوان له شاد على الأقل ، وأن لفظ المغانى كان يشمل المحترفات بالغناء وغيرهن ، وهذا وذاك كله واضح مما أورده المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٦) بصدد ضمان المغانى ، ونصه "فأما ضمان الأغانى (كذا ، والمقصود المغانى) فكان بلاء عظيما ، وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا . فلو خرجت أجلّ امرأة فى مصر تريد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة ، وقامت بما يلزمها ، لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة . وكان على النساء إذا نفّسن أو عرّسن امرأة ، أو خضبت امرأة يدها بحناء ، أو أراد أحد أن يعمل فرحا ، لا بد له من مال بتقرير تأخذه الضامنة . ومن فعل فرحا بأغانٍ ، أو نفّس امرأة بغير إذن الضامنة ، حلّ به بلاء لا يوصف" . وقد بطل هذا المكس وضامنته وشاده أيضاً سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٦ م) ، فى عهد السلطان الملك الأشرف شعبان بن السلطان حسين بن الناصر محمد .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

وفيه توجه جمال الكفاة ناظر الخاص إلى (٢٢٥ ب) الإسكندرية ، وأوقع الحوطة على دور بيبرس [الجدار[١]] الركنى نائب الإسكندرية بعد موته ؛ فوجد له عدة دور وحوانيت وعشرين بستانا باعها بخمسمائة ألف وستين ألف درهم ، وعاد .

وفيها قوى الماء على الجسر الذى استجدّه السلطان بناحية شيبين ، وصارت البلاد الواطئة تستبحر . فاقتضى رأى السلطان عمل زريبة كالجسر تردّ قوة الماء ، فندب لعملها الأمير بيبغا حارس الطير . وفرض [السلطان لذلك] على البلاد عن كل دينار ثُمْنَ درهم ، فجبى نحو أربعمائة وثمانين ألف درهم . وجُمعت البناة والفعلة ، وعُملت أقمنة الجير والجبس والطوب حتى تمّت الزريبة فى (٢٢٦ ا) طولٍ زيادةً على ثلاثين ألف قصبة . فعظم النفع بها ، وشمل الرى عدة أراضٍ ما كانت تروى قبل ذلك إلا فى الأنيال العالية ؛ وزاد ارتفاع النواحى برىّ الأراضى . و بطل سدّ بحر أبى المنجا ، وتأخّر فتحه بعد أوانه بعشرة أيام ، وقام مقامه سدّ قناطر شيبين ؛ و بطل ما كان من ركوب الناس وفُرَجهم فى فتح أبى المنجا ، وأراح الله تعالى مما كان يُعمل فيه يوم فتحه من المنكرات والفواحش .

وفيه توجّه الأمير بشتاك بآنوك وأبى بكر ولدى السلطان إلى العباسة ، وحضر بهما بعد أيام .

ثم توجه الأمير يلبغا اليحياوى والأمير بشتاك بطيور (٢٢٦ ب) السلطان إلى البحيرة ، وصحبة يلبغا عشرة أمراء طبلخاناه . فدخلوا إلى الإسكندرية ، وقد تقدّمهم[٢] جمال الكفاة إليها وجهّز لهم الإقامات والتعابى والإنعامات ؛ فأقاموا ثلاثة أيام وعادوا . فأنعم [السلطان] على يلبغا يوم وصوله بناحية سُوهاى[٣] من الصعيد ، وعبرتها خمسة عشر ألف دينار ؛ وكُتب بتمكين أهل الإسكندرية من فتح دكاكين الرماة على العادة ، والإفراج لهم عن السلاح ، [وذلك] بشفاعة يلبغا .

(١) انظر ماسبق ، ص ٤٨٧ .
(٢) فى ف "تقدم" .
(٣) كذا فى ف ، وهى حسبما ورد فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩٧) قرية من قرى أخميم بالوجه القبلى ، والمقصود بذلك سوهاج الحالية ، قاعدة مديرية جرجا بالوجه القبلى . انظر أيضاً ابن الجيعان (التحفة السنية ، ص ١٩٠) . هذا وقد ذكر محمد رمزى بك أنه وجد تلك التسمية الحديثة لأول مرة فى دفتر مساحة تاريخه ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) .

وفيه قدم البريد بموت الأمير طقتمر الخازن نائب قلعة حلب ، وأنه وُجد له عشرة آلاف دينار ومائة وستون ألف درهم .

وفيها توقّفت (١٢٢٧) الأحوال بسبب صرفِ الذهب ، وعُدم وجود الفضة من بين الناس فى الأسواق . فأخرج السلطان من الخزانة ألفى ألف درهم فضة فُرِّقت مدة شهر فى الصيارف ، وأُخذ عنها ذهب ؛ فمشت الأحوال قليلا ثم توقّفت .

وفيها قدمت طائفة من العجم لهم زىّ غريب ، على رءوسهم أقباع[١] طوال جداً ، من فوقها عمائم مضلعة كهيئة الطرطور ، ولهم شيخ يعرف بالشيخ زاده . فاحتفل بهم الأمير قوصون وأنزلهم بخانكاته ، وعمل لهم فيها عدة أوقات ؛ ثم تحدّث [قوصون] مع السلطان فى أمرهم ، فولّى زاده مشيخة الخانكاه الركنية (٢٢٧ ب) بيبرس ، فباشرها وعمل بها فى كلّ ليلة جمعة سماعاً قام به الأمير قوصون .

وفى رابع عشرى شوال رحل رُكب الحاج من بركة الحجاج[٢] ، صحبة الأمير بُكا الخضرى[٣] . وكانت العادة أن يرحل الركب فى سادس عشره ، فقصد السلطان ألا تطول إقامة الحاج بمكة رفقاً بأهلها ، فأخّر الرحيل إلى رابع عشريه ، ليوافى الحاج مكة أول ذى الحجة ، واستمرّ ذلك فيما بعد . وسار أيضاً الأمير آقبغا عبد الواحد إلى الحج بأهله .

وفيها تسلّم الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر (١٢٢٨) قلعة طُرَنْدَة[٤] ، وأقام بها الدعوة للسلطان . وذلك أن مرجان الخادم نائب طُرَنْدَة[٥] من قِبل أرتنا توجه منها إلى مخدومه فى مهمّ له ، فنزل عليها من أمراء التركمان أمير على بن السكركرى ، وإبراهيم

(١) الأقباع جمع قبع ، وهو خرقة لغطاء الرأس ، وتعمل كالبرنُس ، وتصنع من الحرير أحيانا . انظر ابن الحاج (المدخل ، ج ٤ ، ص ٢٤) . ويظهر أن هذه الطائفة كانت تعرف فى مصر والشام باسم الأقباعية . انظر مايلى ، ص ٥١٥ ، وكذلك ابن العماد الحنبلى (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص٣٥) ، حيث وردت وفاة شيخ اسمه أحمد الرويس الأقباعى ضمن وفيات سنة ٧١٥ هـ ، وكان من أصحاب الكشف والإخبار عن المغيبات .

(٢) كذا فى ف ، والمعروف بركة الحاج .

(٣) ذكر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 208) أن الأمير حسام الدين حسين بن منكتوا كان أمير الركب تلك السنة .

(٤ ، ٥) فى ف "درندة" ، وما هنا مما سبق بالمتن (ص ٤٥٩ ، وحاشية ٤) ؛ على أن هذه البلدة واردة فى الخرائط الأوربية الحديثة برسم (Darende) ، وكذلك (Daranda) .

كندلكى ، وقرا خليل بن البكى ، وابن قرا ، فى زهاء أربعين رجلا ؛ — وقد باطنهم رجل من أهل القلعة وجذب الأربعين بحبال إليها ، فقتلوا مَنْ بها من جماعة أرتنا ، واستولوا عليها وأسلموها لابن دلغادر . فكُتب إلى السلطان بذلك ، فأنعم بها على الأمير تنكز نائب الشام ؛ فبَعَث إليها [تنكز] وعمرها ؛ ولم تزل (٢٢٨ ب) قلعة طُرَنْدَة(١) بأيدى سلاطين مصر إلى أن مات الظاهر برقوق .

وفيها هبّت سموم ورياح عاصفة بجبل طرابلس ، وسقط نجم اتصل نوره بالأرض مع رعد قوىّ إلى الغاية ، وعلقت منه نار فى أراضى الجون أحرقت عدة أشجار ومنازل ، فكان ذلك آية . ونزلت من السماء نار بقرية الفِيجَة(٢) من عمل دمشق على قبة خشب أحرقتها ، وأحرقت ثلاثة بيوت بجانبها .

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشريه وقع بدمشق فى أول الليل حريق بالدهشة(٣) شرقى الجامع الأموى ، فعظم الأمر حتى وصل إلى الجامع ، وتعلّق بالمنارة الشرقية (٢٢٩ ا) ، وسقط على الجملون(٤) الرصاص . فبادر الناس جميعاً إليه ، وأطفأوه بحضرة الأمير تنكز فى مدة يومين بلياليها .

ثم وقع أيضا فى ليلة السبت أول ذى القعدة حريق آخر بقيسارية القواسين والكفتيين وسوق الخيل [من دمشق] ، وكان أمرا مهولا مدة يومين بلياليها . فعدم فيها نحو خمسة وثلاثين ألف قوس ؛ وعدمت الناس أموالا عظيمة ، منها للتجار خاصة ما مبلغه ألف ألف وستمائة ألف دينار ؛ وخربت أماكن كثيرة .

فبينا الناس فى ذلك إذ وُجدت ورقة فيها : "المملوك الناصح" ، تتضمّن أنّ أمر الحريق

---

(١) انظر الصفحة السابقة ، حاشية ٤ و ٥ .

(٢) الفيجة قرية على مسافة فرسخين من دمشق ، وبقربها عين فيجة إحدى منابع نهر بردى . (Le Strange : Palest. Under Moslems, pp. 56, etc) .

(٣) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤٨٢ ب) . انظر أيضاً ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٨٦) .

(٤) الجملون لفظ عامى معناه سقف محدب مستطيل ، فإن كان مستديرا فهو قبة . (محيط المحيط) . والمعنى الثانى هو المقصود هنا ، إشارة إلى قبة الرصاص ، وهى القبة المعروفة أيضا باسم قبة النسر بالجامع الأموى بدمشق . انظر (Le Strange : Palest. Under Mostems. pp. 243, 244, 256, 262, 263, 268) .

يظهر إذا أُمسك[١] يعقوب غلام (٢٢٩ ب) المسكين كاتب الجيش ؛ فقُبِض على المذكور وعوقب ، فاعترف على أستاذه وعدة من كتّاب النصارى ، وأُحضروا بين يدى الأمير تنكز ، فأقروا جميعاً بذلك . فأوقع [تنكز] الحوطة على موجودهم ، وكتب عليهم محضرا ملخصه : "أن الرشيد سلامة بن سلمان بن مَرْجا[٢] النصرانى ، كاتبَ الأمير علم الدين سنجر البشمقدار ، أشهدَ عليه أنه حضر إليه منتصف شوال المسكين يوسف بن مجلّى كاتب الأمير بهادر آص والمسكين يوسف عامل الجيش ، وصحبتهما راهبان أحدهما اسمه ميلانى[٣] والآخر اسمه عازر ، وقدما من القسطنطينية (٢٣٠ ا) ليجاهدا فى الملة الإسلامية ومعابدها ، وقد باعا نفسيهما على ذلك ، وأنهما يعلّمان صناعة النفط . فاجتمعوا فى بستان المسكين يوسف ، وأُحضر لهم ما يحتاجون إليه من النفط ، وعملوا كعكات[٤] ؛ وتنكّروا فى لباسهم ، ونزلوا إلى الدهشة[٥] وتفرّقوا فى جوانبها ؛ وابتاعوا منها قماشاً ودفعوا ثمنه لصاحبه ، وجعلوا القماش عنده وديعة ، وقد دسّوا فيه تلك الكعكات المصنوعة ، فوقع منها ذلك الحريق ؛ ثم دفعوا إلى الجرائحى النصرانى الذى على باب قيسارية القواسين خمسمائة درهم وكعكة من تلك الكعكات ، فرمى بها فى دكان داخل (٢٣٠ ب) القيسارية ، فكان منها الحريق الثانى ؛ وأنّ الراهبين المذكورين خرجا بعد ذلك بكتب الجماعة إلى بيروت ، حتى سيرهم العامل بها فى مركب إلى قبرص" ؛ وأُرِّخ المحضر بعشرى ذى القعدة ، وحُمل إلى السلطان .

---

(١) فى ف "انمسك" . (٢) مضبوط هكذا فى ف .

(٣) كذا فى ف ، وهو فى ب (٤٨٣ ا) "ميلاثى" . انظر أيضا ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٨٦) حيث ورد هذا الاسم برسم "ملانى" .

(٤) أشار ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٨٦) إشارة توجب الالتفات إلى طريقة صنع هذه الكعكات من النفط على يد الراهبين المذكورين هنا ، ونصها "فعملا لحطا (كذا ، ولعل الصحيح كعكا) من نفط ، وتلطّفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك ، فوضعا [منه] فى شقوق دكاكين التجار فى سوق الرجال عند الدهشة فى عدة دكاكين من آخر النهار ... فلما كان أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت فى تلك الدكاكين ..." ويتضح من هذا النص أن فكرة القنبلة الزمنية (time - bomb) التى تستخدم فى الحرب العالمية الحالية ليست جديدة ، بل إنها ترجع إلى فن الحرب فى العصور الوسطى ، كما يتضح أيضا أن فكرة الغازات الخانقة ، التى وردت فى (Atiya : The Crusde In the Middle Ages. p. 20) ليست فريدة فى بابها .

(٥) كذا فى ف . انظر ما سبق ، ص ٤٩٥ .

ثم سُمِّر الجماعة فى يوم السبت ثانى عشرى ذى القعدة ، بعد ما عوقبوا عقوبات عظيمة ، وعددهم[١] أحد عشر رجلا : [وهم] المكين يوسف بن مجلّى عامل الجيش ، وأخوه ، والمكين جرجس كاتب الحوطات[٢] ، والمكين كاتب بهادر آص ، وسمعان ، وأخوه بشارة ، والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشمقدار ، والعلم عامل (١٢٣١) بيروت ، والجرائحى ، وجزاران[٣] نصرانيان ، وشخص يعرف بسبيل الله ؛ — وكان هذا [الرجل] بالقاهرة سنة خمس وعشرين بزىّ غريب يلبس جلدا ، ويحمل على كتفه زيرا نحاسا أندلسيا ، وبيده شربات كذلك ، ويقول بلسان غتمى : " سبيل الله " ، ويسقى الناس بغير جُعل ؛ فمن الناس من اعتقده ، ومنهم من اتَّهم أنه جاسوس ؛ ثم خرج [هذا الرجل] حاجّا ، وقدم دمشق وأقام بها يسقى الماء ، حتى دخل مع النصارى فيما قاموا فيه من أمر الحريق — . ولما سُمّروا وُسِّطوا بعد يومين[٤] ، ووُجد لهم ما ينيف على ألف درهم ، أُنفق منها فى عمارة منارة الجامع والدهشة[٥] .

فكتب (٢٣١ ب) السلطان إلى تنكز يُنكر عليه قتل النصارى ، وأنّ فى ذلك إغراء لأهل القسطنطينية بمن يرد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم ، ويأمره بحمل ما وُجد من المال ، وأن يجهز بناته اللاتى عُقد لأولاد السلطان عليهن . فأجاب [تنكز] بالاعتذار عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أُحرق ، وأنّ المال الذى وُجد للنصارى قد جعله لعمارة الجامع ؛ وجهز قُرْمُجى[٦] بذلك . فلم يرض السلطان ، وتغيّر على قرمجى ، وكتب

(١) فى ف " وهم " .

(٢) لم يُشر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٨ ، وما بعدها) إلى هذا الموظف بشىء فى باب الوظائف الإدارية ، ولم يستطع (Demombynes : Op. Cit. P. LXXVI.) أن يعين الديوان الذى كان يتبعه ، على أنه من الواضح أن المقصود به الكاتب الذى يوكل إليه تسجيل ما تقع عليه الحوطة من أموال الأمراء المصادرين ومتاعهم .

(٣) فى ف " وجزارين نصرانيين " .

(٤) ذكر ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٨٦) أن عدد الذين قبض عليهم نائب السلطنة بدمشق بسبب ذلك الحريق كان " نحواً من ستين رجلا ، فأخذوا بالمصادرات والضرب والعقوبات وأنواع المثلات ، ثم بعد ذلك صَلب [النائب] منهم أزيد من عشرة على الجمال ، وطاف بهم فى أرجاء البلاد وجعلوا يتماوتون واحداً بعد واحد ، ، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رماداً " .

(٥) انظر ما سبق ، ص ٤٩٥ .

(٦) فى ف " قرمجى " ، أكثر من مرة بهذه الصفحة . انظر (Zetterstéen: Op. Cit. p. 198) ، حيث ورد هذا الاسم برسم " قرمشى " .

معه إليه بأنه لا بدّ من تجهيز بناته . ثم أركب [السلطان] الأميرَ طاجار الدوادار [على] البريد إلى دمشق بملطّفات ، فى يوم الجمعة ثانى (١٢٣٢ ا) عشرى ذى الحجة ؛ — و [كان طاجار] قد ثقل عليه أمر تنكز ، وأخذ فى زواله ، وجعل توجّهه إنما هو لعتب تنكز على تأخيره حمل بناته .

وكان قد بلغ تنكز تغيّرُ السلطان عليه ، فجهز أمواله ليحملها إلى قلعة جعبر ويخرج إليها بحجة أنه يتصيّد . فقدم عليه طاجار قبل ذلك فى يوم الأحد رابع عشره ، وعتبه وبلّغه عن السلطان ما حمله ؛ فتغيّر الأمير تنكز وبدا منه ما حفظه عليه طاجار . وعاد [طاجار] إلى السلطان فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة قبل الصلاة ، فأغرى السلطان به ، وأنه قد عزم على الخروج من دمشق . فطلب [السلطان] بعد الصلاة الأمير بشتاك والأمير بيبرس (٢٣٣ب) الأحمدى والأمير جنكلى بن البابا والأمير أرقطاى والأمير طقزدمر فى آخرين[١] ، وعرّفهم أن تنكز قد خرج عن الطاعة ، وأنه يبعث إليه تجريدة مع الأمير جنكلى والأمير بشتاك و[٢] الأمير أرقطاى والأمير أرنبغا أمير جندار والأمير قمارى أمير شكار والأمير قمارى أخو بكتمر الساقى والأمير برسبغا الحاجب . ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون[٣] أمير طبلخاناه ، وعشرون[٤] أمير عشرة ، و [من] الطبلخاناه ملكتمر السرجوانى وقباتمر الجدار المظفرى وبلك الجدار[٥] المظفرى وبكا الخضرى ومحمد بن الأمير (١٢٣٣) جنكلى وأمير على بن طغريل وأمير أحمد الساقى قريب السلطان ونيروز وطقتمر قلّى وبيغرا السلاح دار وقراجا السلاح دار وطيبغا المجدى وطاجار

(١) ذكر (Zettersteén : Op. Cit. P. 210) فى هذا الصدد أن السلطان استدعى "أمراء المشور ، فطلعوا ودخلوا إليه وجلسوا للمشور ، فوقع الاتفاق على تحليف جميع العسكر المنصور ، وأن يجرد جماعة منهم . فشرعوا فى تحليف الجيش من هذا اليوم ، وكتبت أوراق المجردين ونزلت الأوراق إليهم ، واهتموا غاية الاهتمام من سرعة الخروج" . ويستنتج من هذا النص ، مضافا إلى ما هنا بالمتن ، أن أمراء المشور كانوا مجلس السلطان الاستشارى والتنفيذى معاً ، وأن ذلك المجلس — وهو فى الواقع مجلس الدولة — كان مؤلفاً من الأمراء الواردة أسماؤهم هنا بحكم وظائفهم ، ومنه يتضح تكوين هذا المجلس وعمله تماما .

(٢) فى ف "... وهم الأمير ..." .

(٣) فى ف "ثلاثين" . (٤) فى ف "وعشرين" .

(٥) فى ف "سلك الجدار" ، وما هنا من (Zettersteén : Op. Cit. p. 219) .

الدوادار و بغاتمر وتمر بغا العقيلى وطقتمر الصلاحى وجركتمر بن بهادر وسيف الناصرى وطقبغا الناصرى و بيبغا حارس الطير وأيتمش الناصرى وأباجى الوافد وأرلان التترى الوافد وملكتمر السعيدى وأمير محمود بن خطير، وخمسون نفرا من مقدمى الحلقة، وأر بعمائة من المماليك السلطانية ؛ وجلس السلطان وعرَضهم .

ثم جمع [السلطان] فى يوم السبت عشريه (٢٣٣ ب) الأمراء جميعهم ، وحلّف المجرّدين والمقيمين له ولولده الأمير أبى بكر من بعده ، وطلب الأجناد من النواحى للحلف ؛ فكانت بالقاهرة حركات كثيرة . وحَمَل [السلطان] لكل مقدّم ألفٍ [مبلغ[1]] ألف دينار ، ولكل أمير طبلخاناه أر بعمائة دينار ، ولكلّ مقدم حلقة ألف درهم ، ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرس وقرقل وخوذة وغير ذلك .

فاتفق قدوم الأمير موسى بن مهنا فى يوم السبت هذا ، فقرّر معه السلطان القبض على تنكز ، وكتب إلى العربان بأخذ الطرقات من كل جهة على تنكز . وبعث [السلطان] بهادر حلاوة من (٢٣٤ ا) طائفة الاوجاقية على البريد إلى [ألطنبغا[2] الصالحى نائب] غزة و [سيف[3] الدين طشتمر نائب] صفد ، و [إلى] أمراء دمشق ، بملطفات كثيرة ؛ وأخرج موسى بن مهنا لتجهيز العربان و إقامته على حمص ؛ واهتمّ بأمر تنكز اهتماما زائدا ، وكثر قلقه وتنغّص عيشه .

وخرج العسكر إلى دمشق فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى ذى الحجة ، وكان حلاوة الأوجاقى قد قدم على الأمير ألطنبغا الصالحى نائب غزة بملطّفه ، وفيه أنه قد استقرّ فى نيابة الشام عوضا عن تنكز ، وأن العسكر واصل إليه ليسيروا به إلى دمشق ، وأن الأمير طشتمر نائب صفد قد كُتب إليه بالركوب إلى دمشق ، ليركب هو والأمير (٢٣٤ ب) قطلو بغا الفخرى ، ويقبضا على تنكز . فسرّ [ألطنبغا] بذلك ، ووجّه حلاوة إلى صفد ، فقدمها ليلة الاثنين ثالث عشريه أول الليل ، وأوقف الأمير طشتمر على ملطّفهِ ، فركب

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٤٥) .

(٢،٣) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. p. 211) ، وكذلك ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٤٧) .

فى ساعته فى ثمانين فارسا، وساق إلى دمشق . واجتمع [طشتمر] مع قطلوبغا الفخرى وسنجر البشمقدار و بيبرس السلحدار؛ — وكان قد قَدِم حلاوة إلى أمراء دمشق بكرة يوم الثلاثاء وهو متنكّر، وأوصل الملطفات إلى أصحابها، وقد سبقته ملطفات الأمير ألطنبغا من غزة .

فاتفق ركوب الأمير تنكز فى ذلك اليوم إلى (١٢٣٥) قصره فوق ميدان الحصا فى خواصه للنزهة، و بينا هو فى ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صفد، فعاد إلى دار السعادة، وألبس مماليكه السلاح؛ فلم يكن بأسرع من أن أحاط به أمراء دمشق . ووقع الصوت بوصول [طشتمر] نائب صفد، نخرج العسكر إلى لقائه، وقد نزل مسجد القدم . فأمر [طشتمر] جماعة من الأمراء أن يعودوا إلى تنكز و يخرجوه إليه، فدخل عليه منهم تمر الساقى وطرنطاى البشمقدار و بيبرس السلاح دار، وعرّفوه مرسوم السلطان، وأخذوه وأركبوه إكديشا؛ وساروا به إلى (٢٣٥ ب) نائب صفد، وهو واقف بالعسكر فى ميدان الحصا؛ وقُبِض على جنغيه وطغيه [مملوكى[١] تنكز] وسجنا بالقلعة .

وأمر [طشتمر] بتنكز فأنزل عن فرسه على ثوب سَرْج[٢]، وقيّده قرمجى مملوكه . وأخذه الأمير بيبرس السلاح دار، وتوجه به إلى الكسوة، فحدث له إسهال ورعدة خيف عليه منه الموت، وأقام بها يوما وليلة؛ ثم مضى به بيبرس [إلى القاهرة] . ونزل الأمير طشتمر نائب صفد بالمدرسة النجيبية .

وتقدّم بهادر حلاوة عند ما قُبض على تنكز ليبشّر السلطان، فقدم ليلا بلبيس والعسكر نازل عليها، وعرّف الأمير (١٢٣٦) بشتاك . ثم سار إلى السلطان، فقدم ومعه أحد مماليك السلطان ومملوك طاجار الدوادار فى خامس عشريه وأخبره الخبر؛ فسُرّ سروراً كثيراً . وكتب [السلطان] بعود العسكر من بلبيس خلا الأمير بشتاك و لأمير أرقطاى والأمير برسبغا الحاجب وجماعة، فإنهم يتوجّهون إلى دمشق، وأن يقيم الأمير

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٤٨)، حيث ورد هذان الأميران برسم "جنغاى وطغاى".

(٢) السرج الرحل (محيط المحيط)، والمعنى فيما يظهر أنه لم يفرش للأمير تنكز سوى ثوب من الأثواب المستعملة للسروج، دلالة على قرب تسفيره إلى حضرة السلطان.

بيغرا أمير جندار والأمير قمارى أمير شكار بالصالحية إلى أن يَقْدَم الأمير تنكز ، فيدخلا به . فعاد العسكر [من بلبيس] ، وتوجه بشتاك ورفيقاه إلى دمشق ، فركب معهم الأمير ألطنبغا من غزة ، فلقوا الأمير (٢٣٦ ب) تنكز على بيسان[١] .

وفيها فرغ قصر [الأمير سيف[٢] الدين] بشتاك [الناصرى] ، بخط بين القصرين [من القاهرة] . وذلك أن الأمير قوصون لما أخذ قصر بيسرى [و] جدّد عمارته ، أحبَّ الأمير بشتاك أن يعمل له قصرا تجاه قصر بيسرى ، فدُلَّ على دار الأمير بكتاش الفخرى [الصالحى] أمير[٣] سلاح ، [وهى] أحد قصور الخلفاء الفاطميين التى اشتراها [بكتاش] من ذرّيتهم ، وأنشأ بها دورا و إسطبلات ، وأبقى ما وجد فيها من المساجد . فشاور بشتاكُ السلطانَ على أخذها ، فرسم له بذلك ؛ فأخذها من أولاد بكتاش وأرضاهم . وأنعم له السلطان بأرض كانت داخلها برسم الفراشخاناه[٤] (٢٣٧ ا) السلطانية ، وأَخَذَ دار أقطوان الساقى بجوارها وهدم الجميع ، وأنشأ قصرا مطلّا على الطريق — ارتفاعه أربعون ذراعا وأساسه أربعون ذراعا[٥] ، وأجرى إليه الماء ينزل

---

(١) ذكر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٤٩) أن هؤلاء الأمراء لقوا الأمير تنكز عند بلدة "حُسْبان" ، وهى بلدة بالبلقاء . انظر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٠٦) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٧٠) ، حيث ورد أن من أسباب اختيار الأمير بشتاك الناصرى لهذا الموقع لبناء قصره ، أن قوصون وبشتاك "كانا يتناظران فى الأمور ، ويتضادان فى سائر الأحوال ، ويقصد كل منهما أن يسامى الآخر ويزيد عليه فى التجمل" .

(٣) كان هذا الأمير من أمراء السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، آخر سلاطين الدولة الأيوبية إلا واحداً ، وقد عاش حتى أيام السلطان قلاون ، وتوفى سنة ٧٠٦ هـ . انظر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٣) .

(٤) فى ف "الفرشخاناه" ، وما هنا من القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١١) ، حيث ورد أن الفراشخاناه السلطانية كانت تشتمل على أنواع الفرش من البسط والخيام اللازمة للسلطان فى أسفاره وإقاماته خارجاً عن القاهرة ، وكان لها مهتار يعرف بمهتار الفراشخاناه ، وتحت يده غلمان يعرفون باسم الفراشين ، ولهم دربة عظيمة فى نصب الخيام ، حتى إن الواحد منهم ربما أقام الخيمة الكبيرة ونصبها وحده من غير معاون له فى ذلك ، ولهم معرفة تامة بشد الأحمال التى تحمل فى المواكب أيضاً .

(٥) هنا إشارة توجب الالتفات بصدد بناء بيوت بعض كبار الأمراء فى عهد المماليك بمصر فى العصور الوسطى ، فإن ارتفاع بناء هذا القصر إلى أربعين ذراعا يجعله مشابها لبعض العمائر ذات الخمسة أدوار بالقاهرة فى العصر الحالى . على أن الذى يدعو إلى العجب أن أساس ذلك القصر كان نازلا فى الأرض مسافة أربعين ذراعا أيضا ، كما بالمتن . هذا وقد وصف المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، =

من شاذِرْوان (١) إلى بركة . وأخرب [بشتاك] فى عمل (٢) [هذا القصر] أحد عشر مسجدا وأربعة معابد أدخلها فيه ، ولم يجدّد منها سوى مسجد الفجل (٣) — [وقد سمّى هذا المسجد بذلك الاسم] من أجل أن قيّمه يعرف بالفجل — ؛ وأنشأ خانا تجاه خان (٤) الزكاة . ثم باع [بشتاك] هذا القصر لزوجة (٥) بكتمر الساقى .

وفيها خُطب للخليفة الواثق بالله إبراهيم بن محمد المستمسك بن أحمد الحاكم (٢٣٧ ب) بأمر الله . وذلك أن الخبر قدم فى يوم الجمعة ثانى عشر شعبان بموت الخليفة المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ، بقوص فى مستهلّ شعبان ، بعد موت ابنه صدقة بقليل ؛ وأنه اشتدّ جزعه عليه ، و [أنه] قد عهده لولده أحمد بشهادة أربعين عدلا ، وأثبت قاضى قوص ذلك . فلم يُمض السلطان (٦) عهـده ، وطلب إبراهيم فى يوم الاثنين خامس عشرى شعبان ، وأجلسه بجانبه وحادثه . ثم قام [إبراهيم] وخرج معه الحجاب بين يديه ، ثم طلع [إلى

= ص ٧٠) هذا القصر القائم حتى الآن بتفصيل أكثر مما هنا ، ونصه : " فجاء هذا القصر من أعظم مبانى القاهرة ، فإن ارتفاعه فى الهواء أربعون ذراعا ، ونزول أساسه فى الأرض مثل ذلك ، والماء يجرى بأعلاه ، وله شبابيك من حديد تشرف على شارع القاهرة ، وينظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين ، وهو مشرف جميل ، مع حسن بنائه وتأنق زخرفته والمبالغة فى تزويقه وترخيمه ". انظر أيضا ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٤٩ ، حاشية ٣) .

(١) الشاذروان ، والجمع شادروانات — ويقال شاذروان أيضاً — ، لفظ فارسى الأصل ، ومعناه هنا أنبوبة مبنية — أو " تأزيرة " — فى الحائط ، يجرى فيها الماء إلى بركة مثلا كما بالمتن . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) فى ف " عمله " ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٣) ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤١٣) بصدد هذا المسجد أن العامة كانت تزعم فى تسميته بهذا الاسم أن النيل كان يمرّ قديماً بمكان ذلك المسجد ، وأن الفجل كان يغسل هناك .

(٤) ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٧٥) خان الزكاة من غير أن يشير بشىء إلى أصل تسميته بهذا الاسم ، فقال إنه كان فندقاً ، وقد بنيت فى موضعه المدرسة الظاهرية الجديدة — نسبة إلى السلطان الظاهر برقوق — ، وهى التى تعرف اليوم حسبما ذكر محمد رمزى بك باسم جامع السلطان برقوق ، المجاور لجامع السلطان الناصر محمد ، بشارع المعز لدين الله بالقاهرة .

(٥) فى ف " لزوجته التى كانت تحت بكتمر الساقى " ، وما هنا من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٧٠) ، حيث ورد بصدد هذا القصر أن الأمير بشتاك " لم يبارك له فيه ، ولا تمتع به ، وكان إذا نزل إليه ينقبض صدره ، ولا تنبسط نفسه ما دام فيـه حتى يخرج منه ، فترك المجىء إليه . فصار يتعاهده أحيانا ، فيعتريه ما تقدّم ذكره ، فـكرهه وباعه لزوجة بكتمر الساقى " ، كما بالمتن .

(٦) هذه العبارة تنبئ بوضوح عما صارت إليه الخلافة العباسية فى بعض أيام العصر المملوكى ، كما أنها تنبئ بكثير عن مدى سطوة السلطان الناصر محمد .

السلطان] فى يوم الاثنين ثالث [عشر[١]] رمضان ، وقد اجتمع القضاة بدار العدل على العادة ؛ فعرّفهم السلطان بما أراد (١٢٣٨) من إقامة إبراهيم فى الخلافة وأمرهم بمبايعته ، فأجابوا بعدم أهليته ، وأن المستكفى عهد إلى ولده أحمد بشهادة أربعين عدلا وحاكم[٢] قوص ، ويُحتاج إلى النظر فى عهده . فكتب السلطان بطلب أحمد وعائلة أبيه ، وأقام الخطباء بديار مصر والشام نحو أربعة أشهر لا يذكرون فى خُطبهم الخليفة . فلما قدم أحمد من قوص لم يُمض السلطان عهده ، وطلب إبراهيمَ وعرّفه[٣] قبح سيرته ، فأظهر [التوبة[٤]] منها والتزم بسلوك طريق الخير . فاستدعى [السلطان] القضاة فى يوم الاثنين ، وعرّفهم أنه قد أقام إبراهيم فى الخلافة ، فأخذ قاضى (٢٣٨ ب) القضاة عز الدين [عبد العزيز] بن جماعة يعرّفه سوء سيرته وعدمَ أهليته للخلافة ، فأجاب بأنه قد تاب ، "والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وقد وليته فاشهدوا علىّ بولايته" ورتّب له [السلطان] ما جرت به العادة ، وهو ثلاثة آلاف وخمسمائة وستون درهماً وتسعة عشر أردب قمحاً وعشرة أرادب شعيراً فى كلّ شهر ؛ فلم يعارضه أحد . وخُطِب له فى [يوم الجمعة[٥] سادس] ذى القعدة ، ولُقِّب بالواثق بالله أبى إسحاق ؛ فكانت العامة تسميه المستعطى[٦] ، فإنه كان يستعطى من الناس ما ينفقه ؛ وشُهر بارتكاب أمور غير مرضية .

وفيها استقرّ فى قضاء (١٢٣٩) الشافعية بحلب برهان الدين إبراهيم بن الفخر خليل ابن إبراهيم الرسعنى ، عوضا عن زين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلفيائى[٧] .

و[فيها] استقرّ ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن

---

(١) أضف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٥١) .

(٢) يلاحظ القارئ أن المقريزى قد أورد لفظ "حاكم" هنا كمرادف للفظ "قاضى" ، ومنه يستنتج أن قضاة الأقاليم فى مصر فى العصور الوسطى كانوا يقومون فيما يظهر بأعمال تنفيذية فوق قيامهم بوظيفة القضاء . (٣) الضمير عائد على إبراهيم . انظر ما يلى بهذه الصفحة .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٨٥ ب) فقط . انظر أيضاً ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٩ ، ص ١٥١) .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٨٥) فقط .

(٦) ليس فى حوادث الخلافة العباسية أوضح من هذه التسمية ، ومن هذه الحوادث كلها ، لمعرفة ما صارت إليه وظيفة الخليفة عند السلاطين والناس والعامة فى عهد المماليك بمصر .

(٧) فى ف "الطغياى" . انظر ما سبق ، ص ٤٦٩ ، وكذلك ابن الوردى (تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣٢٨) .

أبى المعالى[١] الحلبى فى كتابة السرّ بحلب، عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن القطب المصرى.

وفيها استقرّ الشيخ حسن [الـكبير] بن الأمير حسـين بن آقبغا بن أيدكين[٢]، [وهو] سبط القان أرغون ابن أبغا بن هولاكو، فى مملـكة بغـداد، قدم إليها من خراسان؛ و[كان] الشيخ حسن [الصـغير[٣]] ابن دمرداش إذ ذاك (٢٣٩ ب) حاكمَ توريز.

وكان قاع النيل فى هذه السنة أربعة أذرع وخمس أصابع، وانتهت زيادته إلى سبعة عشر ذراعا وتسع عشرة إصبعا.

ومات فيها من الأعيان شهاب الدين أحمد بن عيسى بن جعفر الأرمنتى المصرى[٤] — عُرف بابن الـكمال —، فى جمادى الأولى؛ سمع من الأبرقوهى؛ وكان ثقة. و[توفى] الشيخ مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنـكلونى[٥] الشافعى، ليلة الثلاثاء رابع ربيع الأول؛ وله شرح التنبيه فى الفقه وغيره؛ وولى مشيخة خانكاه بيبرس. و[توفى] الخليفة (٢٤٠) المستكفى بالله أبو الربيع سليمان بن الخليفة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الحسن بن أبى بكر بن أبى على بن الحسن العباسى، بمدينة قوص، عن ست وخمسين سنة وستة أشهر وأحد عشر يوما، فى خامس شعبان؛ وكانت خلافته تسعا وثلاثين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوما؛ وكان حشما كريما فاضلا. و[توفى] خطيب أخميم علم الدين على؛ وكان له مال كثير وإفضال كثير: أضاف السلطان مرتين، وكفاه بجميع ما يحتاج إليه، وأهدى إلى جميع الأمراء؛ وعمر مدرسة بمدينة أخميم. و[مات] الأمير (٢٤٠ ب) ركن الدين بيبرس الأوحدى والى القلعة، أحد المماليك

---

(١) فى ف "المعاملى"، وما هنا من ب (٤٨٥ ب). انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الـكامنة، ج ٤، ص ٢٨٧ — ٢٨٩)، حيث توجد ترجمة طويلة لهذا الشيخ.

(٢) فى ف "أملـكان"، انظر ما سبق، ص ٤٠٧، حاشية ٢، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين.

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق هنا، ص ٤٤٥، حاشية ٢.

(٤) فى ف "المصرف"، وما هنا من ب (٤٨٥ ب).

(٥) فى ف "السنكلونى"، وماهنا من ابن العماد (شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٢٥). والنسبة إلى زنكلون، وهى قرية قرب بلدة القنيات بمديرية الشرقية. (مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١١، ص ٩٨).

المنصورية ، فى يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول . و [مات] الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى ، وكان خيّرا . ومات بدمشق الأمير آقسنقر مشدّ العمارة ، المنسوب إليه قنطرة آقسنقر على الخليج خارج القاهرة ، والجامع بسويقة السباعين على البركة الناصرية فيما بين القاهرة ومصر . و [مات] الأمير علم الدين على بن حسن المروانى والى القاهرة ، فى ثانى عشر رجب ، بعد مقاساة أمراض شنيعة مدة سنة ؛ وكان سفّاكا أفاكا (١٢٤١) ظلوما غشوما ، اقترح فى ولايته عقوبات مهولة : منها نعلُ الرجلِ فى رجليه بالحديد كما تُنعل الخيل ، ومنها تعليق الرجل بيديه وتعليق مقايرات[(١)] العلاج فى رجليه ، فتتخلّع أعضاؤه ويموت ؛ وقتَل خلقاً كثيراً من الكتّاب وغيرهم فى أيام النشو ؛ ولما حُملت جنازته وقف عالم عظيم كثير لرجمه ، فركب الوالى وابن صابر المقدّم حتى طردهم . و [مات] الأمير عز الدين أيدمر الدوادار الناصرى بدمشق ؛ وكان خيّراً فاضلا . ومات الأمير بهادر البدرى نائب الكرك ، وهو منفى بطرابلس . و [توفى] شرف (١٢٤١ ب) الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر القيراطى الشافعى ، بالقاهرة عن سبعين سنة ؛ تصدّر بالجامع الأزهر ، وباشر قضاء دمياط . و [توفى] جمال الدين عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم التبريزى الحرّانى الشافعى ، قاضى دمياط ؛ كان فقيها أديباً شاعراً خطيباً . و [توفى] الشيخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى شيخ الشيوخ ، فى يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر — وقد أناف على السبعين — ، بخانكاه سرياقوس و [مات] الأمير ركن الدين بيبرس الركنى المظفرى ، كاشف (١٢٤٢) البحيرة ووالى ثغر الإسكندرية ، عن مال كثير . و [مات] شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله — المعروف بالنشو — ناظر الخاص ، فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر ؛ كان أبوه يكتب عند الأمير بكتمر الحاجب وهو ينوب عنه ، ثم انتقل إلى مباشرة ديوان الأمير أركتمر الجدار ، ثم ولى استيفاء الدولة ، ثم باشر ديوان الأمير آنوك بن السلطان ، وأُكره[(٢)] حتى أظهر الإسلام ؛ وولى نظر الخاص [السلطانى] ، فبلغ ما لم يبلغه أحد

(١) فى ف "مقابرات". انظر ما سبق ، ص ٤٢٢ ، حاشية ٤ .

(٢) ذكر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٢٩) بصدد إسلام النشو أن السلطان الناصر هو الذى استسلمه وسمّاه عبد الوهاب ، وذلك بعد أن كان النشو قد خدم عنده مدة .

من الأقباط فى دولة الترك ؛ وتقدّم عند السلطان على كل أحـد ، وخدمه جميع أرباب الأقلام ؛ وكان (٢٤٢ ب) محضر سوء لم يُشْهر عنه شىء من الخير ؛ وجمع من الأموال مالم يجمعه وزير للدولة التركية ؛ وكان مظفّراً ، ماضرب على أحد إلاّ ونال غرضه منه بالإيقاع به وتخريب دياره ؛ وقُتل على يديه عدة من الولاة والـكتّاب ، واجتهد غاية جهده فى قتل موسى بن التاج إسحاق ، وعاقبه ستة أشهر بأنواع العقوبات ، من الضرب بالمقارع والعَصْرِ فى كعابه وتسعِيطه بالماء والملح وبالخل والجير وغير ذلك — مع نحافة بدنه [1] ومرضه بالربو والحمى — ؛ فلم يمت ؛ وعاش [التاج موسى [2] هذا ثلاثين سنة] بعد هلاك النشو. و [مات] مجد الدين (١٢٤٣) رزق الله [ابن فضل الله] أخو النشو ؛ خدم وهو نصرانى فى استيفاء الخاص أيام أخيه ، ثم أسلم على يد السلطان فى سنة ست وثلاثين كَرْها [3] ، وخدم عند الأمير ملـكتمر الحجازى ، فعظم شأنه وفعل خيراً كثيراً ؛ فلما قُبض [على أخيه قُبض] عليه معه ، فذبح نفسه [4] فى ثالث صفر [5] .

***

سنة إحدى وأربعين وسبعمائة : [فى] يوم الثلاثاء سابع المحرم وصل الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام وهو متضعّف ، صحبة الأمير بيبرس السلاح دار ؛ وأُنزل من القلعة بمكان ضيّق حرج . وقصَد [السلطان] ضربه بالمقارع ، فقام الأمير قوصون فى الشفاعة له حتى أجيب إلى ذلك . وبعث (٢٤٣ ب) إليه السلطان يهدّده حتى يعترف بما له من المـال ، ويذكر مَنْ كان موافقاً له على العصيان من الأمراء . فأجاب [تنكز] بأنه

(١) أورد ابن حجر (الدرر الـكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٧٤) بصدد موسى هذا أنه لما خلص من عقوبات النشو عوفى من جميع ما كان يعتريه من الأسقام .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

(٣) يتضح مما جاء فى ابن حجر (الدرر الـكامنة ، ج ٢ ، ص ١٠٨ — ١٠٩) بصدد رزق الله هذا أن إسلامه كان كرها ، إذ ورد فيها أن السلطان الناصر "استسلمه فى سنة ٧٣٦هـ ، بعد أن لـكمه وعرض عليه السيف ، فأسلم ؛ وقال له [السلطان] لا تكن إلا شافعياً مثلى " .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٤٧٩ .

(٥) يوجد فى (Zetterstéen : Op. Cit. p. 204) ضمن وفيات هذه السنة وفاة سليل أيوبى ، وهو "الأمير صلاح الدين محمد بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك الزاهر داود من بنى شيركوه ابن شادى" ، وكانت وفاته بالقـاهرة ، فى ثامن عشرى صفر ، ودفن بتربة نائب الـكرك خارج باب النصر .

لا مال له سوى ثلاثين ألف دينار وديعة عنده لأيتام بكتمر الساقى ، وأنكر أن يكون خَرَج عن الطاعة . فأمر به [السلطان] فى الليل فأُخرج مع ابن صابر المقدّم وأمير جندار ، وحُمل فى حرّاقة بالنيل إلى الإسكندرية ؛ فقتله بها إبراهيم بن صابر المقدّم ، فى يوم الثلاثاء خامس عشره .

وفى يوم الاثنين سادسه قدم الأمير بشتاك والأمير ألطنبغا الصالحى إلى دمشق فيمن معهما من (١٢٤٤) الأمراء ، وقد خرج الناس إلى لقائهم ، فكان يوماً مشهوداً . ونزل الأمير ألطنبغا بدار السعادة ، و [نزل] الأمير بشتاك بالميدان . ثم [(١)] قُبض على الأمير صاروجا المظفرى والأمير ألجيبغا العادلى ؛ وطُلِب من أزام تنكز [مملوكاه [(٢)]] جنغيه وطغيه ، وسُلّما للأمير برسبغا ؛ فعاقبهما أشد عقوبة على المال ، وقَبض على أولادهما وحواشيهما ، وأوقع الحوطة على موجوديهما وموجود صاروجا وألجيبغا . ثم وُسِّط جنغيه وطغيه بسوق الخيل ، وأُكحل صاروجا .

وتُتُبِّعت أموال تنكز ، فوُجد له مايجلّ وصفه . وعُملت لبيع حواصله [عدة] حلق [(٣)] ، تولّى البيع (٢٤٤ب) فيها الأمير ألطنبغا نائب الشام والأمير أرقطاى ، وهما أعدى عدوٍّ له ؛ وكان فى ذلك عبرة لمن اعتبر . وظهر له من التحف السنية ما يعزّ وجود مثله : منها مائتا منديل زركش ، ومائة حياصة مرصّعة بالجوهر ، وأربعمائة حياصة ذهب ، وستمائة كلفتاه ، وثمانية وستون بقجة بها بدلات ثياب زركش ، وألفا ثوب أطلس ، ومائتا تخفيفة زركش ، وذهب مختوم [(٤)] أربعمائة ألف مثقال . واشتملت جملة ما أبيع له على مائتى ألف دينار ، فكان جملة العين ستمائة ألف دينار وأربعمائة دينار .

ووُجد له (١٢٤٥) من الهجن والخيل والجمال البخاتى وغيرها نحو أربعة آلاف [(٥)]

---

(١) فى ف "وقبض" .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق ص ٥٠٠ ، سطر ١٢ . انظر أيضا ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٥٢) . (٣) انظر ما سبق ، ص ٤٨٦ ، حاشية ٤ .

(٤) ربما كان المقصود بذلك الذهب المختوم بسكة دار الضرب ، تمييزا له من الذهب غير المختوم بتلك السكة . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٥٤) ، حيث هذه الجملة واردة كالآتى : "وذهب مختوم أربعمائة ألف دينار مصرية" ومنه يتضح هذا المعنى .

(٥) فى ف "اربعة الاف دينار ومايتى راس" ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٥٤) .

ومائتى رأس ، وذلك سوى ما أخذه الأمراء ومماليكهم ، فإنهم كانوا ينهبون ما يُخرَج به نهباً . ووُجد له من الثياب الصوف ومن النصافى[1] ما لا ينحصر ؛ وظفر الأمير بشتاك بجوهر له ثمين اختصّ به . وحُملت حرمه وأولاده إلى مصر صحبة الأمير بيغرا ، بعد ما أُخذ لهم من الجوهر واللؤلؤ والزركش شىء كثير .

ووُجد لألجيبغا العادلى [مبلغ] مائة وعشرين ألف درهم ، وألف ومائتى دينار ، وأصناف كثيرة ؛ فبلغت تركته ستمائة ألف درهم . ولم يؤخذ لصاروجا غير أربعين (٢٤٥ ب) ألف درهم ؛ وصودر جماعة من ألزام تنكز ، فأخِذ منهم نحو الألفى ألف درهم .

ثم توجه الأمير بشتاك من دمشق ، وقدم قلعة الجبل ؛ فخُلع عليه وأُكرم إكراماً زائداً . ثم قدم الأمير قطلو بغا الفخرى باستدعاء ؛ فخلع عليه ، وأنعم عليه بتقدمة ألف . ثم قدم الأمير طشتمر حمّص أخضر نائب صفد ، فخلع عليه بنيابة حلب ، عوضاً عن طرغاى الجاشنكير . وخُلِع على الأمير مسعود بن خطير الحاجب بنيابة غزة ، وأنعم على برسبغا بتقدمته وحجو بيته . وكتب بحضور طرغاى من حلب .

و[فيها] استقرّ الأمير (٢٤٦ ا) أرقطاى فى نيابة طرابلس عوضاً عن طينال ؛ وأقام طينال بدمشق .

و[فيها] استقرّ الأمير آقسنقر السلاّرى فى نيابة صفد ، عوضاً عن الأمير طشتمر .

ولما قدم حريم تنكز أُنزلوا فى داره بخط الكافورى ؛ و[كان] قد أخرج جمالُ الكفاة ناظر الخاص منها حواصل جليلة ، ما بين أوانى صينى ومسك وعود وغير ذلك ، أقام فى بيعه مدة أربعة أشهر ، [و] بلغت قيمتها نحو ثمانين ألف درهم وألفى دينار ، سوى ما أنعم به على الأمراء .

ووُجد [لتنكز][2] بقلعة جعبر [مبلغ] ثلاثين ألف دينار ، وثلاثين حمل سلاح ؛ ووُجد (٣٤٦ ب) له حاصلُ سُرُوج ولجم وسلاسل ذهب وفضة وعدّة سلاح بما ينيف على [مائة][3] ألف دينار . وقُوِّمت أملاكه بما ينيف على مائة ألف دينار .

(١) انظر ما سبق ص ٦٨ ، حاشية ٢ ، وكذلك ابن الحاج (كتاب المدخل ، ج ٤ ، ص ٢٣ ، حاشية ١) حيث ورد أن النصافى جمع نصيف ، وهو ماله لونان من البُرُد .

(٢) فى ف "له" ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٨٧ ب) .

وكان لتغيّر السلطان على تنكز أسباب : منها أنه كتب يستأذن فى سيره إلى ناحية جعبر ، فمنعه السلطان من ذلك ، لما فى تلك(١) البلاد من الغلاء ؛ وألحّ [تنكز] فى الطلب والجواب يردُ بمنعه ، حتى حنق من(٢) [السلطان] ، وقال : "والله لقد تغيّر عقل أستاذنا ، وصار يسمع من الصبيان الذين حوله ! ووالله لو سمع منى لكنتُ أشير عليه بأن يقيم أحد أولاده ، وأقوم أنا بتدبير أمره ، ويبقى هو (١٢٤٧) مستريحاً" . فكتب بذلك جركتمر للسلطان ، وكان يتخيّل [بدون](٣) هذا ؛ فأسرّ فى نفسه منه شيئاً . واتفق أن أرتنا نائب الروم بعث رسولا إلى السلطان بكتابه ، ولم يكتب معه كتاباً إلى تنكز ؛ فحنق [تنكز] لعدم مكاتبته ، وردّ رسوله من دمشق . فكتب أرتنا يعرّف السلطان بذلك ، و يسأل ألا يطّلع تنكز على ما بينه و بين السلطان ، ورماه بأمور أوجبت شدة تغيّره عليه . واتفق أيضاً أن غضب تنكز على جماعة من مماليكه ، وضربهم وسجنهم بالكرك والشوبك ؛ فكتب منهم جوبان — وكان أكبر مماليكه — (٢٤٧ ب) إلى الأمير قوصون يتشفّع به فى الإفراج عنه من سجن الشوبك . فكلّم [قوصون] السلطانَ فى ذلك ، فكتب إلى تنكز يشفع فى جوبان ، فلم يجب عن أمره بشىء ؛ فكتب إليه ثانياً وثالثاً ، فلم يجب . فاشتدّ غضب السلطان حتى قال للأمراء : "ما تقولون فى هذا الرجل ؟ هو شفع عندى فى قاتل أخى فقبلتُ شفاعته ، وأخرجتُه من السجن وسيّرته إليه — يعنى طشتمر أخا بتخاص — ، وأنا أشفع فى مملوكه ما يقبل شفاعتى !" ؛ وكتب لنائب الشوبك بالإفراج عن جوبان ، فأفرج(٤) عنه .

وكان [تنكز] رحمه الله فى نيابة دمشق قد أزال (١٢٤٨) المظالم ، وأقام منار الشرع

(١) فى ف "ذلك" .
(٢) فى ف "منه" ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٨٧ ب) . انظر أيضا ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٥٩) .
(٤) أضاف المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٤) إلى عدة الأسباب التى حملت الناصر على القبض على تنكز أنه "أشيع بدمشق أنه (تنكز) يريد العبور إلى بلاد الططر (كذا والمراد التتر) ، فبلغ ذلك السلطان فتنكر له ..." . ويظهر أن تلك الإشاعة كانت قبل قبض السلطان على تنكز بمدة ، فقد ذكر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ١٤٨) فى هذا الصدد أنه "يقال إن بين غضبه من تنكز وهمّه بإمساكه إلى أن أمسك ثمانى سنين" .

وأَمَرَ بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وأزال ما كان بدمشق وأعمالها من الفواحش والخانات والخمارات ، وبالغ فى العقوبة على ذلك حتى قَتَل فيه . وأنصف العامة والتجار بخلاص حقوقهم من الأمراء ، وحَمَلهم مع أخصامهم إلى الشرع . واحتجب عن الاجتماع بالشاميين وغيرهم ، [وامتنع](١) من قبول التقادم والهدايا [جملة] . وتتبّع المدارس والمساجد والأوقاف فعمرها جميعها ، ومَنَع مستحقيها من تناول ريعها حتى كمّلت عمارتها . وجدّد عدة أماكن قد دثرت أوقافها ، وأعاد فيها وظائف العبادات بعد ما بطلت . (٣٤٨ ب) وجدّد عمارة الجامع الأموى ، وعمّر أوقافه ؛ وأصلح تقاسيم(٢) المياه بعد ما كانت فاسدة ، ونظّف(٣) مجاريها ووضّح طرقها ؛ وهدم الأملاك التى استجدّها الناس وضيّقوا بها الشوارع والطرق المسلوكة . وألزم والى المدينـة أن يُعلمه بمن يشرب الخمر من الأمراء وأولادهم ، فتعذّر وجود الخمر فى أيامه ، ولم يكن يوجد . واستجدّ ديواناً(٤) للزكاة ، وَصَرَفها للفقراء

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٨٨ ا) فقط .

(٢) فى ف "تقاسم" .

(٣) فى ف "ونصف" ، وما هنا من ب (٤٨٨ ا) .

(٤) كذا فى ف ، ولم يستطع الناشر أن يجد فيما لديه من المراجع المتداولة فى هذه الحواشى شيئا بصدد نشأة هذا الديوان وتاريخه فى الدولة الإسلامية ، باعتباره الديوان الذى قام على جمع الزكاة وصرفها على مقتضى الشريعة ، ما عدا أنه يفهم من (Von Kremer : Culturgeschichte des Orients) ، وهو الـكتاب المترجم إلى الإنجليزية تحت اسم (Khuda Bukhsh : The Orient Under The Caliphs. p. 187) أن الخليفـة معاوية بن أبى سفيان لما استقرّ له الأمر فرض الزكاة على أموال المستحقين من بيت مال المسلمين ، وربما تطلّب ذلك منه إنشاء ديوان للزكاة . ثم أنه يوجد فى ابن طباطبا (الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص ٢٣٦) أن الوزير على بن عيسى "لما ولى الوزارة فشت صدقاته ومبرّاته ، ووقف وقوفا كثيرة من ضياع السلطان ، وأفرد لها ديوانا سماه ديوان البرّ ، جعل حاصله لإصلاح الثغور وللحرمين الشريفين" ، وهذا الديوان هو الذى أورده مسكويه (تجارب الأمم ، ج ٥ ، ص٢٥٧) باسم ديوان البر والصدقات ، على أنه من الواضح مما سبق هنا بهـذه الحاشية أنه لم تكن ثمت علاقة بين هذا الديوان وبين الزكاة . انظر أيضا (Mez : Die Renaissance Des Islams) ، وهو الـكتاب الذى ترجم إلى اللغة العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة تحت اسم "الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع عشر الهجرى" ، (ج ١ ، ص ١٢٥ — ١٣١) . غير أنه يوجد فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٤ — ٤٥) ، والمقريزى أيضا (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٨ ، وما بعدها) أن السلطان صلاح الدين الأيوبى كان أول من جبى الزكاة بمصر ، وأنه كان بمصر منذ عصر الأيوبيين ديوان يعرف باسم "ديوان الزكاة" ، ويقوم عليه موظف اسمه "متولى الزكاة" ، وكان الأسعد بن مماتى صاحب كتاب "قوانين الدواوين" ممن تولوا هذه الوظيفة . ويظهر أن هذا الديوان كان منبع مضايقات متعددة لـكثير من الناس ، ولا سيما المسافرين والحجاج والباعة (انظر المقريزى : نفس المرجع والجزء ، =

والمساكين وأرباب البيوت . وانكفّت الولاة فى أيامه عن الظلم ، وأحبّته العامة . ومنع الأمراء من تسخير (١٢٤٩) الفلاحين والمزارعين فى أعمالهم ؛ ومنعهم أيضاً من الاجتماع فى الفُرَج والمتنزهات وغيرها ، فصاروا إذا ركبوا فى المواكب لا يقدر أحد منهم أن يكلّم رفيقه ، وإذا صاروا إلى بيوتهم لا يستطيع الواحد أن يجتمع بالآخر ؛ وإذا خرج [تنكز] إلى سفر لا يتأخّر منهم أحد ، سواء قال له اخرج أو لم يقل له . ومَنَع أكابر الأمراء أن تترجّل له أو تمشى فى خدمته ، فأقام الله له من الحرمة ما لا حصل لأحد من نواب الدولة التركية . وكتب لنواب البلاد الشامية ألا يكاتبوا السلطان إلا ويكاتبوه ، وأن تردّ (٢٤٩ ب) مكاتباتهم للسلطان عليه بغير ختم ليقف عليها ، فإن أرضته بعث بها إلى السلطان وإلا ردّها . وأضيف إليه أمر صفد وغزة . وكان مغرماً بالصيد ، بحيث يركب له فى السنة ثلاث مرات ،

= ص ١٠٩) ، وكذلك ابن جبير (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار — Wright — ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٥ — ٥٦ ، ٦٣ — ٦٤) ، ولذا أمر السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين (٥٨٩ — ٥٩٥ هـ ، ١١٩٣ — ١١٩٨ م) بتفويض أمر الزكاة إلى أرباب الأموال ، فمن " وجب عليه حق فيها وحمله إلى ديوان الزكاة قُبل منه ، ومن لم يحمل [من زكاته شيئا] لا يُتعرّض إليه ، فبخُل الأغنياء بإخراج زكواتهم ... " . راجع أيضا المقريزى (المواعظ والاعتبار — Wiet — ، ج ٢ ، ص ١٠٠) . ومن ذلك كله يتضح أن ديوان الزكاة الذى نشأ فى مصر فى أوائل عهد الأيوبيين قد قلّ شأنه منذ عهد السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين ، وأن الدولة تركت الناس يتصرّفون فى أمر الزكاة بأنفسهم إلى حدّ كبير . ويظهر أن الحال بقى على هذا المنوال مدة الدولة الأيوبية ودولتى المماليك الأولى والثانية ، حتى أوائل القرن التاسع الهجرى على الأقل ، فقد ذكر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٧) ضمن ما أورده بصدد الزكاة ما نصه " والذى عليه العمل فى زماننا بالديار المصرية أن أرباب الزكوات المؤدين لها يفرّقونها بأنفسهم ، ولم يبق بها ما يؤخذ على صورة الزكاة إلا شيئين ، أحدهما ما يؤخذ من التجار وغيرهم على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب وفضة ، فإنهم يأخذون على كل مائتى درهم خمسة دراهم ... ، ثم إنه إذا كان بالبلد متجر لأحد تجار الكارم من بهار ونحوه وحال عليه الحول بالبلد أخذوا عليه الزكاة أيضاً ... ... ؛ والثانى ما يؤخذ من العداد من مواشى أهل برقة من الغنم والإبل ، عند قدومهم للبحيرة بسبب المرعى " . ومن هذه العبارة يتضح أن لفظ الزكاة قد اقتصر معناه فى عصر المماليك على جزء فقط من مدلوله الأصلى ، بل يوجد بالمقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٧) ما ينصّ على أن الزكاة قد صارت تعتبر من الأموال الهلالية والمكوس المستحدثة ، مثل مكوس المواريث والثغور والمتجر السلطانى وغيرها ، كما يوجد بنفس المرجع والجزء (ص ٣٧٥) خان اسمه خان الزكاة ، وقد تقدّمت الإشارة إليه فيما سبق هنا (ص ٥٠٢ ، حاشية ٣) بأنه كان فندقا للمسافرين من الحجاج والتجار فيما يظهر . وكذلك يوجد بالقلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨٧) تعريف لوظيفة شدّ الزكاة بدمشق ، ونصه " وموضوعها التحدث فى متجر الكارم ونحوه ... " ، ومنه يتبين تماما ما انكمش إليه معنى لفظ الزكاة فى عصر المماليك . انظر أيضا (Demombynes : La Syrie, p. 149) .

آخرها تعدية الفرات فى الشتاء ؛ فإذا ضَرَب الحلقة تشتمل على ثلاثمائة غزال ونيف ، [و] على مائتى رأس من بقر ونعام ، وغير ذلك . وعمّر قلعة جعبر بعد خرابها من عهد غازان ، وشحنها بالرجال والسلاح والغلال والذخائر . وعدّى الفرات مراراً ، فاتفق أنه عدّى مرة ، فحمل إليه الشيخ حسن [الكبير] وابن سونتاى[١] الهدايا (١٢٥٠ ا) الجليلة ، وخافه أهل بغداد والموصل ، فجلا كثير منهم ؛ وخافته الأكراد والتركمان والعربان بأجمعهم . وكانت أولاد دمرداش فى أعمال توريز ، فإذا بلغهم مسيره رحلوا خوفاً منه ، حتى يبلغهم عوده إلى دمشق .

فلما كانت آخر أيامه صادر جماعة كثيرة من كتاب السرّ وغيرهم ، ومن الضمّان[٢] والعرفاء . واتخذ الأملاك ، وأخذ عدة أوقاف من أولاد[٣] الملوك ، حتى كانت غلة أملاكه كل سنة مائة ألف درهم . وسخّر الفلاحين ، وقطع الزكاة ، وأخرق بكثير من الأمراء ، وأخرج منهم جماعة (٢٥٠ ب) عن دمشق ؛ وبالغ فى العقوبة ، وساء خُلُقه كثيراً[٤] . وكانت مدة نيابته ثمانيا وعشرين سنة وأشهراً .

وفيه طُلب شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، وخُلع عليه بكتابة السرّ بدمشق ، بعد ما خلّفه السلطان عوضاً عن شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن القيسرانى . فقدم [ابن فضل الله] إلى دمشق ، وقد كاد الأمير برسبغا الحاجب أن يقطع يد ابن القيسرانى بمرسوم السلطان ، بعد ما صادره ؛ فقام فى ذلك ابن فضل الله حتى أفرج عنه .

و[فيه] طُلب أيضاً (١٢٥١ ا) شمس الدين موسى بن التاج إسحاق ، وخُلع عليه ؛

(١) فى ف "سوتاى" . انظر ما سبق ، ص ٤٥٢ .

(٢) فى ف "الغلمان" ، وما هنا من ب (٤٨٨ ب) .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٤٧٤ ، حاشية ٣ .

(٤) هذا تحوّل غريب من رجل بدأ كريماً يقيم الصلاة والزكاة والحدود ، ويحكم بين الناس بالعدل ؛ على أنه يوجد بالمقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٤) شرح لأخلاق تنكز ، ومنه "أنه كان يتخيل خيالا فيحتدّ خلقه ويشتدّ غضبه ، فهلك بذلك كثير من الناس ، ولايقدر أحد أن يوضح له الصواب لشدة هيبته ؛ وكان إذا غضب لايرضى البتة بوجه ، وإذا بطش كان بطشه بطش الجبارين ، ويكون الذنب صغيراً فلا يزال يكبره حتى يخرج فى عقوبة فاعله عن الحد ..." ؛ فربما كان قد اعتراه فى أواخر أيامه ما حوّله عن سلوكه الأول إلى هذه الدرجة من الانقلاب النفسى .

واستقرّ فى نظر الجيش بدمشق ، عوضاً عن فخر الدين محمد بن الحلى بعد موته . وأخرجت له بغلة النشو التى كان يركبها ، وجُهِّز من الخزانة حتى سافر ؛ فباشر الجيش بعفة زائدة ، وأبطل ما كان يستهديه[1] مَنْ قبله .

وفيه قُبض على [الأمير] مكين الدين إبراهيم بن قروينة ناظر الجيش ، وسُلِّم للأمير برسبغا الحاجب . وطُلب جمال الكفاة ناظر الخاص ، وخُلع عليه لنظر الجيش مع نظر الخاص ، ولم يجمعهما[2] أحد قبله . ثم أفرج عن ابن قروينة بعد ما حمل مائة وثلاثين ألف (٢٥١ ب) درهم ، بشفاعة الأمير بشتاك .

وفيه قُبض على الصاحب أمين الدين[3] أبى سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنام[4] ، وسُلِّم إلى الأمير برسبغا ؛ ورُسِم له بعقوبته من أجل أنه اتهم بأنه كان من جهة تنكز . فعاقبه [برسبغا] ، وعاقب ولده[5] تاج الدين أحمد ناظر الدولة ، وأخاه كريم الدين أبا شاكر مستوفى الصحبة ؛ وأَخذ أموالهم ؛ ثم خُنِقَ [أمين[6] الدين] .

وفى [يوم الجمعة[7] حادى] عشرى ربيع الآخر مات الأمير آنوك بن السلطان بعد مرض طويل ، فدفن بالتربة الناصرية بين القصرين ؛ وكان يوماً مهولا ، نزل فى جنازته جميع الأمراء . وباعت أمه ثيابه وتصدّقت بها على الفقراء ، ورتّبت القرّاء على قبره [بجارٍ لهم فى كلّ شهر من وقفٍ[8] وقفته على قبره] ؛ (٢٥٢ ا) وأقامت سنة تعمل فى كل ليلة جمعة على قبره مجتمعاً يحضره القرّاء لقراءة ختمة كريمة ، وتمدّ لهم الأسمطة الجليلة .

---

(١) فى ف "يشهد به" ، وما هنا من ب (٤٨٨ ب) .

(٢) هنا مثل من أمثلة التعدّد فى الوظائف السلطانية الكبرى .

(٣) فى ف "امين الدين امين الملك" ، انظر ما سبق ، ص ١٠٦ ، حاشية ٣ ؛ ص ٤٨٣ ، حاشية ٢ ؛ وكذلك ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥١ — ٢٥٢)

(٤) فى ف "غنام" . انظر المراجع الواردة بالحاشية السابقة .

(٥) فى ف "وعاقب اولاده تاج الدين احمد واخوته" ، وما هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 213) .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٢) .

(٧،٨) ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها وارد فى ب (٤٨٨ ب — ٤٨٩ ا) فقط ، وقد ذكر (Zetterstéen : Op. Cit. pp. 212,215) بصدد الأمير آنوك أنه توفى فى يوم الجمعة سابع ربيع الآخر من تلك السنة .

و[فيه] أنعم على الأمير قطلو بغا بإقطاع آنوك .

وفى هذه السنة كثر وقوع الحريق بالنواحى فى أجران الغلال بنواحى قليوب وسنْدَيُوْن[(١)] وبلاد الغربية والبحيرة ، ولم يُعلم من أين هو . ثم وقع بالقاهرة فى أماكن منها ربع طقزدمر بدار التفاح ، فاستعدّ الناس لذلك .

وفى أخريات جمادى الآخرة هبّت ريح شديدة من بحر الإسكندرية ، فاقتلعت نخلا كثيراً ، وهدمت دوراً عديدة ؛ ثم أعقبها مطر غزير هلك به أغنام كثيرة (٢٥٢ ب) . وعظم اضطراب النيل حتى غرق فيه أحد وعشرون مركباً ، وصار يقذف المركب إلى البرّ حتى يبعده نحو عشر قصبات عن الماء وشمل ذلك جميع أراضى مصر قبليها وبحريها وأرض برقة .

وفيه نُقل الأمير عز الدين أزدمر الكاشف من كشف الوجه البحرى إلى كشف الوجه القبلى .

و[فيه] نقل علاء الدين على بن السكورانى إلى ولاية الغربية .

وفيه ركب السلطان إلى جهة بركة الحبش ، وصحبته عدة من المهندسين ؛ وأمر أن يُحفر خليج من البحر إلى حائط الرصد ، ويُحفر فى وسط الشَرْف[(٢)] المعروف (٢٥٣ ا) بالرصد[(٣)] عشرة آبار — عُمْق كل بئر نحو أربعين ذراعاً — ، يُركب عليها السواقى حتى

---

(١) فى ف "سنديوب" ، والصحيح ما بالمتن هنا . وقد ذكر مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ١٢ ، ص ٥٨ — ٥٩) بلدتين بهذا الاسم ، إحداهما بمديرية القليوبية بمركز قليوب ، وهى المقصودة هنا ، والثانية بمديرية الغربية بمركز دسوق .

(٢) فى ف "السرف" ، بغير نقط البتة ، وما هنا من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٢٥) ، حيث ورد فى وصف الموضع المعروف بالرصد (انظر الحاشية التالية) أنه كان فى الأصل يعرف باسم الجرف ، وهو فى الواقع "شرف" يطلّ من قبليه على بركة الحبش ، ويتوصل إليه من القرافة ، وكان يخيّل للناظر إليه من بعض النواحى أنه جبل . انظر أيضا ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٦٠ — ١٦١) .

(٣) ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٢٥ — ١٢٨) سبب تسمية هذا "الشرف" باسم الرصد ، فقال إن الوزير الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى كان قد جعله موضعاً لرصد الكواكب سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) ، ثم ثبت لديه عدم صلاحيته لذلك الغرض ، فنقل الرصد إلى سطح الشرف المجاور للمسجد المعروف بالفيلة ، ثم إلى المسجد الجيوشى ؛ وبقى اسم الرصد يطلق على الموضع الأول ، كما أطلق على المسجد الجيوشى أيضا . هذا وقد نُقل الرصد من المسجد الجيوشى إلى باب النصر ، زمن وزارة القائد المأمون بن البطائحى ، فلما قُتل هذا الوزير سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) أغلق الرصد وكسرت آلاته وهرب مستخدموه ، وبطل أمر الرصد مؤقتا فيما يظهر .

يجرى الماء من النيل إلى القناطر التى تحمل الماء إلى القلعة، ليكثر بها الماء. وأقام [السلطانُ] الأمير آقبغا عبد الواحد على [هذا] العمل، فشقّ الخليج من بحرى رباط الآثار[١]، ومرّوا به وسط بستان الصاحب تاج الدين بن حنا المعروف بالمعشوق، وهُدمت عدة بيوت كانت هناك؛ وجُعل عمق الخليج أربع قصبات. وجُمعت عدّة من الحجارين للعمل، فكان مهمًّا عظيما.

وفيه قدم الشيخ أحمد بن موسى الزرعى، فركب الأمراء والقضاة للسلام (٢٥٣ ب) عليه. ثم عاد [الشيخ] إلى الشام بعد أيام، ولم يجتمع بالسلطان.

وفيه تغيّر السلطان على ولده أحمد بسبب بيّنات[٢] عنده، وأخرجه منفياً [إلى صرخد[٣]]، وباع خيله. فلم يزل به الأمراء حتى أمر بردّه، فرجع من سرياقوس.

و[فيه] كتب [السلطان] بطلبِ ابنه أبى بكر من الكرك، فقدم ومعه هدية بمائة ألف درهم؛ فتوجه الأمير طيبغا المجدى إلى الكرك، وأحضر [طُلْب[٤]] أبى بكر ومماليكه وحواصل الكرك كلها.

وفيه خُلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقرّ فى نيابة الكرك؛ وتوجه إليها ومعه أحمد ابن السلطان؛ وأوصاه السلطان (٢٥٤ ا) ألا يدع لأحمد حديثاً ولا حكما بين اثنين.

[وفيه] قدم البريد بأن الغلاء شديد ببلاد المشرق، وأنه ورد من أهله عالم عظيم إلى شطّ الفرات وبلاد حلب. فكُتِب إلى نائب حلب بتمكينهم من العبور إلى حيث شاءوا من البلاد، وأوصاه السلطان بهم، فملأوا بلاد حلب وغيرها. وقدم منهم إلى

(١) فى ف "رباط الآبار"، وماهنا من المقريزى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٤٢٩)، حيث ورد أن موقع هذا الرباط على النيل خارج مصر بالقرب من بركة الحبش، بناه الصاحب تاج الدين محمد ابن فخر الدين محمد بن بهاء الدين على بن حنا وزير السلطان قلاون، وقد عرف باسم رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد قيل إنها من آثار النبى عليه الصلاة والسلام، اشتراها الصاحب تاج الدين وأودعها به.

(٢) بغير نقط فى ف، ولعل الصحيح ما أثبت بالمتن.

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 217). انظر أيضا ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ١، ص ٢٩٤ — ٢٩٦)، حيث وردت أخبار الأمير أحمد هذا بتفصيل.

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٨٩ ب) فقط.

القاهرة صحبة قاصد [نائب] [1] حلب نحو المائتى نفر ؛ فاختار السلطان منهم طائفة نحو ثمانين شخصاً ، جعل بعضهم فى الطباق ، وأسكن منهم عدّة القلعة ، وأمّر منهم جماعة ، وفرّق فى الأمراء منهم جماعة .

وفيها جدّد السلطان جامع (٢٥٤ ب) راشدة ، وقد تهدّم أكثر جدرانه .

وفيها ابتاع الأمير قوصون من الأمير مسعود بن خطير قصر الزمرّد بخط رحبة باب العيد من القاهرة ، وكان سعته نحو عشرة فدادين ؛ وشرع [قوصون] فى عمارته سبع قاعات ، لكل قاعة إصطبل .

و[فيها] قدم الخبر بخروج ابن دلغارد عن الطاعة .

وفيها استقرّ ركن الدين بيبرس السلاح دار — أحد أمراء الألوف بدمشق — فى نيابة أياس ، عوضاً عن مغلطاى الغزّى [2] بعد موته .

وفيها شنعت القالة بسوء سيرة الطائفة الأقباعية [3] بخانكاه بيبرس ، فرسم [السلطان] بنفيهم ونَفْيِ (٢٥٥ ا) شيخهم ؛ فأخرجوا منها بأجمعهم . واستقرّ فى المشيخة بها الشيخ شيرين [4] .

وفيه خرج الأمير بشتاك إلى البلاد الشامية ليتصيّد ، وقد كتب إلى النواب بملاقاته وتعبية الإقامات له .

و[فيها] توجه بكلمش الماردينى على البريد بهدية لصاحب ماردين ، فيها عشرة آلاف دينار ، وعشرة رءوس من الخيل ، ومائتا قطعة قماش ، وأربعة فهود .

وفيها قدم الخبر باختلال حال خيل البريد ، من كثرة ركوب التجار والعرب [البريد] ؛ فرُسم ألا يركب البريد إلا من يأذن له السلطان فى ركوبه ، ويكون (٢٥٥ ب) معه ورقة بتمكينه من ذلك ، وأن يُفتّش بقطيا كل من وَرَدَ ، فمن وُجد معه ورقة وكتبٌ لغير السلطان أُخذت منه وحُملت إلى السلطان .

---

(١) ما بين الحاصرتين من ب (٤٨٩ ب) .

(٢) فى ف "المغربى" . انظر ما سبق ، ص ٤٢٨ ، حاشية ٤ .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٤٩٤ . راجع أيضا (Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 252. N. 51) ، وكذلك (Dozy : Vêtements) .

(٤) بغير نقط فى ف ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٩٧) .

وفيها ركب أمير أحمد الساقى قريب السلطان البريد إلى بلاد الشرق لمهمات سلطانية : منها طلب رهائن[١] طغاى بن سونتاى[٢] والشيخ حسن [بك الكبير] ؛ و[كانا] قد سألا أن يجهّز السلطان عسكرا ليسلّماه بلاد الشرق ، فأجيبا إلى ذلك على أن يبعثا بأولادهما رهنًا على العسكر ؛ فجهّز ابن سونتاى[٣] ولده [برهشين] ، وجهّز الشيخ حسن ابن أخيه [إبراهيمَ شاه] إلى حلب .

وفيه استقرّ الأمير بهاء الدين أصلم (١٢٥٦) فى نيابة صفد ، عوضا عن آقسنقر السلّارى ؛ ونُقِل آقسنقر إلى نيابة غزة ، عوضا عن أمير مسعود بن خطير ؛ ونقِل أمير مسعود إلى دمشق ، وأنعم عليه بإقطاع بيبرس السلاح دار المستقرّ فى نيابة أياس .

[وفيه] أُنعِم على الأمير أبى بكر بن السلطان بإقطاع الأمير أصلم ؛ ورُسم للأمير بشتاك أن يتولى أمره ، فاستخدم له الوافدية من حلب وغيرهم ، حتى أكمل عدّته . وعمل [السلطانُ] الأميرَ ألطنقش مملوك الأفرم أستاداره[٤] ، وزوّجه[٥] بابنة الأمير ملكتمر الساقى التى كانت تحت أخيه آنوك ، وبَنى عليها .

[وفيه] رُسم بطلب أجناد الحلقة (٢٥٦ ب) من الأعمال ، فلما تكامل حضورهم تقدّم السلطان إلى الأمير برسبغا بعرضهم ، فكُتِبَت[٦] أوراق بعبرة كل خبز . ثم جلس السلطان بالإيوان ، وعُرِض عليه جماعة كبيرة من المشايخ ومن المحارفين[٧] ، فقطع الجميع وكتب بإقطاعاتهم مثالات للمماليك السلطانية أرباب الجوامك . وعَرَض برسبغا

---

(١) فى ف "رهاين" ، وما هنا من ب (٤٩٠ ا) . انظر أيضا (Howorth : Op. Cit. III. p. 646) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بصدد ماجرى ببلاد إيلخانات فارس حتى تلك السنة ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين من الأسماء والألقاب بهذه الفقرة كلها للتوضيح .

(٢،٣) فى ف "سوتاى" انظر ماسبق ، ص ٤٨٩ ، حاشية ٢ .

(٤،٥) الضمير عائد على الأمير أبى بكر ابن السلطان .

(٦) عبارة ب (٤٩٠ ا) فى هذا الصدد كالآتى : تقدم السلطان الى الامير برسبغا يعرضهم فكتبت اوراق نعيره كل خبر" ، وهذا مثل للدلالة على أن نسخة ب ، مع أهميتها فى تعديل نسخة ف التى اعتمدت أصلا للنشر هنا ، هى فى الواقع أقل من نسخة ب من حيث القيمة العامة .

(٧) فى ف "المحازقين" ، وما هنا من ب (٤٩٠ ا) . والمحارفون جمع محارف ، وهو بكسر الراء المحتال فى المعاملة طمعا فى الكسب غير المشروع ، وبفتح الراء الشخص المنقوص الحظ غير المرزوق ، ولعلّ المراد به هنا مشايخ الحرف . محيط المحيط .

بقية الأجناد بالقلعة ، وفتّش عن ثيابهم التى هى عليهم ؛ وقد كتبت أوراق بأرباب المرتبات الذين على مدينة بلبيس و بساتينها وحوانيتها ، وأوراق بمتحصّل المعادى[(١)] ببولاق ، وأوراق بجهات (١٢٥٧) النطرون[(٢)] ، وأوراق بأسماء الأجناد المقطعين على الحكورة[(٣)] . فرسم [السلطان] أن يوفَّر الجميع ، وأن يؤخذ من الجند المقطعة على الحكر أخبازهم ، ويُنْعَم بها على الأمير ألطنبغا الماردينى ، ليكون وقفا على جامعه خارج باب زويلة ، وعلى الأمير بشتاك ليكون وقفا على جامعه المطلّ على بركة الفيل .

فلما تمّ عرض الأجناد قطع [السلطان] منهم الزَّمْنَى والعميان والضعفاء وأرباب العاهات ، وفرّق إقطاعاتهم على المماليك السلطانية ، وأخرج بعضها للوافدية الذين يفدون من البلاد ؛ فكانت مدة العرض شهرين ، (٢٥٧ ب) أولها مستهلّ رمضان [وآخرها سلخ شوال[(٤)]] . وكُتب إلى الأعمال بحمل ما توفَّر عن الأجناد من الإقطاعات لبيت المال .

و [فيه] كُتبت أوراق بأسماء المجرّدين إلى بلاد الشرق : وهم الأمير برسبغا الحاجب ، والأمير كوكاى السلاح دار ، والأمير طوغاى الجاشنكير ، والأمير قمارى أمير شكار ؛

---

(١) المقصود بلفظ المعادى هنا المراكب التى كانت تستخدم لتعدية الناس عَبْر النيل ، وكان لها مواضع معينة لضبط رسوم التعدية ، وقد ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٤) من هذه المعادى معدية إنبابة وهى المقصودة هنا ، ومعدية المقياس ، ومعدية الجسر بالجيزة ، ومعادى جزيرة لذهب .

(٢) أورد المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٧) جهات النطرون ضمن أبواب الأموال الهلالية ، ثم ذكر (نفس المرجع والجزء ، ص ١٠٩ — ١١٠) موضع استخراج ذلك المعدن وكمية ما كان يستخرج منه سنويا ، وبيّن أنه كان إلى زمنه إقطاعا لعدّة أجناد . انظر أيضا القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٦ — ٤٥٧) ، وابن مماتى (قوانين الدواوين ، ص ٢٤) .

(٣) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤٩٠ ا) ، وربما كان المقصود "الأحكار" التى شرحها ابن مماتى (قوانين الدواوين ، ص ١٦) بالآتى "هذه الأحكار هى أجرة مقررة على ساحات داثرة ، أو كانت حين استئجارها داثرة ، وعمرت مساكن وبساتين ، وربما انقضت مدة إجارتها واقتضت الحال استصحاب الحال فيها واستمرارها بأيدى أربابها ، وأخذهم بالأجرة عنها على ما تقرّر فى الأول" . وقد ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، ١١٠) هذه الأحكار ضمن الأموال الهلالية التى تجمع للديوان السلطانى ، وزاد على شرح ابن مماتى ، بأن قال إنها أبطلت من ديوان السلطان ، "وصارت أحكار مصر والقاهرة وما بينهما أوقافا على جهات متعدّدة" ، ويظهر من المتن هنا أن ذلك بدأ فى عهد السلطان الناصر محمد .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٩٠ ا) فقط .

ومعهم جماعة كثيرة ؛ ورُسم أن يكون خروجهم إلى توريز فى نصف ذى الحجة . فاشتدّ ذلك على الناس ، وكثر الدعاء على السلطان بسبب قطع أرزاق الجند .

و[فيه] كُتب بتجهيز عساكر دمشق (٢٥٨ ا) وحلب وغيرهما للتجريدة إلى توريز، صحبة الأمير طشتمر نائب حلب ، ويكون معه عامة أمراء التركمان والعربان . فتجهّز الأمراء والأجناد بمماليك الشام ، وبرز نائب حلب بمخيّمه إلى ظاهر المدينة ، وأقام ينتظر قدوم عساكر مصر .

فأصبح السلطان فى مستهلّ ذى الحجة وبه وعك من قرف حدث عنـه إسهال لزم منه الفراش خمسة أيام ، فتصدّق بمال جزيل ، وأفرج عن المسجونين بسجن القضاة[١] والولاة بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال .

وفى يوم الأربعاء سادسه قدم [برهشين[٢]] بن طغاى بن سونتاى و[إبراهيم[٣] شاه] ابن (٢٥٨ ب) أخى الشيخ حسن [الـكبير[٤]] ، فى مائتى فارس[٥] ؛ فأنزلوا

---

(١) يتضح من هذه العبارة أن سجون القاهرة ومصر زمن سلاطين المماليك كانت تتبع سلطات متنوعة ، ويبدو أن ذلك كان منشؤه تمييز القوانين الشرعية القائمة بين الحبس — أى الترسيم — وهو تعويق الشخص ومنعه من التصرّف بنفسه ، وبين السجن وهو الاعتقال فى مكان حرج ضيق ، مضافاً إلى ما هنالك من تفاوت بين أنواع الجريمة والعقوبة ، واختصاص السلطة الواحدة بنوع معيّن من الجرائم . وقد أفرد المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٨٧ — ١٨٨) فصلاطويلا عدّد فيه تلك السجون ، وشرح تاريخ كلّ منها ، مع بيان مواضعها واختصاصاتها ، فقال إنه كان منها اثنان بمصر (الفسطاط) ، وهما حبس المعونة وقد عرف أيضاً باسم دار المعونة ، وحبس الصّيار وقد استعمله ولاة مصر لسجن الواقعين تحت عقوبتهم ، بعد تحويل حبس المعونة إلى مدرسة فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى . أما سجون القاهرة فهى : خزانة البنود ، وكانت سجناً للأمراء والوزراء والأعيان ؛ وحبس المعونة من القاهرة ، وكان سجناً لأرباب الجرائم من السرّاق وقطّاع الطريق ، وقد اشتهر بشناعته وضيقه وكراهة رائحته ؛ وخزانة شمائل ، وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظراً ، يحبس فيها من وجب عليه القتل أو القطع من السرّاق وقطّاع الطريق ومَن يريد السلطان إهلاكه من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة ، وقد هدمت سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥م) ؛ وسجن المقشرة ، وهو الذى صار سجناً لأرباب الجرائم من بعد هدم خزانة شمائل ؛ والجب بقلعة الجبل ، وكان سجناً للأمراء خاصة . وقد ذكر المقريزى (نفس المرجع والجزء ، ص ١٨٧) فوق ما تقدّم من أسماء السجون حبس الديلم وحبس الرحبة ، من غير أن يدلّ عليهما بشرح أو وصف ، كما يوجد فيما سبق هنا (ص ٤٩١ ، حاشية ٥) مكان اسمه الحجرة ، والراجح أنه كان يستخدم لاعتقال المذنبات من المغانى . انظر أيضاً المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٤٢٣ — ٤٢٥ ، ٤٦٣ ؛ ج ٢ ، ص ٢٠٥) ، وكذلك ماسبق هنا ، ص ٤٣٣ ، سطر ٧ — ٩ ؛ ص ٤٨٧ ، سطر ٥ .

(٢،٣،٤) أضيف مابين الحاصرتين مما سبق ، ص ٥١٧ .

(٦) فى ف "نفر" ، وما هنا من ب (٤٩٠ ب) .

بالميدان ، وأجريت لهم الرواتب السنية . ثم أحضروا بين يدى السلطان فى يوم الجمعة ثامنه ، وفيهم قاضى بغداد وقاضى الموصل وقاضى ديار بكر ؛ فقدّموا كتاب طغاى وكتاب الشيخ حسن [الكبير] ، ونسخة أيمانهما وأيمان عامّة أهل بلادهم من الأمراء والأجناد وأرباب المعايش بطاعة السلطان ، وأنهم مِنْ جنده ومقاتلة مَنْ عاداه ؛ وقدّموا الخطبة التى خطب بها للسلطان فى بغداد والموصل وديار بكر . فقرئ ذلك كله على السلطان ، (١٢٥٩) فعرّفهم [السلطان] أنه قد رَسم بتجهيز العسكر إليهم ، و بعد عشرة أيام يستقلّ بالسفر نحو بلادهم . ثم خلع [السلطان] على الجميع ؛ ورسم لنقيب الجيش باستعجال الأمراء والأجناد فى الحركة للسفر ، فشرعوا فى تجهيز أمرهم . وكانت الأحوال متوقفة لقلة وجود الدراهم وردّ الباعة من التجار[١] والمتعيشين الذهب لغلوّ صرفه ، فشقّ ذلك على الناس مشقة زائدة .

و [فيه] قوى الإسهال بالسلطان ، ومُنع الأمراء من الدخول إليه ، فكانوا إذا طلعوا إلى الخدمة خرج لهم السلام مع أمير جندار عن[٢] السلطان ، فانصرفوا . (٢٥٩ ب) وكثر الكلام إلى يوم الاثنين ثانى عشره ، نخفّ[٣] عن السلطان الإسهال ، فجلس للخدمة ، وطلع للأمراء ، ووجهه متغيّر .

فلما انقضت الخدمة نودى بزينة القاهرة ومصر ، وجُمعت أرباب الملاهى بالقلعة ، وجُمع الخبز الذى بالأسواق ، وعُمل ألف قميص ؛ وتصدّق [السلطان] بذلك مع جملة مال . وقام الأمراء بعمل الولائم والأفراح سروراً بعافية السلطان ، وعمل الأمير ملكتمر الحجازى نفطاً كثيراً فى سوق الخيل تحت القلعة ، والسلطان قاعد لنظره ؛ فاجتمع الناس من كل جهة لرؤيته . وقدمت عربان الشرقية بخيولها (١٢٦٠) وقبابها المحمولة على الجمال ، ولعبوا بالرماح تحت القلعة . وخرجت الركّابة[٤] والكلابزية[٥] وطائفة العتالين والحجارين إلى سوق الخيل للعب ، ثم داروا على بيوت الأمراء وأخذوا الخلع هم

(١) فى ف "التجارة" . (٢) فى ف "الى" .
(٣) فى ف "خف" .
(٤) انظر ماسبق ، ص ٤٤٠ ، حاشية ١ .
(٥) انظر ماسبق ، ص ٢٢٥ ، حاشية ١ .

والطبلـكية [١] ، فحصل لهم شىء كثير جداً ، بحيث جاء نصيب مهتار [٢] الطبلخاناه ما قيمته ثمانون ألف درهم ؛ وحصل لأرباب الملاهى ما لا ينحصر .

وفيه رُسِم بعرض الجند المجرّدين فى غدٍ ، فطلعوا إلى القلعة . و بينا هم فى انتظار العرض إذ قدم إدريس القاصد صحبة مملوك صاحب ماردين بكتابه يتضمّن أن أولاد (٢٦٠ ب) دمرداش لما بلغهم طلبُ الشيخ حسن [الـكبير] وطغاى بن سونتاى [٣] من السلطان أن يجهّز لهم عسكراً ليأخذ البلاد ، وأنهما حَلَفا له وحلّفا أهل البلاد وخطبا باسمه على منابر بغداد والموصل ، ركبوا إلى محاربتهما ؛ فطلب منهم الشيخ حسن [الـكبير] الصلح ، وحلف لهم وسار إليهم طائعاً ، فأكرموه وكتبوا لطغاى [٤] [بن سونتاى] أمانا ، واتفقوا على أن يعدّوا الفرات إلى الشام . وأشار [صاحب [٥] ماردين] ألا تخرج التجريدة إلى توريز ، فإنه ليس لسيرها فائدة . فتفرّقت الأجناد من القلعة بغير عَرْض ، و بعث السلطان من ليلته بجواب صاحب ماردين ، واقتضى رأيه أن يكشف (٢٦١ ا) عما ذكره ، فإن [برهشين [٦]] ابن طغاى [٧] اتّهمه فى ذلك .

فلما كان نصف ليلة العيد هبّت ريح عاصفة ألقت الزينة ، ثم أمطرت مطراً عظيما أتلف كثيراً من الزينة . وكانت عامةً ببلاد الشرقية والغربية والمنوفية ، ونزل بتلك الأعمال بَرَدٌ كبار قتل من الغنم والدجاج كثيراً ، وتلفت غلال كثيرة كانت بالأجران ؛ فإنه كان فى شهر بشنس .

---

(١) كذا فى ف ، وليس فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) لفظ بهذه الصيغة ، وإنما الراجح من سياق العبارة أن المقصود به "الطبالون" ، وأن الرسم الوارد هنا تركى التركيب .

(٢) تقدّم التعريف بالطبلخاناه السلطانية فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ، ١ ، ص ٤٦ ، حاشية ٢) ، وكان رئيسها الذى يتولى أمرها ، ويقف عليها عند ضربها بالقلعة وفى أسفار السلطان ، يعرف باسم أمير عَلَم . أما مهتار الطبلخاناه المذكورهنا ، فكان المتسلّم لحواصلها ، وله رجال تحت يده ، ومنهم الدبندار وهو الذى يضرب على الطبل ، والمنفّر وهو الذى ينفخ البوق ، والكوسىّ وهو الذى يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض ، وغير أولئك من الصنّاع . انظر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٣) .

(٣) فى ف "سوتاى" . انظر ما سبق ، ص ٥١٧ .

(٤) فى ف "طغيه" ، وما هنا مما سبق بهذه الصفحة وما قبلها . ويلاحظ أن هذا الرسم الوارد بالحاشية وارد أيضاً فى (Zetterstéen : Op. Cit. pp. 197, etc.) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٦) انظر ما سبق ، ص ٥١٧ .

(٧) فى ف "طغيه" انظر حاشية ٤ ، بهذه الصفحة .

وأصبح يوم الأحد يوم العيد ، وقد اجتمع الأمراء لخروج السلطان إلى صلاة العيد ، وقد قوى به الإسهال وأجمع[١] رأيه على ألا يشهد صلاة العيد ؛ فما زال به (٢٦١ ب) الأمير قوصون والأمير بشتاك حتى ركب ونزل إلى الميدان . وأمر [السلطان] قاضى القضاة عز الدين [عبد العزيز] بن جماعة أن يوجز فى خطبته ، فما هو إلا أن صلّى السلطان وجَلَسَ لسماع الخطبة تحرّك باطنه ، فقام وركب إلى القصر ، وأقام يومه .

ثم قدم[٢] البريد من حلب بصحة الخبر بصلح الشيخ حسن [الكبير] وطغاى[٣] مع أولاد دمرداش ، فانزعج السلطان لذلك انزعاجاً شديداً ، واضطرب مزاجه ؛ فحدث له إسهال دموى ، وأصبح يوم الاثنين وقد مُنع الناس من الاجتماع به . ثم أشاع[٤] الأمير قوصون والأمير بشتاك أن السلطان قد أعفَى الأجناد من التجريدة (١٢٦٢) إلى توريز ، ونودى بذلك فى يوم الخميس رابع عشره ؛ ففرح الناس فرحاً زائداً ، إلا أنه انتشر بين الناس أن السلطان انتكس ، فساءهم ذلك .

وأخذ الأمراء فى إنزال حُرَمهم وأموالهم من القلعة حيث سكنهم إلى القاهرة ، فارتجت المدينة وماجت بأهلها . واستعدّ الأمراء لا سيما قوصون و بشتاك ، فإن كلا منهم احترز من الآخر وجمع عليه أصحابه ؛ وأكثروا من شراء الأزيار والدنان وملأوها ماء ، وأخرجوا القرب والروايا والأحواض ، وحملوا إليهم البشماط والرقاق والدقيق والقمح والشعير ، خوفاً من وقوع الحرب (٢٦٢ ب) ومحاصرة القلعة . فكان يوماً مهولا ، ركب فيه الأوجاقية وهجموا الطواحين لأخذ الدقيق ، ونهبوا الحوانيت التى تحت القلعة وسوق صليبة جامع ابن طولون . فارتفع سعر الأردب القمح من خمسة عشر درهما إلى ثلاثين درهما ، وغلق التجار وأرباب المعايش حوانيتهم خوفاً من وقوع الفتنة .

هذا وقد تنكّر ما بين قوصون و بشتاك ، واختلفا حتى كادا يقتتلان . و بلغ ذلك السلطان فزاده مرضاً على مرضه ، وكثر تأوّهه وتقلّبه من جنب إلى آخر ، وتهوّس بذكر قوصون و بشتاك نهاره . ثم استدعى [السلطان] بهما ، فتنافسا بين يديه (١٢٦٣) فى

(١) فى ف "اجتمع". (٢) فى ف "فقدم".
(٣) فى ف "طغيه". انظر الصفحة السابقة ، حاشية ٤ . (٤) فى ف "فاشاع".

الـكلام ، فأغمى عليه ، وقاما من عنده على ما هما عليه .

فاجتمع فى يوم الاثنين ثامن عشره الأمير جنكلى والأمير آل ملك والجاولى والأحمدى وأكابر الأمراء للمشورة فيما يدبّرونه ، حتى اجتمعوا على أن بعث كلٌّ منهم مملوكا إلى قوصون وبشـتاك ليأخذا لهم[1] الإذن على العبور على السلطان ، فأخذا لهم الإذن . فلما أخذ[2] [الأمراء] مجالسهم قال الأمير الجاولى وآل ملك للسلطان كلاماً حاصله أن يعهد إلى أحد أولاده ، فأجاب إلى ذلك ، وطلب ولده أبا بكر ؛ وطلب قوصون و بشتاك ، وأصلح بينهما . ثم جعل [السلطان] (٢٦٣ ب) ابنه أبا بكر سلطاناً بعـده ، وأوصاه بالأمراء ، وأوصى الأمراء به ؛ وعهد إليهم ألا يخرجوا ابنه أحمد من الـكرك ، وحذّرهم من إقامته سلطاناً ؛ وجعل قوصون وبشـتاك وصيّيه ، وإليهما تدبير ابنه أبى بكر وحلفهما . ثم حلّف [السلطانُ] الأمراء والخاصكية ، وأكّد على ولده فى الوصية بالأمراء ؛ وأفرج عن الأمراء المسجونين بالشام ، وهم طيبغا حاجى وألجيبغا العادلى وصاروجا ؛ ثم قام الأمراء .

فبات [السلطان] ليلة الثلاثاء ، وأصبح وقد تخلّت [عنه] قوته ؛ وأخذ فى النزع يوم الأربعاء ، فاشتدّ عليه كرب الموت حتى مات أوّل ليلة الخميس حادى عشريه ، وله من (١٢٦٤ ا) العمر سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام . وأمه [أشلون] بنت سـكناى[3] بن قراجين بن جيغان ؛ وقدم [سكناى] هو وأخوه قرمشى بن قراجين فى سنة خمس وسبعين وستمائة ، صحبة سنجر[4] الرومى فى أيام الظاهر بيبرس ؛ فتزوج الأمير قلاون بابنة سكناى ، فى سـنة ثمانين وستمائة بعد موت أبيها ، زوّجه إيّاها عمّها قرمشى ، فولدت [الناصر محمدا] على فراش الملك المنصور قلاون فى الساعة السابعة من يوم السبت سادس عشر المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة .

وأقيم [الناصر] فى السلطنة بعد أخيه الملك الأشرف خليل سنة ثلاث وتسعين

(١) فى ف ، وكذلك ب (٤٩٢ ب) "لها" ، وهو خطأ يصححه سياق العبارة . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٦٤) .

(٢) فى ف "فلما اخذوا" ، وقد حذفت واو الجماعة وأثبت الاسم للتوضيح .

(٣) فى ف "وامه بنت سكباى بن قراجين بن حمعان" . انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٢٥ ، ٧٠٩ ، ٧٩٣) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٤) فى ف "تجار الروم" ، وما هنا من ب (٤٩٢ ا) ، وهو أدعى للتحديد .

وستمائة ، وعمره تسع سنين . (٢٦٤ ب) ثم خُلع فى سادس عشر المحرم سنة أربع وتسعين ، وجَرى له ما تقدّم ذكره إلى أن حضر من الكرك ، وأعيد إلى الملك ثانيا . فأقام [فى الملك] إلى سنة ثمان وسبعمائة ، وخَرج يريد الحج ، فتوجّه إلى الكرك غيظا من حَجْر سلّار و بيبرس عليه . فقام بيبرس فى السلطنة ، ثم اضطربت أموره ، وقَدِم الناصر من الشام إلى مصر ، فملك مرة ثالثة فى شوال سنة تسع وسبعمائة . واستبدّ [الناصر من حينئذ] بالأمر من غير معارض مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما ، كانت له فيها سير وأنباء كما تقدّم .

وكان [الناصر] أطول ملوك زمانه عمرا (١٢٦٥) وأعظمهم مهابة : فإنه أول ما بدأ به بعد قدومه من الكرك القبضُ على الأمراء البرجية وغيرهم فى يوم واحد ، وعدّتهم زيادة على ثلاثين أميرا . وأوقع[1] مهابته فى القلوب بالقتل وأخذِ الأموال ، فمنهم من قَتَله جوعا وعطشا ، ومنهم من أتلفه بالخنق ، ومنهم من غرّقه ، ومنهم من نفاه ، ومنهم من سجنه فأقام مسجونا العشرين سنة فما دونها .

وأكثر [الناصر] من جلب المماليك والجوارى ، وطلب التجار إليه وبذل[2] لهم المال ، ووصف لهم حُلَى المماليك والجوارى ، وسيّرهم إلى بلاد أزبك (٢٦٥ ب) وتوريز والروم وبغداد وغير ذلك من البلاد . فكان التاجر إذا أتاه بالجلبة من المماليك بذل له فيها أغلى القيم ، وأنعم على تلك المماليك فى يومهم بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يدهشهم . ولم تكن هذه عادة من تقدّمه من الملوك ، فإنهم كانوا إذا قُدِّم لهم المملوك عَرَفوا جنسه ، ثم أسلموه إلى الطواشى المقدّم فيضيفه إلى جنسه من المماليك ، ويرتّبه عند الفقيه فيربيه بالآداب والحشمة والحرمة ، ويمرّنه فى الرمى بالنشاب واللعب بالرمح وركوب (١٢٦٦) الخيل وأنواع الفروسية ؛ وتكون كسوته من الثياب القطن البعلبكى ، ومن [الثياب] الكتان الخام المتوسط . ثم يُدْرَج [المملوك] فى الجامكية من ثلاثة دنانير إلى خمسة إلى سبعة إلى عشرة [دنانير] ، فإذا التحق

(١) فى ف "فاوقع" .

(٢) فى ف "ابدل" .

بالرجال[١] أقيم ذلك الوقت فى وظيفة من الوظائف اللائقة به ، فيقوم بها على ما ينبغى من الأدب الذى تأدّب به[٢] فى صغره ؛ ثم يترقى [المملوك] ، فإذا وصل إلى منزلة كبيرة ورتبة عالية عَرَف مقدارها ، وما كان فيه من الشقاء وما صار إليه من النعيم[٣] . فأعرض الملك الناصر عن هذا ، وكان (٢٦٦ ب) يسفّه رأى الملوك فيه ، ويقول إذا عرض له أحد بشىء من ذلك "بقى يبلغ المملوك قصده من أستاذه أو أستاذه منه إذا فعل معه هذا ، بل إذا رأى المملوك سعادة تملأ عينه وقلبه نسِىَ بلاده ، ورغب فى أستاذه" . فأكثر التجار من جلب المماليك إليه ، فطار فى البلاد فِعْل السلطان معهم ؛ فأعطى المغلُ أولادهم و بناتهم وأقاربهم للتجار ، وباعوهم منهم رغبة فى سعادة مصر ، فبلغ ثمن المملوك على التاجر ما بين عشرين ألف درهم إلى ثلاثين ألف [درهم] إلى أربعين ألف [درهم] ؛ ففسد بذلك حال المغل فيما بينهم ، (٢٦٧ ا) وقدموا إلى مصر[٤] . فكان السلطان يدفع فى المملوك للتاجر المائة ألف درهم فما دونها ؛ واقتدى به الأمراء فى ذلك ، حتى إن بعض أمرائه كان له مملوك حَظِىّ كان له فى كل يوم ثمانون عليقة ، وكان لأمير آخر مملوك حَظِىّ له فى كل يوم أربعون عليقة . وكان فى الأمراء مَنْ يبلغ خاصّه فى كل سنة زيادة على مائتى ألف دينار ، مثل بكتمر وقوصون و بشتاك ، ومَنْ عداهم يزيد خاصّهُ على مائة ألف دينار فى السنة ، ومنهم مَنْ ينقص عن ذلك .

وشُغف [السلطان الناصر] أيضا (٢٦٧ ب) بالخيل ، فجلبت له من البلاد ، لا سيما خيول العرب آل مهنا و آل فضل ، فإنه كان يقدّمها على غيرها ؛ ولهذا كان [السلطان] يكرم العرب ويبذل لهم الرغائب فى خيولهم ، ويتغالى فى أثمانها . وكان إذا سمع العربان

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤٩٢ ب) .

(٢) فى ف "الذى كان تادب به فى صغره" ، وما هنا من ب (٤٩٢ ب) .

(٣) هنا تصوير واضح لتربية المملوك وتدرّجه فى مراقى الحياة المملوكية بمصر فى العصور الوسطى ، فيما قبل عهد السلطان الناصر ، وكذلك فى عهد هذا السلطان ، وهذا من يوم وصوله القاهرة إلى أن يصبح من موظفى الدولة .

(٤) ربما كان هذا سببا من أسباب اضمحلال دول المغول جميعا فى ذلك العصر ، إذ المعقول أن كثرة الأجلاب إلى هذا الحد قد أثر على عدد الرجال (man power) فى تلك الدول ، سيما وأن الجالب لم يكن مقتصراً على السلطان ، بل كان أمراء الدولة أيضا يقتنون أعداداً من المماليك ، ولابد أن هؤلاء كانوا من المغل أيضا ، مجاراة للسلطان كما بالمتن .

بفرس عند بَدَوى أخذوها منه بأغلى القيم ، وأخذوا من السلطان مِثْلَى ما دفعوه فيها . وكان له فى كل طائفة من طوائف العرب عينٌ يدلّه على من عنده منهم الفرس السابق أو الأصيل ، حتى يأخذها بأكثر مما فى نفس صاحبها من الثمن . فتمكّنت منه بذلك العربان ، (٢٦٨ ا) ونالوا المنزلة العلية ، وحظوا بأنواع السعادات فى أيامه . وكان يكره خيول برقة ، فلا يأخذ منها إلا مابلغ الغاية فى الجودة ، وما عدا ذلك منها إذا حُملت إليه فرّقه ، بخلاف خيول العرب[1] آل مهنا وآل فضل ، فإنه كان لا يسمح بها إلا للخاصكية .

وكانت له معرفة بالخيل وأنسابها ، وذِكر مَنْ أحضرها ومبلغ ثمنها ، بحيث يفوق فيها من عَدَاه . وكان إذا استدعى بفرس يقول لأمير آخور : "هات الفرس الفلانيـة التى أحضرها فلان واشتريناها بكذا وكذا" . ولما اشتهرت رغبته فيها (٢٦٨ ب) بين العرب جُلبت له من بلاد العراق ومن البحرين والحسا والقطيف و بلاد الحجاز ، وتقرّب بها إليه عامة طوائف العرب ، وجلبوها له . وكان إذا جاءه شىء منها عَرَضه ، ودفع فى الفرس العشرة آلاف والعشرين ألفا والثلاثين ألف درهم ، سوى الإنعام على مالـكها . وكان صاحب الفرس إذا اشتدّ عليه زاده حتى يرضيه ، فإذا أخـذ ثمن فرسه وأراد السفر إلى بلاده أنعم عليه بتفاصيل ثياب تصلح له ولعياله ، سوى السكّر ونحوه .

وطالما وَزَن كريمُ الدين الـكبير فى (٢٦٩ ا) أثمان خيول العربان التى جُلبت للسلطان دفعة واحدة مبلغ ألف ألف درهم ، ومبلغ خمسمائة ألف درهم ، ودون ذلك . وكانت خيول مهنا وأولاده فيها مابلغ الفرس منها إلى ستين ألف وسبعين ألف درهم ، وفى حجُورتهم ما بلغ ثمنها ثمـانين ألفا وتسعين ألفا ومائة ألف درهم . وبلغ ثمن بنت الـكرتا[2] [التى أحضرها[3] محمد بن عيسى أخو الأمير مهنا للسلطان ، سنة خمس عشرة وسبعمائة] ، مائة ألف درهم وضيعة بثمانين ألف درهم .

وأقطع [السلطان الناصر] عرب آل مهنا وآل فضل بسبب الخيل عدة ضياع بأراضى حماة وحلب ، سوى أثمانها . فكان أحدهم إذا أراد من السلطان شيئاً له (٢٦٩ ب) قدم

(١) فى ف "عرب" ، وما هنا من ب (٤٩٣ ا) .
(٢) فى ف "بنت الـكرذما" . انظر ما سبق ، ص ١٤٨ ، حاشية ٣ .
(٣) أضيف ماين الحاصرتين مما سبق هنا ، ص ١٤٤ ، سطر ١٧ .

عليه فى معنى أنه جاء ليدلّه على فرس عند فلان يقال لها[1] كذا ، ويعظّم أمرها عنده ؛ فيكتب [السلطان] من فوره بطلب تلك الفرس ، فيشتدّ صاحبها ويمتنع من قودها ، ثم يقترح ماشاء من الضياع ، ولا يزال حتى يبلغ غرضه ؛ وصار ذلك معروفا فيما بينهم .

وكان السلطان [الناصر] أول من اتخذ من ملوك الأتراك ديوانا للإصطبل ، عمل له ناظرا وشهودا وكتابا لضبط أسماء الخيل وشياتها[2] وأوقات ورودها وأسماء أربابها ومبلغ ثمنها ومعرفة سوّاسها ، وغير ذلك من أحوالها . وكان (١٢٧٠) لا يزال يتفقّد الخيول ، فإذا أصيب منها فرس أو كبر سنّه بعث به مع أحد الأوجاقية إلى الجشار[3] ، بعد مايحمل عليها حصانا يختاره ، ويأمر بضبط تاريخ نَزْوِه[4] ؛ فتوالدت عنده خيول كثيرة حتى أغنته عن جلب ماسواها ، ومع ذلك فإنه كان يرغب فى الفرس الذى يُجْلب إليه أكثر مما توالد عنده .

فعزّت العرب من آل مهنا وآل فضل وآل مرا فى أيامه ، وكثرت سعادتها واتسعت أحوالها بالأموال والضياع ؛ وحملتهم الدّالة حتى طلبوا من[5] [السلطان الناصر] بلاد أمراء حلب وحماة ودمشق ، (٢٧٠ ب) فأنعم بها عليهم ، وعوّض الأمراء عنها ، حتى صاروا من القوة والكثرة بحيث يخافهم من عداهم من سائر العرب . وشمل الغِنى عامّتهم ، فكانوا إذا رحلوا إلى مشاتيهم أو مصائفهم[6] تكون أموالهم من الذهب والفضة ملء رقاب الجمال ، إلى غير ذلك من الإبل والغنم والخيل التى لا تدخل تحت حصر . ولبسوا فى أيامه الحرير الأطلس المعدنى بالطرز الزركش والشاشات المرقومة بالطرز ، ولبسوا القرضيات[7] بالطرز الزركش والداير الباولى[8] (١٢٧١) والإسكندرى المطرز بالذهب .

(١) فى ف "له".

(٢) الشيات جمع شية ، وهى اللون الذى تمتاز به الفرس ، ويقال فرس حسن الأشى" أى حسن الغرة والتحجيل . (قاموس المحيط) . هذا وفى محيط المحيط أن الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس أو غيره من الأنعام ، كالسواد فى البياض ، أو البياض فى السواد ؛ وفى القرآن "لاشية فيها" ، أى ليس فيها لون يخالف سائر لونها .

(٣) الجشار مرج الخيل ، والجشر إخراج الدواب للرعى . (قاموس المحيط) .

(٤) فى ف "سروه" ، وما هنا من ب (٤٩٣ ب) .

(٥) فى ف "منه" ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح . (٦) فى ف "مصافيهم" .

(٧) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٠٢ ، حاشية ٢) .

(٨) فى ف "الناولى" ، بغير نقط البتة ، وفى ب (٤٩٣ ب) "المساولى" ، وما هنا مما سبق ، ص ٢١٠ ، حاشية ١ ، حيث لم يستطع الناشر أن يحقق هذا اللفظ أو يشرحه .

وصاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصّع ، وعمل لهنّ الشنابر [١] المشهرة بأكر الذهب ، والأساور المرصّعة بالجوهر واللؤلؤ ؛ وبعث لهن القماش السكندرى والشَّرْب [٢] والشمع ؛ وعمل لهن البراقع المزركشة والمسك وأنواع الطيب . [وذلك] بعد ما كان لبس [٣] [أمرائهم] إلى آخر الأيام المنصورية قلاون الطراطير الحمر من تحت العمائم الشامية [من] القطن ؛ وكانت خلعهم إما مسمط أو كنجى . وأول من لبس منهم طرد وحش مهنا بن عيسى (٢٧١ ب) فى أيام المنصور لاجين لمودّة بينهما ، فأنكر الأمراء ذلك ؛ فاعتذر لهم لاجين بتقدّم صحبته له وأياديه عنده ، وأنه أراد أن يكافئه على ذلك [٤] . وقدم مهنا وأخوه فى أيام تحكّم بيبْرس وسلاّر فى الدولة ، فسألا أن يُقْطَعا ضيعة من بلاد حلب ، ويَنزلا عما بأيديهما عوضاً عنها ؛ فغضب الأمير سلاّر من ذلك ، وقال : "يا عَربْ ! وصلتم إلى أن تأخذوا ضياع القلاع والأجناد وتعملوها لكم إقطاعاً ؟" ، ونهرهما ، فخرجا من عنده على حالة غير مرضية . ولما عدّى الظاهر بيبرس الفرات ، (٢٧٢ ا) وكسرَ المغل ، كان معه مهنا بن مانع بن حذيفة فى ألفين من عربه ؛ وكانوا يقفون على مخائض الفرات ، ويتقدّمون بين يدى العسكر خوفاً من غرقهم . فلما [٥] قدم السلطان [الظاهر بيبرس] إلى حلب سأل مانع أبو مهنا الأميرَ قلاون أن يكون لابنه مهنا أرض على سبيل الرزقة ، ويقوم عليها أربعة أفراس وعشرة جمال . فلما تحدّث [قلاون] فى ذلك مع السلطان [بيبرس] لم يجبه بشىء حتى حضر مانع فى الخدمة مع الأمراء ، فقال له : "ويلك يا بدوى نحس ! وصلت أن تطلب زيادة على إقطاع (٢٧٢ ب) ولدك ، وتبرطل

(١) الشنابر جمع شنبر ، وهى كلمة فارسية معربة ، ومعناها حسبما أورد (Dozy : Supp. Dict. Ar.) شريط من الحرير الأسود أو الأحمر القاتم عرضه شبران وطوله نحو سبعة أذرع ، وتلفه النساء على رءوسهن فوق العصابة ، بحيث يتدلى أحد طرفيه من مقدّم الرأس والثانى من مؤخرها . (bande de soie noire ou rouge foncе, large de deux empans et longue d'environ sept aunes, que les femmes roulent deux fois autour de la coiffure nommée عصابة l'un des deux bouts pend par devant, l'autre par derriére) .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٤١٤ ، حاشية ٢ .

(٣) فى ف "لبسهم" ، وقد عدلت إلى الصيغة المثبتة هنا للتوضيح .

(٤) تشرح هذه العبارة كثيرا من أوصاف ملابس أمراء العرب ونسائهم زمن الدولة المملوكية ، فيما قبل عصر السلطان الناصر محمد ، وفى عصر هذا السلطان أيضا .

(٥) فى ف "حتى قدم" .

السلطان على ملكه . والله ! لئن سمعت عنكم شيئاً من هذا لأخرجنكم من البلاد خروجاً نحساً "، وأكثر من هذا وشبهه ؛ فما زال به قلاون والأمراء حتى سكن غيظه . فخالف السلطان [الناصر] سيرة من تقدمه من الملوك فى أمر العرب حتى قال له صفرة[1] بن سليمان بن مهنا : "لقد أفسدت علينا نسواننا"، يريد لكثرة ما غمرهن [السلطان] بالمال . وأرسل له مُرة بن مهنا مع قاصده يقول له : "خَفِ الله فى المسلمين و بيت المال ، فإنك تفرّقه على العرب ونسائهم وصغارهم . (١٢٧٣) فكيف يحلّ لك هذا ؟ ومتى سمعتَ عن بدوية أنها تلبس غير الثوب من القطن والبرقع المصبوغ وفى يدها سوار من حديد ؟ وإن شَمّتْ طيباً فَمَن زاد بهذا لها ؟ فوالله ! لقد أفسدت حال العرب وحال نسائهم ، وأطمعتهم فى شىء لم يكونوا يطمعون فيه قبلك"، ونحو ذلك من العتب .

ومات السلطان [الناصر] وفى الجشارات[2] ثلاثة آلاف فرس ، يُعْرَض فى كل سنة نتاجها عليه فيدمغها[3] ويسلّمها للركابين[4] من العربان لرياضتها ، ثم ينعم بأكثرها على الأمراء والخاصكية ، ويفرح (٢٧٣ ب) بذلك ، ويقول : "هذه فلانة بنت فلانة أو فلان ابن فلانة ، عمرها كذا ، وشراء أمها كذا ، وشراء أبيها كذا". وكان يتقدّم إلى الأمراء أن يُضَمِّروا[5] الخيول ، ويرتّب على كل أمير من أمراء الألوف أربعة أرؤس فى كل سنة يضمّرها ، ويسيّر للأمير أيدغمش أمير آخور أن يضمّر خيلا من غير أن يُعلِم الأمراء أنها للسلطان ، بل يشيع أنها له ، ويرسلها للسباق[6] مع خيل الأمراء فى كل سنة . وكان عند الأمير قطلو بغا الفخرى حصان أدهم سَبَق خيل مصر كلها ثلاث سنين متوالية .

وكان السلطان يرسل إلى (١٢٧٤) مهنا وأولاده أن يحضروا بالخيل السُّبْق

(١) كذا فى ف . (٢) انظر ما سبق ، ص ٥٢٧ ، حاشية ٣ .

(٣) فى ف "فيدوغها"، ولعل الصحيح ما أثبت بالمتن ، ويكون المقصود أن السلطان كان يسمُ تلك الخيول بدمغة تطبع بالنار علامة له . (محيط المحيط) .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٤٤٠ ، حاشية ١ .

(٥) التضمير ترويض الخيل لتكون صالحة للسباق ، فى محيط المحيط ضمّر الخيل ربطها وأكثر ماءها وعلفها حتى تسمن ، ثم قلّل من مائها وعلفِها مدة ، وركضها بعد ذلك حتى تهزل وتخف أوزانها .

(٦) فى ف "للبستان"، وما هنا من ب (٤٩٤ ب) .

عندهم للسباق ، ثم يركب إلى ميدان القبق ظاهر القاهرة[(١)] فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر ، ويرسل الخيل وعدّتها دائما ما يَنيف على مائة وخمسين فرسا ، إلى أن بعث [مهنا مع ولديه سليمان وموسى[(٢)]] حِجرة شهباء على أنها إن سَبَقت كانت للسلطان ، وإن سُبِقت ردّت عليه ، بشرط ألا يركبها للسباق إلا بدويّها الذى قادها . فلما ركب السلطان والأمراء ، ووقفوا على العادة ومعهم أولاد مهنا بالميدان ، وأُرسلت الخيل من البركة[(٣)] كما جرت به العادة ، (٢٧٤ ب) ركب البدوى حجرة مهنا الشهباء عريا بغير سرج ، وقد لبس قميصا ولاطية[(٤)] فوق رأسه . فأقبلت الخيل تتبع بعضها بعضا ، وهى قدّام الجميع ، و بَعْدَها على قرب منها حصان لأيدغمش يعرف بهلال . فلما وقف البدوى بالشهباء بين يدى السلطان صاح بصوت ملأ الخافقين : " السعادة لك اليوم يا مهنا ! لاشقيت ! " ، وألقى نفسه إلى الأرض من شدّة التعب ؛ [ثم قدّم الحجرة للسلطان . فكان[(٥)] هذا دأب السلطان الناصر فى كلّ سنة] .

وترك [السلطان الناصر] أيضا بالإسطبلات أربعة آلاف فرس وثمانمائة فرس ، ما بين حجورة ومهارة[(٦)] وفحولة وأكاديش ؛ وترك من الهجن الأصائل والنياق خمسة آلاف ونيف ، (٢٧٥ ا) سوى أتباعها .

وكان يحبّ الصيد ، فلم يدع أرضاً تُعرف بصيد الطير إلا وأقام بها صيّادين مقيمين فى البرّية أَوان الصيد . وجلب طيور الجوارح من الصقورة والشواهين والسناقر والبزاة ، حتى كثرت السناقر فى أيامه ؛ فصار كل أمير عنده منها عشرة سناقر وأقلّ وأكثر .

---

(١) فى ف " المدينة " ، وما هنا من ب (٤٩٤ ب) .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٤٩٤ ب) فقط .

(٣) المقصود بالبركة هنا فيما يظهر البركة الناصرية التى تقدّمت الإشارة إليها هنا فى ص ٢١٦ ، حاشية ٣ . انظر أيضاً ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٦٩) ، حيث وردت هذه البركة على أنها بركة الحاج .

(٤) شرح (Dozy : Supp. Dict. Ar.) اللاطية — ويقال اللاطئة أيضاً ، وجمعها لاطيات — بأنها القلنسوة الصغيرة تلطأ بالرأس ، أى تكون لاصقة بها تماما . (un bonnet qui va juste à la tête, qui n'est pas haut) . انظر أيضاً محيط المحيط ، حيث ورد أيضاً أن " اللاطية عند الشرقيين من النصارى منديل يجعله إكليرسهم فوق القلسوة " .

(٥) أضيف مابين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٥٩) .

(٦) فى ف " مهارى " . انظر ماسبق ، ص ٢١٠ ، حاشية ٣) .

وجعل لها [١] بازدارية [٢] [وَحَوَنْدارية] [٣] ، وَأقطع عدّة منهم الإقطاعات ، وأجرى لهم الرواتب من اللحم والعليق والـكساوى وغير ذلك .

وترك بعد موته مائة وعشرين سنقراً لخاصّه ، ولم يعهـد مثل هذا الملك قبله بمصر ، بل (٢٧٥ ب) كان فى الأيام المنصورية سنقر واحد ، فإذا ركب السلطان فى الموكب كان بازداره أيضاً راكباً والسنقر على يده . ولما توجه الأمير حسام الدين طرنطاى لحصار سنقر الأشقر بصهيون سأل أن يكون هذا السنقر فى طُلْبه ، ليتجمّل به من غير أن يتصيّد به ولا يرميه على صيد .

وترك من الصقورة والشواهين ونحوها ما لا ينحصر ، وترك ثمانين جَوْقة [٤] كلاب للصيد بكلابزيتها [٥] ؛ وكان قد اتخذ لها موضعاً بالجبل .

وعُنى [السلطان الناصر] أيضاً بجمع الأغنام ، وأقام لها خَوَلَة . وكان يبعث فى كل سنة الأمير (٢٧٦ ا) آقبغا عبد الواحد فى عدّة من المماليك السلطانية ليكشف المراحات [٦] من قوص إلى الجيزة ، ويأخذَ منها ما يتخيّره من الأغنام ؛ و[كان] يجرّد أيضاً إلى عيذاب و بلاد النوبة لجلب الأغنام . وعمل [السلطان] لها حوشاً بقلعة الجبل ، وأقام لها خولة نصارى [من الأسرى [٧]] . وعُنى أيضا بالإوز ، وأقام لها عدّة من الخدّام والجوارى ، وجعل لها جايرا [٨] بحوش الغنم . فبلغت عدة الأغنام التى تركها بعد موته نحو الثلاثين ألف

(١) فى ف "له" .

(٢) تقدّم التعريف بهذا اللفظ فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٦ ، حاشية ٦) .

(٣) أضيف مابين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٧٠) . والحواندرية طائفة المكلفين بخدمة طيور الصيد من الـكراكى والبلشونات ، وحملها إلى موضع تعليم الطيور الجوارح ؛ ومفرد هذا اللفظ حوندار ، وأصله حيوان دار ، وكان لفظ "حيوان" يطلق على أنواع طيور الصيد ؛ هـذا وقد كان لفظ حوندار أيضاً يطلق على مَنْ يتعانى معامل الفروج الحيوانى . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٧٠) .

(٤) الجوقة لفظ فارسى معناه الجماعة من الناس ، وقد شرحه (Dozy Supp. Dict. Ar.) بما لا يخرج عن هذا المعنى .

(٥) انظر ماسبق هنا ، ص ٢٢٥ ، حاشية ١ .

(٦) فى ف "المراسات" ، وما هنا من ب (٤٩٥ ا) . انظر ماسبق ، ص ٤٣٥ ، حاشية ١ .

(٧) أضيف مابين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٧١) .

(٨) فى ف "حابزا" ، وما هنا من ب (٤٩٥ ا) . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٧١) ، حيث ورد هذا اللفظ برسم "جانبا" .

رأس ، سوى أتباعها . فاقتدى به الأمراء ، وصارت لهم أغنام عظيمة جداً فى عامة أرض مصر قبليها وبحريها .

وكان [السلطان الناصر] (٢٧٦ ب) كثير العناية بأرباب وظائفه وحواشيه من الأمير آخورية والأوجاقية ، وغلمان الإصطبل والبزدارية ، والفرّاشين والخولة والطباخين . فكان إذا جاء أوان تفرقة الخيول على الأمراء بعث إلى الأمير بما جرت به عادته مع أمير آخور وأوجاقى وسايس وركبدار ، وترقّب عودهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأمير عليهم ، فإن شحّ الأمير عليهم فى عطائه تنكّر له وبكّته بين الأمراء ووبّخه[1] . وقرّر أن[2] يكون أمير آخور الكبير بينهم بقسمين ، ومن عداه بقسم واحد . وكان أيضاً إذا بعث (٢٧٧ ا) إلى أحد من الأمراء طيراً مع أمير شكار أو أحد من البزدارية يحتاج [الأميرُ] أن يلبسه خلعة كاملة بحياصة ذهب وكلفتاه زركش ، فيعود بها ويقبّل الأرض بين يدى السلطان ، فيستدنيه ويفتش خلعته . وكانت عادته أن يبعث يوم النحر أغنام الضحايا إلى الأمراء مع الأبقار والنوق : فبعث مرة صحبة بعض الخولة النصارى إلى الأمير بيبغا حارس الطير ثلاثة كباش ، فأعطاه [بيبغا] عشرة دراهم فلوساً ؛ فعاد [الخولى] إلى السلطان فقال له : "وأين خلعتك ؟" ، فطرح الفلوس بين يديه وعرّفه بها ، فغضب وأمر بعض (٢٧٧ ب) الخدّام أن يسير بالخولى إلى بيبغا ، ويقول له : "قال لك السلطان لا فتح الله عليك برزق . ويلك ! أما كان عندك قباء ترميه على غلامى ؟ . وخَلِّه يلبسه طرد وحش" . فلما بلّغه الخادم ذلك ندم وأخذ يعتذر ، وألبس الخولى قباء طرد وحش .

وكانت حرمته ومهابته قد تجاوزت الحدّ ، حتى إن الأمراء إذا وقفوا بالخدمة لا يجسر أحدٌ منهم أن يتحدّث مع رفيقه بكلمة واحدة ، ولا يلتفت نحوه ، خوفا من مراقبة السلطان لهم . وكان لا يجسر أحد أن يجتمع مع خشداشه فى نزهة ولا غيرها ، (٢٧٨ ا) مِن رَمْىِ النشاب ونحوه ، فإذا بلغه اجتماع أحد مع آخر أسرّ ذلك فى نفسه ، وأمسكه أو نفاه .

(١) فى ف "ووبخ به" .

(٢) هذه العبارة واردة هكذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤٩٥ ب) ، وهى فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٧١) كالآتى : "وكان قرّر أن يكون الأمير آخور بينهم بقسمين ، ومن عداه بقسم واحد" .

وخرّب [السلطان الناصر] عدّة مرار مرامى النشاب ، ومنع المماليك من الرمى ، وأغلق حوانيت البندقانيين وصنّاع قسىّ النشاب وقسىّ البندق ، ونادى من عمل قوس بندق شُنق . وخرّب مرّة دكاكينهم ، من أجل أن مملوكا رمى بالبندق فوقعت فى عين امرأة قلعتها .

ولقى غازان على فرسخ من حمص ؛ ثم كانت له وقعة شقحب المشهورة . ودخلت عساكره بلاد سيس ، وقرّر على أهلها الخراج أربعمائة ألف درهم فى السنة كما كان ، (٢٧٨ ب) بعد امتناعهم من حمله . وغزا ملطية وأَخَذَها ؛ وغزا بلاد سيس بعسكر مصر ثلاث مرات — بعد ما أمر التركمان بالغارة عليها — ، وخرّب بلادها حتى قرّر عليهم الخراج ستمائة ألف درهم فى كل سنة ؛ ومنعوه الخراج مرة ، فبعث العسكر وأخذ مدينة أياس ، وخرّب البرج الأطلس وسبعة حصون ، وأقطع أراضيها للأمراء والأجناد . وأخذ جزيرة أرْوَاد[1] من الفرنج ؛ وغزا بلاد اليمن وبلاد عانة والحديثة فى طلب مهنا . وبعث العساكر فى طلب الشريف حميضة نحو الحسا والقطيف ، وجرّد الى مكة والمدينة (١٢٧٩) العساكر لتمهيدها ، ومنع أهلها من حمل السلاح بها . وعَمَّر قلعة جعبر بعد خرابها ؛ وأجرى نهر حلب إلى المدينة ؛ وعَمَّر دمشق . وولّى بلاد الروم نيابةً لأرتنا ؛ وخُطب له بها وبماردين وبجبال الأكراد وحصن كيفا وبغداد وغيرها من بلاد الشرق ، وهو بكرسى مُلك مصر . وأتته هدية ملوك المغرب والهند والصين والحبشة والتكرور والنوبة والترك والروم والفرنج .

وكان [السلطان الناصر] على غاية من الحشمة ورياسة النفس وسياسة الأمور ، (٢٧٩ ب) فلم يَضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش فى شدّة غضبه ولا فى انبساطه . وكان يدعو الأمراء وأرباب الولايات وأصحاب الأشغال بأحسن أسمائهم وأجلّ ألقابهم ،

(١) يريد الناشر أن يصحح هنا خطأ وقع فيه أكثر من مرة أثناء العمل بالجزء الأول من هذا الكتاب (ص ٣٠٦، ٩٢٣، ٩٢٨، ٩٥٠) عند التعريف بهذه الجزيرة ، فإنها تقع على مقربة من ساحل الشام قبالة طرابلس ، واسمها فى المراجع الأوربية (Arad) و (Aradus) ، وذلك حسبما ذكر أحمد زكى باشا (قاموس الجغرافية القديمة ، ص ١٠) ؛ وهى غير جزيرة رودس (Rhodes) المعروفة فى المراجع العربية باسم جزيرة أريدس . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة — popper — ، ج ٧ ، ص ١٣٢) .

وإذا غضب على أحد لا يذكر[1] له ذلك . وكان يقتصد فى لباسه ، فيلبس كثيرا البعلبكى والنصافى المتوسط ، ويعمل حياصته فضة نحو مائة درهم بغير ذهب ولا جوهر ، ويركب بالسرج المسقط بالفضة التى زنتها دون المائة درهم ، وعباءة فرسه إما تدمرى أوشامى ليس فيها حرير .

وكان مفرط الذكاء ، يعرف جميع (٢٨٠ ا) مماليك أبيه وأولادهم بأسمائهم ، ويُعَرِّف بهم الأمراء ، وكذلك مماليكه لا يغيب عنه اسم أحد منهم ولا شغله عنده ولا مبلغ جامكيته . [وكان] يعرف أيضا غلمانه وحاشيته على كثرة عددهم ، ولا يفوته معرفة أحد من الكتّاب ، فإذا أراد أن يولّى أحدا مكانا أو يرتّبه فى وظيفة استدعى جميع الكتاب إلى بين يديه ، واختار منهم واحدا أو أكثر من غير أن يرجع فيهم إلى أحد ، ثم يقيمه فيما يريد من الوظائف .

وكان فيه تؤدة ، فإذا غضب على أحد من أمرائه أو كتّابه أسرّ ذلك فى (٢٨٠ ب) نفسه ، وتروّى فيه مدة طويلة ، وهو ينتظر له ذنبا يأخذه به[2] ، كما وقع له فى أمر كريم الدين الكبير والأمير أرغون النائب والأمير طغيه وغيرهم ؛ فإنه أقام عدّة سنين يريد القبض عليهم وهو يتأنّى ولا يَعْجَل ، إلى أن عثر لهم على ذنوب توجب له أخذهم بها ، حتى لا ينسب إلى ظلم ولا حيف ؛ فإنه كان يعظم عليه أن يُذكر عنه أنه ظالم أو جائر أو فيه حيف أو وقع فى أيامه خراب أو خلل ، ويحرص على حسن القالة فيه وذكره بالجميل .

وكان يستبدّ بأمور مملكته ، ويتفرّد بالأحكام ، حتى إنه (١٢٨١) أبطل نيابة السلطنة ليشتغل بأعباء الدولة وحده . وكان يكره أن يَقتدى بمن تقدّمه من الملوك ، ولا يحتمل أن يُذكر عنده ملك . وكان يكره شرب الخمر ويعاقب عليه ؛ ويبعد من يشرب به من الأمراء عنه .

(١) كذا فى ف ، وهو فى ب (٤٩٦ ا) "لا يظهر".

(٢) ذكر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ١٤٨) فى صدد أخلاق السلطان الناصر ، أنه كان "ذا دهاء وحزم ومكر ، طويل الصبر على ما يكره ، إذا حاول أمراً لا يسرع فيه ، بل يحتاط غاية الاحتياط ... ...".

وبلغ [السلطان الناصر] من الكرم والجود والإفضال وسعة العطاء غاية تخرج عن الحدّ ، فوهب فى يوم واحد ما يزيد على مائة ألف دينار ذهباً ؛ ولم يزل مستمرّ العطاء لخاصكيته ما بين عشرة آلاف دينار ونحوها . وسئل النشو : "هل أطلق السلطان يوماً ألف ألف درهم ؟" ، (٢٨١ ب) قال : "نعم ! كثيراً !" . وأنعم فى يوم على بشتاك بألف ألف درهم فى ثمن قرية ، وأنعم على موسى بن مهنا بألف ألف درهم فى ثمن القريتين . واشترى [من] الرقيق — فى مدة أولها شعبان سنة اثنين وثلاثين إلى سنة سبع وثلاثين — بأر بعمائة ألف دينار وسبعين ألف دينار . وكان يُنعم على تنكز فى كل سنة يتوجه إليه بما يزيد على ألف ألف درهم ؛ وأنعم يوماً على قوصون بزردخاناه بكتمر الساقى ، وقيمة ما فيها ستمائة ألف دينار ، أخذ السلطان من الجميع سرجاً واحداً وسيفاً (٢٨٢ ا) واحداً . ولما تزوّج قوصون بابنته حمل إليه الأمراء شيئاً كثيراً ؛ ثم بعد ذلك زوّج ابنته الأخرى بطغاى تمر[١] وقال : "ما نعمل له عرساً ، لأن الأمراء يقولون هذه مصادرة بحسن عبارة" ، ونظر إلى طغاى تمر فرآه وقد تغيّر . فقال للقاضى تاج الدين إسحاق ناظر الخاص : "يا قاضى ! اعمل لى ورقة بمكارمة الأمراء فى عرس قوصون" ، فعمل ورقة وأحضرها ، فقال : "كم الجملة ؟" ، فقال : "خمسون ألف دينار" ، فقال : "أعط نظيرها من الخزانة لطغاى تمر" ؛ وهذا سوى ما دخل مع الزوجة من الجهاز . وجرى (٢٨٢ ب) يوماً عند السلطان ذكر عشرين ألف دينار ، فقال يلبغا اليحياوى : "يا خوند ؟ أنا والله عمرى ما رأيت عشرين ألف دينار" ؛ فلما راح من عنده طلب النشو وقال له : "احمل الساعة إلى يلبغا عشرين ألف دينار ، وجهّزها مع الخزندارية ، وجهّز خمسة تشاريف أحمر أطلس بكلفتات زركش وطرز زركش وحوائص ذهب ليخلع ذلك عليهم" .

وكان راتب مطبخه ، ورواتب الأمراء والكتاب الذين هم على مطبخه ، فى كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل لحم . وكانت نفقات العمائر الراتب لها فى كل يوم ألفا[٢] (٢٨٣ ا) درهم ، سوى ما يطرأ .

(١) فى ف "بطلماى تمر" . انظر ما يلى بهذه الصفحة ، وكذلك ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٧٦) .
(٢) فى ف "الفى" .

وبالغ [السلطان الناصر] أخيراً فى مشترى المماليك : فاشترى صرغتمش بخمسة وثمانين ألف درهم ، سوى تشريف أستاذه ، وغير ما كتب له من المسامحة(١) ؛ وأما(٢) العشرة والعشرين والثلاثين فكثير(٣) .

وغلا الجوهر واللؤلؤ فى أيامه . و بَذَل فى أثمان الخيل ما لم يُسمع بمثله . وجمع من المال والجواهر واللؤلؤ ما لم يجمعه ملك من ملوك الترك قبله . وعُرفت رغبته فى الجواهر ، فجلبها إليه التجار من الأقطار . وشُغف بالسرارى ، فحاز منهن كلّ بديعة الجمال .

وجهّز(٤) (٢٨٣ ب) إحدى عشرة ابنة له بالجهاز العظيم ، فكان أقلهن جهازا بثمانمائة ألف دينار : منها قيمة بشخاناه وداير بيت وما يتعلّق به بمائة ألف دينار ، و بقية ذلك ما بين جواهر ولآلئ وأوانى ونحو ذلك . ثم [إنه] زوجهنّ من مماليكه : مثل الأمير قوصون ، والأمير بشتاك ، والأمير ألطنبغا الماردينى ، والأمير طغاى تمر ، والأمير عمر بن النائب وغيرهم . وجهّز سراريه وجواريه ومن يحسن بخاطره من النساء كل واحدة بنحو ذلك ، وبأ كثر منه .

واستجدّ النساء فى أيامه المقنعة(٥) والطرحة بنحو عشرة آلاف دينار ، و بما دون ذلك (٢٨٤ ا) إلى خمسة آلاف درهم ، والفرّجيات بمثل ذلك . واستُجدّ أيضا فى أيامه للنساء الخلاخيل الذهب ، والأطواق المرصّعة بالجواهر الثمينة ، والقباقيب الذهب المرصّعة بالجوهر ، والأوطية(٦) المرصّعة ، والأزر الحرير ؛ فكانت قيمة إزار المرأة من آحاد النساء ألف درهم ، عنها نحو الخمسين دينارا مصرية .

وكان [السلطان الناصر] يحمل إلى ملوك الشرق من المال ما لا ينحصر ، وبذلك كان ينال مقاصده منهم و يبلغ أغراضه فيهم ، فإنه كان يعمّ نواب الملوك والخواتين بما يبهرهم

---

(١) كذا فى ف ، ولعل المقصود لفظ المسموح ، وقد تقدّم التعريف به فيما سبق هنا ، ص ١٩ ، حاشية ٥ .

(٢،٣) ما بين الرقين وارد هكذا فى ف ، وكذلك فى ب (٤٩٦ ب) ، ولم يستطع الناشر أن يجد له معنى مفهوما .

(٤) فى ف " وجهز له احدى عسره ابنه بالجهاز العظيم " .

(٥) انظر ما سبق ، ص ٤٣٣ ، حاشية ١ .

(٦) الأوطئة جمع وطاء ، وهو الحذاء (soulier) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

به من المصاغ والجواهر والقماش (٢٨٤ ب) الإسكندرى المناسب لهم . واتفق أنه جهّز مرة لأبى سعيد بن خر بندا صحبة الأمير أيتمش المحمدى هدية عظيمة جدًّا ، فقال له الفخر ناظر الجيش : " قد أغنى الله السلطان عن هؤلاء - فإنهم فى طاعته - عن أن يبعث لهم بهذا المال " . فقال له : " اسكت يا قاضى فخر الدين ! والله ! لو علمتَ الذى أعلمه ما قلتَ هذا . اعلم يا قاضى أن المال الذى أسيّره إليه ما يجىء قدر ثمن الروايا وكلف السقايين الذين [يذهبون] معى فى البيكار ، وأكون قد وفّرت نفسى وعسكرى " . ولم يُعهد فى أيام ملك قبله ما عُهد فى (١٢٨٥) أيامه من مسالمة الأيام له ، وعدم حركة الأعداء برًّا وبحراً ، وخضوع جميع الملوك له ومهاداتهم إياه[1] . وكان يصل إلى قتل من يريد [قتله] بالفداوية[2] ، لكثرة بذله لهم الأموال .

وكان يحب العمارة ، فلم يزل من حين قدم من الكرك إلى أن مات مستمرّ العمارة ؛ فجاء تقدير مصروفه كل يوم مدة هذه السنين ثمانية آلاف درهم . وكان ينفق على العمارة المائة ألف درهم ، فإذا رأى فيها ما لا يعجبه هدمها كلّها وجدّدها على ما يختار . ولم يكن مَنْ قبله من الملوك فى الإنفاق على (٢٨٥ ب) العمارة كذلك ، بل أراد المنصور قلاون مرّة أن يبنى مصطبة عليها رفرف يقيه حرّ الشمس ليجلس عليها ، فكتب له الشجاعى تقدير مصروفها أربعة آلاف درهم ، فتناول الورقة من يد الشجاعى ومزّقها وقال : " أقعدُ فى مقعد بأربعة آلاف ! انصبوا لى صيواناً إذا نزلت ، ولا أُخرج من بيت المال لمثل هذا شيئاً " . وكذلك كان الظاهر بيبرس ومَنْ قبله لا يسمحون بالمال ، وإنما يدّخرونه صيانة وخوفا ، ولم يعرف لأحد منهم أنه أنعم بألف دينار جملة واحدة .

(١٢٨٦) وراك [السلطان الناصر] أرض مصر والشام[3] ، وأبطل عدّة مظالم من

---

(١) فى ف "له" ، وما هنا من ب (٤٩٧ ب) .

(٢) الفداوية جمع فداوى ، وقد تقدّم التعريف بهذه الطائفة فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٢٧٧ ، حاشية ١ ، ٣) . انظر أيضاً القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١١٩ — ١٢٢) ، حيث يوجد شرح لعلاقة سلاطين مصر بتلك الطائفة .

(٣) تقدّمت أخبار الروك الناصرى بمصر والشام فيما سبق هنا (ص ١٤٦ — ١٤٧ ، ١٤٩ — ١٥٧ ، ١٧٦ ، ٢٦٤) ، ويضاف إليه ما أورده ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ١٧١) بصدد روك دمشق فى ذلك العهد ، سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) .

المكوس والضمانات : مثل ساحل الغلة ، وكان عليه ستمائة جندى ، ما منهم إلا من له فى كل سنة ما بين ثمانية آلاف درهم إلى ستة آلاف درهم ، سوى ما عليه للأمراء ؛ ومثل الحقوق التى كانت على الأسربة إذا كُسحت ، وعليها أيضاً عدة أجناد مرتّب لهم فى كلّ سنة جملة لكلّ منهم ؛ ومثل جهات الملح ؛ وجهات ابن البطونى ، وكان [هذا الرجل] يأخذ على ردّ العبيد والجوارى الآبقين[١] ضريبة ، ويقيم من تحت يده رجالا (٢٨٦ ب) على الطرقات لردّ الهاربين ، ويقوم للديوان فى كل سنة بمال . وأبطل [السلطان] غير ذلك [من المكوس] ، كما تقدّم عند عمل الروك .

وكان [السلطان الناصر] متّسع الحال[٢] : بلغ راتبه من اللحم فى كل يوم لمطبخه ومرتّب مماليكه ستة وثلاثين ألف رطل لحم .

واستجدّ فى أيامه عمائر كثيرة : منها حَفْر خليج الإسكندرية من بحر فوة فى مدة أربعين يوماً ، عمل فيه فوق المائة ألف رجل من أهل النواحى ؛ فاستجدّ عليه عدة سواقى وبساتين فى أراضى كانت سباخا ، فصارت مزارع قصب السكر والسمسم ؛ (١٢٨٧) وعُمّرت هناك الناصرية[٣] ، ونقل إليها مقداد بن شماس بأولاده وعدّتهم مائة ولد ذكر ؛ واستمرّ الماء طول السنة بخليج الإسكندرية . وأنشأ الميدان تحت القلعة ، وأجرى له المياه ، وغرس فيه النخل والأشجار ، ولعب فيه بالكرة فى كل يوم ثلاثاء مع الأمراء والخاصكية ؛ وعمّر فوقه القصر الأبلق . وأخرب البرج الذى عمّره أخوه الأشرف خليل على الإصطبل ، وجعل فوقه رفرفا ؛ وترك أصله من أسفله ، وعمّر بجانبه برجا نقل إليه المماليك . وغيّر باب النحاس بالقلعة ، ووسّع دهليزه . وعمّر فى (٢٨٧ ب) الساحة قُدّام الإيوان طباقا للأمراء والخاصكية ؛ وغيّر الإيوان مرّتين ، وفى [المرة] الثالثة أقرّه على ما هو عليه الآن ؛ وحمل إليه العمد الكبار من [بلاد] الصعيد ، فجاء من أعظم المبانى الملوكية . وعمّر بالقلعة دوراً للأمراء الذين زوّجهم ببناته ، وأجرى إليها

---

(١) فى ف " اللابقين " ، وما هنا من ب (٤٩٧ ب) .

(٢) فى ف " الحيال " ، وما هنا من ب (٤٩٧ ب) .

(٣) ذكر محمد رمزى بك فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ، س ١٨٧ ، حاشية ١) أن بلدة الناصرية التى أنشئت تخليدا لذكرى السلطان الناصر وحفر خليج الإسكندرية فى عهده ، هى القرية المعروفة فى العصر الحاضر باسم كفر نكلا العنب ، التابعة لمركز المحمودية بمديرية البحيرة .

المياه ، وعمل بها الحمامات ؛ وزاد فى باب القلّة [من[1] القلعة] باباً ثانياً . وعمّر حارة مختص ، وعمّر الجامع بالقلعة والقاعات السبع التى تشرف على الميدان و باب القرافة لأجل سكنى سراريه . وعمّر المطبخ ، وجعل عمائره كلها بالحجارة خوفا من (١٢٨٨) الحريق . وعزم أن يغيّر باب القلعة المعروف بالمدرّج ، ويعمل له دركاه ، فمات قبل ذلك . وعمل فى القلعة حوش الغنم وحوش البقر وحوش المعزى وجاير[2] الأوز ، وغير ذلك ؛ فأوسع فيها نحو خمسين فداناً . وعمّر الخانكاه بناحية سرياقوس ، ورتّب بها مائة صوفى ، لكلٍّ منهم الخبز[3] واللحم والطعام والحلوى وسائر ما يحتاج إليه . وعمّر القصور بالقرب منها ، وعمل لها بستانا حمل إليه الأشجار من دمشق وغيرها ، فصار به عامة فواكه الشام . وحفر الخليج الناصرى خارج (٢٨٨ب) القاهرة حتى أوصله إلى سرياقوس ، فعُمِّرَ على هذا الخليج عدة قناطر : منها قنطرة بِفَمِه[4] عند الميدان أنشأها الفخر ناظر الجيش ، وقنطرة قدادار والى القاهرة ، وغير ذلك ؛ فصار بجانبى الخليج عدة بساتين ، وعَمِرت به أرض الطبالة بعد خرابها من أيام العادل كتبغا .

وعمرت فى أيام[5] [السلطان الناصر] جزيرة الفيل وناحية بولاق بعد ما كانت رمالا ترمى بها المماليك النشاب ، وتلعب الأمراء فيها بالكرة ؛ فصارت كلها دوراً وقصوراً وجوامع وأسواقا و بساتين (١٢٨٩) . و بلغت البساتين بجزيرة الفيل زيادة على مائة وخمسين بستاناً ، بعد ما كانت نحو العشرين [بستاناً] . واتصلت العمارة على ساحل النيل من منية الشيرج إلى جامع الخطيرى ، إلى حكر بن الأثير وزريبة قوصون ، إلى منشأة الكتبة ومنشأة المهرانى ، إلى بركة الحبش ؛ حتى كان الإنسان يتعجب لذلك ، فإنه كان يعهد هذا كله تلال رمل وحلفاء ، فصار لا يرى فيه قدر ذراع إلا وفيه بناء .

(١) أضيف مابين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٨٠) .

(٢) فى ف "حابر" انظر ماسبق ، ص ٥٣١ ، حاشية ٨ .

(٣) فى ف "الحب" ، وما هنا من ب (١٤٩٨) . انظر أيضاً ما سبق هنا ، ص ٢٦٢ ، حاشية ٥ .

(٤) فى ف "نقمه" ، وما هنا من ب (١٤٩٨) . انظر أيضا المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ١٤٨) ، حيث ورد أن أول قنطرة بنيت على الخليج الناصرى كانت "عند فم" هذا الخليج ، وأنها عرفت باسم قنطرة الفخر ، نسبة إلى القاضى فخر الدين محمد بن فضل بن خروف القبطى .

(٥) فى ف "ايامه" .

وعُمِّرت فى أيامه أيضاً القطعة التى فيما بين قبة الإمام الشافعى إلى باب القرافة ، بعد ما كانت فضاء (٢٨٩ب) لسباق خيل الأمراء والأجناد والخدّام ، فتحصل[١] به اجتماعات جليلة للتفرّج عليهم ، إلى أن أنشأ السلطان تربة الأمير بيبغا التركمانى . فعُمِّر ذلك كله تُرَبًا وخوانك ، حتى صارت العمائر متصلة من باب القرافة إلى بركة الحبش ، لايوجد بها قدر ذراع بغير عمارة ؛ وتنافس[٢] [الأمراء] فى ذلك حتى بلغوا فى عمارته مبلغاً عظيما إلى الغاية .

وعُمِّر فى أيامه أيضاً الصحراء التى فيما بين القلعة وخارج باب المحروق إلى قبة النصر ؛ وكان هناك ميدان القبق من عهد الظاهر بيبرس ، برسم ركوب السلطان (٢٩٠ أ) وعملِ الموكب به ، وبرسم سباق الخيل . وأول من عَمَّر فيه الأمير قراسنقر تُربة ، وعمل لها حوض ماء للسبيل [يعلوه[٣] مسجد] ، ثم اقتدى به الأمراء والأجناد وغيرهم حتى امتلأ الميدان من كثرة العمائر .

وعَمَّر السلطان لمماليكه عدة قصور : منها قصر الأمير طقتمر الدمشقى بحدرة البقر ، وبلغ مصروفه ثمانمائة ألف درهم ؛ فلما مات طقتمر أنعم به السلطان على الأمير طشتمر حمص أخضر ، فزاد فيه . ومنها قصر الأمير بكتمر الساقى على بركة الفيل ، فعمل أساسه أربعين (٢٩٠ ب) ذراعا ، وارتفاعه عن الأساس مثلها ، فزاد مصروفه على ألف ألف درهم . ومنها الكبش حيث كانت عمارة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فعمله السلطان سبع قاعات برسم نزول بناته وسراريه فيها للتفرّج على ركوب السلطان إلى الميدان[٤] الكبير ؛ [و] لم ينحصر ما أنفق فيها لكثرته . ومنها إصطبل الأمير قوصون بسوق الخيل تحت القلعة ، حيث كان إصطبل الأمير سنجر البشمقدار ، وإصطبل سنقر الطويل . ومنها قصر بهادر الجوبانى ، بجوار زاوية البرهان الصائغ[٥] (٢٩١ أ) بالجسر الأعظم [تجاه الكبش] . و[ومنها] قصر قطلوبغا الفخرى ، وقصر ألطنبغا الماردينى ، وقصر يلبغا اليحياوى — وهو

---

(١) فى ف "فحصل" ، وما هنا من ب (٤٩٨ ب) . (٢) فى ف "تنافسوا" .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، س ١٨٧) .

(٤) المقصود بهذه التسمية هو الميدان الناصرى نفسه . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٩٧ ، حاشية ٢) .

(٥) فى ف "الصانع" ، وكذلك فى ب (٤٩٨ ب) ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٨٩) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

أجلّ ما عمّره من القصور ، انصرف على أساسه خاصة عن ثمن جير وحجر وأجرة مائة وثلاثين ألف درهم ؛ وعُمِل نزوله فى الأرض ثلاثين ذراعا ؛ واحتيج فيه إلى زنة عشرة آلاف درهم لازورد لدهان سقوفه ، ثمنها مائة ألف درهم .

وعمّر الأمراء فى أيام السلطان الناصر[1] عدة دور : منها دار الأمير أيدغمش أمير آخور ، ودار آقبغا ، ودار طقزدمر ، ودار بشتاك على النيل — وهى تشتمل (٢٩١ ب) على رَبع كبير فوق زربية بجوار جامع طيبرس — ، وقصر بشتاك بالقاهرة ؛ وقد ذَكَرْتُ هـذه القصور والدور فى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط [والأمصار] ذكراً مستوعباً لأخبارها .

وكانت للسلطان عناية كبيرة ببلاد الجيزة ، وعَمِل على كل بلد [بها] جسراً أو قنطرة . وكانت أكثر بلادها تَشْرَق لعلوها ، فعمل جسر أم دينار فى ارتفاع اثنتى عشرة قصبة ، أقام العمل فيه مدة شهرين ، فحبس الماء حتى رويت تلك الأراضى كلها ، وعمّ النفع بها . وقوى بسبب هذا الجسر الماء حتى حفر بحراً يتصل بالجيزة[2] ، وخرج فى أراضيها (١٢٩٢) عدّة مواضع زُرعت بعد ما كانت شاسعة ، أخذ منها قوصون و بشتاك وغيرهما عدة أراضى عمّروها ووقفوها ؛ واستجدّ [السلطان] على بقيتها ثلاثمائة جندى .

واستجدّت فى أيامه عدة أراضى بنواحى الشرقية وفوة وشباس ، أُقطعت لعدة أجناد . وعَمِل أيضاً جسر شيبين ، فزاد بسببه خراج الشرقية . وعمل جسراً خارج القاهرة حتى ردّ النيل على مُنْيَة[3] الشّيرج وغيرها ؛ وعمرت بسببه بساتين جزيرة الفيل ، وكثر عددها .

وأحكم [السلطان] عامة أرض مصر قبليها وبحريها بالتراع[4] والجسور ، حتى أتقن أمرها ؛ وكان يركب إليها برسم الصيد (٢٩٢ ب) فى كل قليل ، ويتفقد أحوالها ، وينظر فى جسورها وتراعها وقناطرها بنفسه ، بحيث أنه لم يدع فى أيامه موضعاً منها حتى عمل فيه ما يحتاج إليه .

---

(١) فى ف "وعمر فى ايامه الامرا عدة دور" .

(٢) فى ف "بالبحيرة" ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٩٠) .

(٣) فى ف "منية السيرج" ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٨٣ ، حاشية ١) ، حيث قرّر محمد رمزى بك أن هذه القرية هى الآن تابعة لقسم شبرا بمدينة القاهرة .

(٤) كذا فى ف ، أكثر من مرة ، وهو جمع صحيح للفظ ترعة .

وكان له سَعْدٌ فى جميع أعماله ، [فكان يقترح المنافع [1] مِنْ قِبَله ، بعد أن كان يُزَهِّده فيما يَأْمُرُ به حُذَّاق المهندسين ، ويقول بعضهم : " يا خَوَنْد ! الذين جاءوا من قبلنا لو عَلِموا أن هذا يَصِحّ فعلوه " ، فلا يَلتفت إلى قولهم ، ويَفْعَل ما بدا له من مصالح البلاد] ، فتأتيه أغراضه على ما يحبّ ويختار ؛ [فزاد فى أيّامه خراج [2] مصر زيادةً هائلةً فى سائر الأقاليم . وكان إذا سَمِع بشراقى بلد أو قرية من القُرَى أَهَمَّه ذلك ، وسأل المُقْطَعَ بها عن أحوال القرية المذكورة غيرَ مرّة ، بل كلّما وقع بصرُه عليه ؛ ولا يزال يفحص عن ذلك حتّى يَتَوصَّل إلى ريِّها بكل ما تصِل قدرتُه إليه . كلُّ ذلك وصاحبها لا يسأله فى شىء من أمرها ، فيكلِّمه بعضُ الأمراء فى ذلك فيقول : " هذه قَرْيتى ، وأنا الملزوم بها والمسئول عنها " ؛ فكان هذا دأْبَه . وكان يَفْرَح إذا سأله بعضُ الأجناد فى عمل مصلحة بلده بسبب عَمَل جسر أو تقاوِى أو غير ذلك ، ويَنْبُلُ ذلك الرجلُ فى عينه ، ويفعَل له ما طَلبه من غير توقف ولا مَلَل فى إخراج المال ؛ فإن كلَّمه أحد فى ذلك فيقول : " فلِمَ نجمع المال فى بيت مال المسلمين إلاّ لهذا المعنى وغيره ؟ " ؛ فهذه كانت عوائده . وكذلك فعَل بالبلاد الشاميّة ، حتى إنّ مدينة غَزَّة هو الذى مصَّرَها وجعلها على هذه الهيئة ، وكانت قبلُ كآحاد قُرَى البلاد الشاميّة ؛ وجعل لها نائباً ، وسُمِّىَ بمَلِك الأمراء ، ولم تكن قبل ذلك إلاّ ضَيْعة من ضِياع الرملة ؛ ومثلها فكثير من قُرَى الشام وحلَب والساحل يطول الشرح فى ذكر ذلك] .

وأنشأ [السلطان الناصر] الميدان الكبير على النيل ، وخرّب ميدَان اللوق الذى أنشأه الظاهر بيبرس ، وعمله بستانا حُملت إليه الأشجار من دمشق وغيرها ، فكانت فواكهه تحمل إلى الشراب خاناه السلطانية . ثم أنعم به على الأمير قوصون ، فبنى تجاهه على الزريبة المعروفة بزريبة قوصون ، ووقفهما .

(١ ، ٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٩٢ — ١٩٣) . ويلاحظ القارىء أن هاتين الإضافتين الطويلتين دخيلتان على المتن حسبما ورد فى نسخة ف ونسخة ب ، اللتين اعتمد عليهما الناشر فى عمله هنا ، غير أن ذلك لا يقطع بعدم ورودهما فى غيرهما من النسخ المخطوطة من كتاب السلوك ، بل إن ورودهما فى ابن تغرى بردى يكاد يقطع بوجودهما على الأقل فى نسخة السلوك التى استعملها هذا المؤلف فى تأليف كتابه النجوم الزاهرة ، إذ المعروف أن ابن تغرى بردى قد نقل الصفحة تلو الصفحة من كتاب السلوك فى غير تصرّف أو تعديل ، وهذا فضلا عن أن عبارة المتن هنا تبدو بدون هاتين الإضافتين ناقصة مقتضبة .

واقتدى به (١٢٩٣) الأمراء فى العمارة ، فأخذ قوصون بستان بهادر رأس نوبة — ومساحته خمسة عشر فدانا — وحكره للناس ؛ فبنوه دوراً ، وعُرف بحكر قوصون . وحكّر السلطان حول البركة الناصرية أراضى البستان ، فعَمَّره الناس وسكنوا فيه . وحكّر الأمير طقزدمر بجوار الخليج بستانا مساحته ثلاثون فداناً ، و بنى له قنطرة عُرفت به ، وعَمِل هناك حماماً وحوانيت ، فصار حكراً عظيما للمساكين . وحكّر الأمير آقبغا عبد الواحد بستانا بجوار بركة الفيل ، فعُمِّر عمارة كثيرة بعد ما كان مقطع طريق ، فصار قدر مدينة كبيرة ؛ (٢٩٣ ب) وأخذ بقية الأمراء جميع ما كان من البساتين والجنينات ظاهر القاهرة وحكّروها . وحكّرت الدادة حدق — و[هى المعروفة[١] باسم]ست مسكة القهرمانة — حكرين عُرفا بها ، فجاءا من أحسن الأحكار ؛ وأنشأت لـكلّ واحد منهما جامعاً تقام به الجمعة . فأنافت الأحكار التى استجدّت فى أيامه على ستين حكراً ، حتى لم يوجد[٢] موضع يحكّر ؛ واتصلت العمارات من خارج القاهرة إلى جامع ابن طولون والمشاهد[٣] ؛ وقد ذكرنا أيضاً هذه الأحكار فى كتاب المواعظ [والاعتبار] ذكراً شافياً .

و[فى أيامه] عَمَّر الأمير (١٢٩٤) قوصون بالقاهرة وكالة حيث كانت دار تعويل البوعانى[٤] . وعَمَّر الأمير طشتمر حمص أخضر ربعاً بجوار حدرة البقر ، و[هو

(١) أضيف مابين الحاصرتين مما سبق هنا ، ص ٢٣٥ ، وقد تطلب ذلك تعديل بقية الجملة ، وهى فى ف كالآتى : " حكرين عرفا بهما فجاء من احسن الاحكار وانشات كل واحدة منهما فى حكرها جامعا تقام به الجمعة " . (٢) فى ف " يجد " .

(٣) المشاهد جمع مشهد ، وهو هنا المكان الذى به تربة لولى أو صالح من الصلحاء ، وقد ترجمه (Dozy : Supp. Dict. Ar.) إلى الفرنسية بالآتى (endroit qui renferme le tombeau d'un saint) .

(٤) فى ف " طفربل النوعاى " ، وما هنا من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٣) ، حيث ورد وصف لهذه الوكالة التى بناها الأمير قوصون ، ونصه : " هذه الوكالة فى معنى الفنادق والخانات ، ينزلها التجار ببضائع الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس والفستق والجوز والخرنوب والرب ونحو ذلك ، وموضعها فيما بين الجامع الحاكمى ودار سعيد السعداء . [و] كانت أخيراً تعرف بدار تعويل (كذا) البوعانى ، فأخربها وما جاورها الأمير قوصون ، وجعلها فندقا كبيراً إلى الغاية ، وبدائره عدة مخازن ، وشرط ألا يؤجر كل مخزن إلا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك ، ولا يخرج أحد من مخزنه ؛ فصارت هذه المخازن تتوارث لقلة أجرتها وكثرة فوائدها . وقد أدركنا هذه الوكالة ، وإنّ رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش ، لـكثرة ما هنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس ، وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها . ثم تلاشى أمرها منذ خربت الشام فى سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمورلنك ، وفيها إلى الآن بقية . ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلاثمائة وستين بيتا ، أدركناها عامرة كلها ، ويحزر أنها تحوى نحو أربعة آلاف نفس ، ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير ؛ فلما كانت هذه المحن فى سنة ست وثمانمائة خرب كثير من هذه البيوت ، وكثير منها عامر آهل " .

الذى[١]] عَمَّر قيسارية الحريريين بجوار الورّاقين من القاهرة . وعَمَّر الأمير بكتمر الساقى بمدينة مصر رَبْعَين ، وحوانيت على النيل ودار وكالة ومطابخ سُكَّر . وعَمَّر الأمير طقزدمر دار التفاح خارج باب زويلة ، والرَّبْع الذى فوقه .

وتجدّدت عدة جوامع فى أيامه أنافت على ثلاثين جامعاً : منها الجامع [الناصرى بقلعة الجبل[٢] ، جدّده السلطان الناصر وأوسعه ؛ والجامع] الجديد الناصرى ظاهر مصر [على النيل[٣]] ؛ وجامع المشهد النفيسى ؛ وجامع [الأمير] كراى المنصورى بآخر الحسينية ؛ (٢٩٤ ب) وجامع [الأمير] طيبرس نقيب الجيش على النيل بجوار خانكاته ، — و[هو الذى[٤]] عَمَّر أيضاً مدرسة بجوار الجامع[٥] الأزهر بالقاهرة — ؛ وجامع الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى بالقرب من باب البحر ؛ وجامع الفخر ناظر الجيش على النيل فيما بين بولاق وجزيرة الفيل ، — و[هو الذى عَمَّر[٦]] جامعاً آخر خلف خصّ الكيالة ببولاق ، وجامعاً ثالثاً بالروضة — ؛ وجامع كريم الدين خلف الميدان[٧] ؛ وجامع شرف الدين الجاكى بسويقة الريش ؛ وجامع أمير حسين بالحكر[٨] ، — و[قد] بنى له قنطرة على الخليج — ؛ وجامع [الأمير] قيدان الرومى بقناطر الوز ؛ وجامع دولت[٩] شاه مملوك العلائى بكوم الريش ؛ (١٢٩٥ ا) وجامع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بطرف الحسينية ؛ وجامع ناصر الدين الحرّانى الشرابيشى بالقرافة ؛ وجامع [الأمير] آقسنقر شادّ العمائر قريباً من

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩١) .

(٢، ٣، ٤) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٨٣) ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٩٨ ، ٢٠٢) .

(٥) فى ف "جامع الازهر" .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣١١) ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٢٠١ — ٢٠٢) .

(٧) ذكر محمد رمزى بك أن الميدان المقصود هنا هو الميدان الناصرى الكبير . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٢٠٠ ، حاشية ٢) .

(٨) الحكر المقصود هنا هو حكر جوهر النوبى . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٢٠٢ ، حاشية ٥) .

(٩) فى ف "دوله سام" ، وماهنا من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٣٢٥) ، حيث ورد أن هذا الجامع كان يسمى باسم جامع كوم الريش .

الميـدان[١] ؛ وجامعاً خارج باب القرافة عمّره جماعة[٢] من العجم ؛ وجامع التوبة بباب البرقية — عمره مغلطاى أخو الأمير ألماس — ؛ وجامع بنت الملك الظاهر [بيبرس[٣]] بالجزيرة المستجدّة — وعمّر ما حوله أملا كا كثيرة — ؛ وجامع الأمير ألماس بالقرب من حوض ابن هنس ؛ وجامع الأمير قوصون خارج القاهرة ، وجامعه خارج باب القرافة ؛ وجامع الأمير عز (٢٩٥ ب) الدين أيدمر الخطيرى على النيل ببولاق ؛ وجامع أخى صاروجا بشون القصب ؛ وجامع الحاج آل ملك بالحسينية ؛ وجامع الأمير بشـتاك على بركة الفيل تجاه خانكاته ؛ وجامع ستّ حدق فيما [بين] قنطرة السدّ وقناطر السباع ؛ وجامع ست مسكة[٤] قريباً من قنطرة آقسنقر ؛ وجامع الأمير ألطنبغا الماردينى خارج باب زويلة ؛ وجامع مظفر [الدين] بن الفلك[٥] بسويقة الجميزة من الحسينية ؛ وجامع جوهر[٦] السحرتى قريباً من باب الشعرية ؛ وجامع فتح الدين محمد بن عبد الظاهر بالقرافة .

واستجدّ بدمشق فى (٢٩٦ ا) أيام[٧] [السلطان الناصر] أيضاً جامع كريم الدين ، وجامع شمس الدين غبريال ، وجامع الأفرم ، وجامع تنكز ، وجامع يلبغا .

(١) ذكر محمد رمزى بك أن الميدان المقصود هنا هو ميدان المهارى . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٢٠٤ ، حاشية ٣) .

(٢) عرّف (Zettersteén : Op. Cit. p. 226) هذا الجامع بما لا يزيد عما هنا بالمتن ، ولم يورده المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ — ٣٣١) ضمن الجوامع التى ذكرها .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٢٥) ، حيث ورد هذا الجامع باسم جامع الجزيرة الوسطى ، وأن الذى أنشأه مثقال الطواشى تذكاراً لابنة السلطان الظاهر بيبرس .

(٤) تقـدّمت الإشارة فيما سبق هنا (ص ٥٤٣ ، حاشية ١) إلى أنّ الست حدق والست مسكة اسمان لمسمّاة واحدة ، ويظهر أن السبب فى تسمية هذين الجامعين كما هنا بالمتن ، وفى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣١٣ ، ٣٢٦) أيضا ، أن الست حدق كانت تعرف أولا بهذا الاسم فقط ، وقد أنشأت الجامع المعروف باسمها هذا سـنة ٧٣٧ هـ ، فلصق به ؛ ثم اشتهرت لسبب ما بعد ذلك باسم الست مسكة ، فعرف الجامع الثانى بهذا الاسم الثانى ، وكان بناؤه سنة ٧٤١ هـ . انظر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣١٣ ، ٣٢٦) ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٩٧ ، حاشية ١ ، ٣) .

(٥) فى ف "الملك" ، وما هنا من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ ، ٣٢٦) .

(٦) ذكر محمد رمزى بك أن الثابت من اللوحة التذكارية بباب هذا الجامع أنه بُـنى سنة ٧٤٣ هـ ، أى بعد وفاة السلطان الناصر بسنتين ، على أن ذلك لا يمنع من أن بناءه بدىء فى عهد هذا السلطان . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٢٠٩ ، حاشية ٨) .

(٧) فى ف " ايامه".

وجُدِّدت الخطب فى أيامه بعدة مواضع : فجدّد نائب الكرك خطبة بالمدرسة الصالحية ، وجدّد طقزدمر خطبة بالمعزية[١] بمصر . وتجدّدت خطبة بزاوية فخر الدين بن جوشن خارج باب النصر ، وجدّد نجم الدين أبو بكر بن غازى دلّال[٢] المماليك خطبة [بمسجد] فيما بين باب البحر وبولاق ، وجُدِّدت خطبة بجامع محمود بالقرافة بعد ما كان تُربة .

وآخر (٢٩٦ ب) ما عَمَّره السلطان السواقى بالرصد ، فمات ولم يكمل عملها ؛ إلا أنه فى آخر أيامه أقام النشو ، فأفرط فى الظلم .

وشُغف [السلطان الناصر] أيضاً بحب الجوارى ، فكتب إلى أعمال مصر ببيع الجوارى المولّدات وحملهنّ إليه ، وأخَذَهنّ حتى من المغنيات ؛ فزادت عدتهنّ عنده على ألف ومائتى وصيفة . وكان يكره مماليك أبيه وأخيه ، وما زال بهم حتى فنوا فى أيامه . وكان لا يمكّن مماليكه بالاجتماع بالفقهاء ، وتعنّت على أجناد الحلقة وعَرَضَهم ، وقَطَع منهم جماعة ، فمات عقيب ذلك .

ورُسم بعد (١٢٩٧) موته بغلق حوانيت بين القصرين ، وطُردت الناس [بأجمعهم] من هناك . وحُمل فى محفة ، وأُخرج من القلعة ؛ ومرّوا به من وراء السور إلى باب النصر ، ومعه من الأمراء بشتاك وملكتمر الحجازى وأيدغمش وعدّة من الخاصكية . ثم شقّوا به من باب النصر إلى المدرسة المنصورية ، وقدّامه بعض الحرّاس تضىء عليه بمسرجة زيت حار ، ثم لحقه فانوس فشيّعه إلى المدرسة المنصورية . وحمل إلى القبة بها وغُسّل وحُنِّط ، وكُفِّن من المارستان ، وقد اجتمع الفقهاء والقراء ؛ ثم دُفن على أبيه .

وترك [السلطان الناصر] من (٢٩٧ ب) الأولاد محمداً وإبراهيم ، وعليا ، وأحمد ، وأبا بكر ، وكجك ، ويوسف ، وشعبان ، ورمضان ، وإسماعيل ، وحاجى ، وحسينا ، وحسناً ، وصالحا ، وسبع بنات ؛ فوَلِى السلطنة من أولاده ثمانية : [وهم] أبو بكر ، وكجك ، وأحمد ، وإسماعيل ، وشعبان ، وحاجى ، وصالح ، وحسن .

---

(١) فى ف " بالعزية " ، وما هنا من ب (٥٠٠ ا) .

(٢) لم يستطع الناشر أن يجد بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى وظيفة بهذا الاسم ، على أن مدلولها واضح ، وهى غير وظيفة الدليل الواردة فى ابن مماتى (قوانين الدواوين ، ص ١٠) .

وكانت نوابه بديار مصر كتبغا ، وسلار ، و بيبرس الدوادار ، و بكتمر الجوكندار ، وأرغون الدوادار ؛ ولم يستنب بعد أرغون أحد .

وكانت وزراؤه سنجر الشجاعى ، وتاج الدين محمد بن حنا ، ونخر الدين عمر بن الخليلى ، وسنقر الأعسر(١) ، وعز الدين أيبك (١٢٩٨) البغدادى ، ومحمد بن الشيخى ، وأيبك الأشقر — وسمى المدبر(٢) — ، وسعد الدين محمد بن عطايا ، وضياء الدين أبو بكر بن عبد الله النشائى ، وبدر الدين محمد بن التركمانى ، وأمين الدين عبد الله بن الغنام(٣) ، وبكتمر الحاجب ، ومغلطاى الجمالى ؛ ولم يستوزر بعد الجمالى أحداً .

وكانت قضاته تقى الدين محمد بن دقيق العيد ، وبدر الدين محمد بن جماعة ، وجمال الدين سليمان الزرعى ، وجلال الدين محمد [بن] القزوينى ، وعز الدين [عبد العزيز] بن جماعة .

و[كان] كتاب سرّه شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله ، وعلاء الدين على (٢٩٨ب) بن الأثير(٤) ، [ومحيى الدين(٥) يحيى بن فضل الله ، وعلاء الدين على بن فضل الله] .

و[كان] دواداريته عزّ الدين أيدمر ، وأرغون ، وأرسلان ، وألجاى ، ويوسف ابن الأسعد ، وبغا ، وطاجار .

و[كان] نظّار جيشه بهاء الدين عبد الله بن [أحمد(٦)] الحلى ، والفخر محمد بن

---

(١) فى ف "الاعر" ، وما هنا من ب (٥٠٠ ب) . انظر أيضا ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٨٧) .

(٢) فى ف "المدبر" وما هنا من ب (٥٠٠ ب) . ويظهر أن مدة ولايته هذا الوزير كانت لا تعدو بضعة أشهر من سنة ٧٠٥هـ (١٣٠٥م) . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. pp. 130 — 133) ، حيث ورد اسم الوزيرين محمد بن الشيخى وسعد الدين بن عطايا ، من غير إشارة إلى قيام أيبك الأشقر هذا فى الوزارة فى الفترة الواقعة بين ولايتهما لهذا المنصب .

(٣) فى ف "غنام" ، وما هنا من ب (٥٠٠ ب) . انظر أيضا ما سبق هنا ، ص ٥١٣ .

(٤) فى ف "بن فضل الله" ، وما هنا من ب (٥٠٠ ب) .

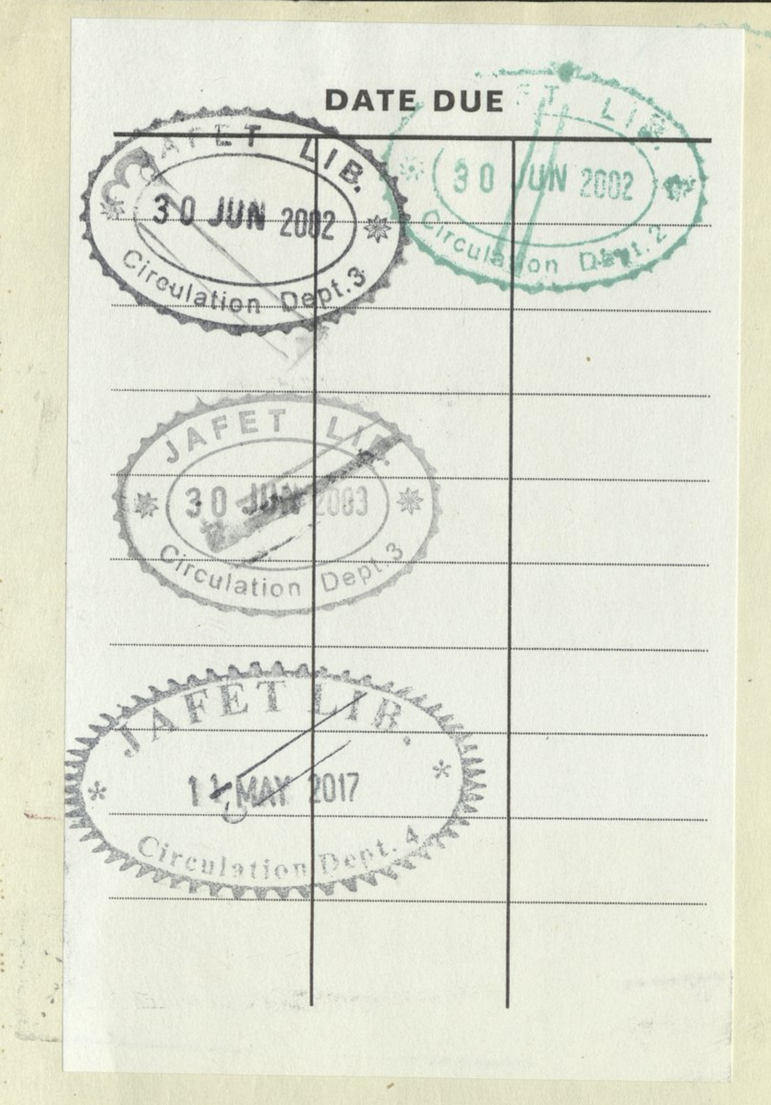
(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٥٠٠ ب) .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٥٠٠ ب) . انظر أيضا ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٤٥) .

فضل الله [القبطى[١]] ، وقطب الدين موسى بن شيخ السلامية ، وشمس الدين موسى بن التاج إسحاق ، والمكين إبراهيم بن قروينة ، وجمال الكفاة إبراهيم . تمَّ ذلك[٢] .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ١٣٨ — ١٣٩) ، حيث توجد لهذا الناظر ترجمة وافية ، ومنها أنه هو الذى أشار على السلطان الناصر بإلغاء منصب الوزارة بعد عزل مغلطاى الجمالى عنها سنة ٧٢٩ هـ (انظر ما سبق ، وابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٥٤) ، وأنه تمكّن من السلطان من بعد ذلك حتى صارت أمور الدولة كلها متعلقة به مدّة طويلة .

(٢) هنا تنتهى مخطوطة فاتح رقم ٤٣٨٤ ، وقد رؤى الوقوف بهذا القسم الثانى من الجزء الثانى من كتاب السلوك عند ذلك الحد ، لموافقته نهاية عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون :


DATE DUE
JAFET LIB.
30 JUN 2002
Circulation Dept. 3
30 JUN 2002
Circulation Dept. 2
2001
Dept. 4
JAFET LIB.
30 JUN 2003
Circulation Dept. 3
JAFET LIB.
11 MAY 2017
Circulation Dept. 4


962
M23sA
v.2
pt.2
c.1

